

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٦

٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٧٥

## مع حافظ ابراهيم

يوم الخميس في ١٨ آذار سنة ١٩٢٦ و ٤ رمضان سنة ١٣٤٤

كنت ضيفاً عند صديقي حسين بك الحسيني في حلوان ، فقال لي : يسكن بالقرب منا حافظ ابراهيم ، وقد أخبرته بأنك ضيف عندنا ، وسيأتي الليلة للسلام عليك . وجلسنا بعد الإفطار ( والوقت رمضان ) نتحدث بشعر حافظ ، وكان في المجلس معنا شيخ بهامة بيضاء اسمه الشيخ محمد رأفت . ولم يمض زمن طويل حتى سمعنا من الفسحة المؤدية الى غرفة الاستقبال كلاماً بصوت عالٍ ، فقال صاحب الدار : هذا حافظ بك ، ولم يكذبتم كلامه حتى دخل حافظ ابراهيم وسلم ، ووقع نظره على الشيخ الذي لم يكن بعيداً من الباب ، فقال له وهو واقف : أنت هنا يا شيخ ؟ وتهذر ؟ أما كنت الشامي بالسجع والجناس وأرسته براعة المصريين ؟ ثم دنا مني وصاحني وجلس بجاني . وهو طويل مستقيم القامة ضخيم الأعضاء أسمر اللون خفيف شعر الرأس والشاربين ،

بقلب عليه الشيب وتبدو على وجهه ملامح الاجهاد والتمب ، يضع على عينيه نظارة منوطة بأذنيه ، تبدو من خلفها عينان صغيرتان ظاهر، على انساينها وجفونها أثر السكلال ، ولبسه حسن من غير تنوق ، ولا يكاد السيكار يقع من بين اصبعيه .

جلس ويده عصا غليظة يقرع بها الأرض أثناء كلامه وقال لصاحب الدار : أكرم ضيفك يا حسين ، أين الشاي ، أسرعوا بالقهوة ، هاتوا الخلطة ( نوع من الأفاويه السائلة تضاف الى الشاي والقهوة كالعبر أو الزعفران ) ، أين السكاير ؟ لماذا لم تأت بضيفك وتأكلوا عندي ، ثم التفت إليّ وقال : لا بد من أن تأكل عندي ، قل لي ماذا تريد أن أصنعه لك من الطعام ، قلت : الفول المدمس ، فقال : الله الله أنت أتيت الى مصر لتأكل المدمس ، قلت أشكرك على كل حال فأنا مسافر غداً ، قال : ما يصح .

ودخل على اثر حافظ فتى بدين حسن الوجه أبيض اللون مشرب بحمرة ، سمعتمهم بدعونه بالسيد علي ، فجلس غير بعيد من الباب .  
كان مجلس حافظ يجاني وبلية صاحب الدار وكان بيده ديوان حافظ ، فقال له : كنا نقرأ شعرك قبل أن تأتي . فقال حافظ : ليس في الجزء الأول من الديوان شيء ، وفي الجزء الثاني والثالث أشياء حسنة منها :  
( غادة اليابان ) :

لا تلم كفي إذا السيف نبا صحّ مني العزم والدهر أجي  
ورثاء الشيخ محمد عبده :

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ سلامٌ على أيامه النضراتِ  
و ( الأمتان تتصانحان ) :

لمصر أم لربوع الشام تنتسبُ هنا العلى وهناك المجد والحسب

و (زلزال مسينا) :

نبثاني إن كنتما تعلمان مدهى الكون أيها الفرقدان  
و (رأس السنة الهجرية) :

لي فيك حين بدا سنك وأشرقاً أملٌ سألت الله أن يتحققاً

وأشباه هذه ، ولقد نظمت قصيدة جديدة أعددتها ليوم افتتاح الجامعة . فقال له  
الحسيني : أسمعنا إياها . فأجاب : ادفع الفلوس حتى تسمع ، كل شيء له ثمن .  
قلت : وإذا سألتك أنا أن تنشدنا .

قال : هنيئاً ، لا أنشد إلا بالفلوس .

قلت : ماذا عسى يعطيك رجل مهاجر منكوب .

قال : وأنا منكوب في بلدي .

قلت : فاجعل الثمن نسيئة .

قال : من لي بالوفاء ؟ ولكن أراني أضرب في حديد بارد ، كل شيء تغير  
في هذه الحياة ، كان الأمير في الماضي يقول : من في الباب من الشعراء ؟  
أفيقول الشاعر اليوم : من في الباب من البكوات ؟ وعلى كل حال فإن أبيتم  
إلا منماً فأنا أعطي .

ثم أنشد مختارات من شعره ، منها قصيدة زلزال مسينا وكان شديد الإعجاب

بهذا البيت منها :

خسفت ثم أغرقت ثم بادت قضي الأمر كله في ثوان

أنشده فخوراً وقال : بيت واحد أحاط بما منيت به مسينا ، وهو على شدة إيجازه  
قد صور الفاجعة تصويراً كاملاً .

ثم أنشد ألياناً من قصيدة في مظاهرة للسيدات كانت سنة ١٩١٩ أولها :

خرج الفواني محتجبين ورحت أرقب جمعه

ومنها :

وإذا يجيش مقبل والخيل مطلقة الأُعنه

وإذا الجنود سيوفها قد صُوت لنجورها  
 وإذا المدافع والبنا دق والصوارم والأسنة  
 والخيل والفرسان قد ضربت نطاقاً حولنه  
 والورد والرياح في ذاك النهار صلاحنه  
 فتطاحن الجيشان ساءت تشيب لها الأجنه  
 فتضع النسوان والنسوان ليس لمن منه  
 فليهنأ الجيش الفخو ر بنصره وبكسرهنه

وقال : لم أدفع هذه القصيدة الى صحيفة من الصحف ، ولم أقل إنها لي ،  
 ولكن رواها الناس وتناشدوها وعرفوا أنها لي لأنه - كما قال لي أحد الإخوان -  
 لا يقول مثل هذه القصيدة في مثل هذا المقام ويختار لها هذا الوزن وهذه القافية  
 إلا من كان واسع الرواية للشعر مطعماً على تفنن الشعراء في اختيار الأوزان  
 الملائمة لمعانها . ألم تطلع على هذه القصيدة ؟

قلت : (مبلى) (١) وكأنه لم يسمع الميم الساكنة في أولها .

فقال بصوت أجش : اسمع العربي الفصيح يا حسين ، قال (بلى) ولم يقل  
 (نعم) في جواب هذا الاستفهام المسبوق بالنفي ، ولو قال (نعم) لانعكس  
 المعنى . فقلت في نفسي : رمية من غير رام .

ثم قال : وقصيدتي بتهنئة الملك فؤاد بعيد جلوسه فيها أبيات حسنة منها :  
 واضرب بسوط البأس أءطاف الزمان إذا استبدا  
 والملك فؤاد لو قال له قائل في أيام الخديوي عباس إنك منكون مكانه لظن  
 أنه يسخر منه ، ولكن هكذا الدنيا تحفض وترفع .  
 قلت : من الرفش الي العرش .

(١) هي (بلى) ولكن الدماشقة يزيدون في أولها ميماً ساكنة في كلامهم ولا يلتزمون الدقة في استعمالها .

فاستماده وأعاده وقال : أهذا مثل ؟ بهجتي هذا المثل ، وجمله وسيلة للتندر على الملك فؤاد فقال : استدعى الملك في إحدى زيارته للاسكندرية قائد خفر السواحل وبدأ بوصيه وبنيه ، فكانت مما قاله له : « خذ بالك ٠٠٠ إياك ٠٠٠ مهربين ٠٠٠ كو كائين ٠٠٠ سيف الدين <sup>(١)</sup> ٠٠٠ »

ولم يطل في إنشاد شعره بل عاد الى الحديث وكان يسرع في كلامه ، وبكاد يشكلم يديه ورأسه وعينه ، حلو الألفاظ ، يميل الى الدعابة والمزاح وإيراد النكات ، ولا يتأثم من التصريح بذكر ما يكفى عنه .

واسع الرواية للشعر والنثر ، يعتد بنفسه ، نفور بجيد شعره ، يدعي أنه أول من نظم الشعر الاجتماعي ، ولا ينكر أن له أشياء كثيرة من سخيف الشعر وسفاهه يدعوها ( الشعر التجاري ) ويدعي أنه كان يحفظ مائة الف بيت من جيد الشعر ، ولكن لم يبق منها في حفظه الآن إلا نصفها . يقدر المولدين من فحول الشعراء كبشار بن برد ومن أتى بعده ممن هو في طبقتهم ، مفتون ببلاغة العرب ، يجاهر بعجز المعاصرين عن إدراك شأدهم في التأدية والأسلوب ويقول نحن عيال عليهم ، ولكنه لا يستسيغ الشعر الجاهلي . ويتندر على العويص منه كما يتندر على اللين والركيك من الشعر المشهور .

تكلم حافظ كثيراً ولا سبيل لتدوين كل ما قال ، وإنما أثبت خلاصة حديثه . ذكر من الشعراء بشار بن برد وأبا نواس ومسلم بن الوليد وأبا تمام الطائي والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وأبا الملاء المعري ومهيار الديلمي . فقرظ بشاراً كثيراً وروى من شعره . وأطرب في مدح أبي نواس وقال انه أطبع الناس على الشعر وهو أشعر الناس صاحباً ولكن فلما يصحو ( ابن الكلب ) وروى من شعره ، وكان شديد الإعجاب بقوله :

(١) سيف الدين : ابن عم الملك فؤاد كان اختلف وإياه قبل أن ينصب ملكاً فأطلق سيف الدين عليه الرصاص فأصابته رصاصة في عنقه فلم تقتله ولكن بقي يسمل من أثرها ، وفر سيف الدين من مصر .

أخذتُ بجبلٍ من جبال محمدٍ أمنتُ به من طارق الحدائقِ  
 تفتيتُ من دهري بظل جناحه فبيني ترى دهري وليس يراني  
 وأثنى على صريع الفواني مسلم بن الوليد ورفع كثيراً من قدر أبي تمام الطائي وأشاد  
 بذكره وقال : « إنه شاعر المظالم وقصيدته في فتح عمورية :  
 السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب  
 كلها غرر وكلها عيون وما فيها بيت سافط وليس للعرب مثلها » . ووقف وأنشد  
 طائفة منها . ثم قال إذا سما أبو تمام فلا بدانيه أحد ، ولكن لم يجل شعره من  
 السخيف . وروى له بيتاً هو :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا  
 ودعا بالشعر الأزهري وتلاه على طريقة المشايخ في الأزهر ، فقد كان يكرر  
 الشطر وهو يقبل ب صدره الى الأمام وينأى بظهره الى الوراء ويقول : ظاهر ؟  
 فلما أتى على ذكر البحتري قال لي : من تفضل من الشعراء الثلاثة ،  
 أبا تمام أم البحتري أم التنبي ؟ قلت البحتري ، قال أنت شاعر والشعراء بفضلون  
 البحتري ، البحتري سيد المطبوعين وأقدر الشعراء على حسن التأدية ، وشعره  
 من السهل الممتنع . إذا تلوت شعره ظننتني أقعد في حضنه أداعبه وبداعبني  
 وأفهم عنه ويفهم عني ، بل أحيط بما في نفسه كما يحيط بما في نفسي ، وهو بمطيك  
 من المعنى بالرفق واللطف ، ما بمطيكه سواء بالنعجية والمعجرفة ولهجة الأمر  
 أو الأستاذ شأن التنبي ، والبحتري لا بأبه للتشبهات والاستعارات ، بل يحدث  
 عن ذات نفسه بلا كناية ولا عناء ، وهذا هو الشعر ، والمعجب أنني لم أفقه  
 ذلك إلا بعد أن بلغت من العمر خمساً وأربعين سنة ، أنا اليوم ابن أربع  
 وخمسين سنة ، وقد قضيت عمري في الشعر ، روايةً وقولاً ولم أحط بهذه  
 الحقيقة إلا منذ عشر سنين ، عجيب غريب . . . اسمع قول البحتري :

نظرتُ إلى طدان فقلت ليلي هناك ، وأين ليلي من طدانِ

ودوت لقاتها إيلاف شهرٍ وسبع للمطايا أو ثمان

نصوبت البلاد بنا إليكم وغنّى بالأياب الحاديات

هذا هو الشعر . واسمع هذين البيتين المنسوبين لابن سينا في ولده :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا فيجنو عليّ وأحنو عليه

لقد تعب الشوق ما بيننا فنه إليّ ومني إليه

أنا أموت في مثل هذه الرقة ، هذا والله هو الشعر .

وأشد لفتاة أعراية قولها تشكو لأُمها ربة لمحتها في نظر محبوبها :

ورابي منه أني لا أزال أرى في طرفه قصرأ عني إذا نظرا

فكان يقوم ويقعد ويتواجد ويقول « ياب كب<sup>(١)</sup> » رحت في داهية ،

جالك البلي ، كنت تحبين فتى كالسي عليّ » .

وكان يترنخ طرباً ويهتز جميعه .

أما قول امرئ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

فأنا لا أفهمه كما اني لا أفهم قول مي :

« نامت الشمس وأرخت الشفق سدوله ولفقت حواشي السحب بخيوط الذهب

والفضة وماجت في الأفق بحيرات الياقوت وبرك الزمرد . . . . . »

ثم تناول المتنبي فقال : « أنا أحترم المتنبي كثيراً وأجمله ، وإذا سمعته يقول :

الرأي قبل شجاعة الشجاعات هو أولٌ وهي المحل الثاني

وقفتُ بين بدبه وزررت معطفي ووضعت يدي على جيبني وقلت نعم صدقت .

ألس ترى ان هذا البيت هو خطة حربية بلقيها القائد الأكبر على قواده

(١) يريد ( يابنت الكلب ) كما يلفظها المصريون .

ورجاله ، نعم أنا أنحني أمام عظمة المتني ولكني أقول إنه لم يوفق الى ما وفق  
اليه المجتري من السلاسة والطلاوة والسهولة وحسن الديباجة . انظر كم يستعمل  
المتني ذا وذى في شعره ، فهو أكثر الشعراء اسئمالاً لها ، ولقد كان  
محمود سامي البارودي رحمه الله يقول لي : كأن المتني انكيزي لكثرة ما يتوكأ  
على ذا وذى .

أما الشريف الرضي فنستخفني رفته وانسجابه كما تبهزني قوته وإحكامه .  
أية فريدة تلك المرثية التي يقول في مطلعها :

منابت الشيخ لاحامٍ ولا راع مضي الردى بطويل الريح والباع  
وقد حاولت أن أجاريه في رثائي للشيخ محمد عبده . فنظمت المطلع من هذا  
البحر وعلى هذا الروي ثم انقطعت ولم أقو على الاستمرار ، ولكن الله أعان  
ونظمت الثانية :

سلامٌ على الإسلام بهد محمدٍ سلامٌ على أيامه النضراتِ

وهي من الغرر .

على أنني لا أرتاح لفصيحة الشريف الرضي التي يرثي بها أبا اسحق الصابي ويقول :  
أعلمت من حملوا على الأعوادِ أرأبت كيف خبا ضياء النادي  
الشريف الرضي كان يطمح الى الخلافة ، دخل عليه مرة فنى حسن الوجه  
مثل السيد علي (أنفام أنت يا مبي علي) وقبل يد الشريف فقال أبيتاً دعني  
أمثل لك الشريف في عظمته وزهوه وتبهه وأنشدنا ، وهنا رفع حافظ رأسه  
وصعر خده ونظر شزراً وقبض أصابعه وأنشد برفق وتأن وصوت خافت :

ومقبلي كفي وددتُ بأنه أوما الى شفني بالتقبيل

جاذبته فضل العتاب وبيننا كبر الملول ورقة الملول

جدلان بنفض من فروج قيمه أعطاف غصن البانة المطلول



وتلميذ الشريف الرضي مهيار الديلمي تعجبني رفته ، دعني أنشدك شيئاً  
من شعره بلهجتة الفارسية . واندفع بنشد و كأنه فارسي بنشد شعراً عربياً :  
آه على الرقة في خدودها لو أنها تسري إلى فؤادها  
بالبان لي دين على ماطلة ييس غصن البان في أبرادها  
سلطت الوجد على جوانحي تسلط الخلف على ميعادها  
وأنشد أيضاً من شعر مهيار :

أيا صاحبي أين وجه الصبا ح وأين غدّ صف لعيني غدا  
أسدوا مسارح ليل العرا ق أم صبغوا فجره أسودا  
وأعاد البيت الثاني غير صرة ماداً كلنا بدبه ومحر كاً أصابه ثم قال : ولكني  
لا أقدر أن أجد في شعر مهيار من الرقيق البارع أكثر من مائتي بيت .  
ثم قال : وأبو العلاء المعري ، حفظت في حدائتي من شعره ديوان  
سقط الزند . أما فلسفته فبثوثة في اللزوميات ، ولقد كان يجد الخالق ويشك  
في النبوات وينتقد الشرائع ويعرض بموسى ومحمد دون عيسى عليهم السلام ،  
لأنه يرى أن موسى ومحمداً طال عمرهما فأتبع لهما أن يعمل ما شاء أن يعمل ،  
أما عيسى فهو صغير السن ولم يعمل شيئاً ، وإنما انتقد أبو العلاء من جاء بعد  
المسيح من الأحرار الذين ألوهوه .

\* \* \*

وانتقل حافظ من الشعراء الى المشيخين ، فذكر ابن المقفع وبراعة إيشائه فأطرب  
في مدحه وقال : أعدت قراءة كتاب كليلة ودمنة صرات كثيرة ، أكثر من  
مائة مرة .

ثم ذكر الجاحظ فقرظه كثيراً ونلا فقراً من كلاه وروى عنه نوادر  
مستملحة ، وكذلك قرظ أبا الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني وقال : انه قرأ

الأغاني مرات واستظهر الكثير مما فيه من الشعر وقال : إن إنشاء أبي الفرج غابة في الحسن والجودة ومحال أن يستبدل الانسان من إيشائه كلمة بكلمة . وحدث عن صاحب بن عباد وما كان من كرمه وجوده ، وقص شيئاً من ملححه وطرفه . وروى فقرة لاسحق الموصلي لم يبق في ذهني منها إلا قوله ( أجد نغزاً في قلبي ) قال : كنت مستلقياً على سريري ويدي كتاب أقرأ فيه ، فلما مررت بهذه الجملة حفزني حافز ألقاني عن سريري فما وجدت نفسي إلا قائماً أرقص لحسن هذه الجملة الخلابية .

ثم نال من القاضي الفاضل وعاب أسلوبه في الإنشاء وتعمله فيه ، وأنحى باللوم كثيراً على مجمع المبادئ الأصفهاني الكاتب وتكافئه . قلت لملك تعني سبجه في كتابه « الفتح القسي في الفتح القدمي » قال : حفظت مائة ألف بيت وأنا عاجز عن حفظ مثل هذا الامم .

وانتقل الى التحدث عن شوقي فأطال الكلام وانتقده انتقاداً لاذعاً وغمزه ولززه وخالط الهزل بالجد وتندر عليه وشهد له في النهاية بالشاعرية المنقطعة النظير . عاب كثيراً من شعره ونهى عليه أسلوبه وذم ألفاظه وسخر من تنطه ، قال : مارأيت أحداً بكثرت من الدعوة الى مكارم الأخلاق كشوقي وهو الذي يقضي ليله طائفاً حوالي مواطن الريبة ومتنقلاً في عربات الترام . بماذا يفسر قوله للخديوي عباس من قصيدة يمدحه بها :

أنا من ملكت فؤاده فافعل به ماأنت فاعل

أما قصيدته في بيروت فقد كشف الله بها عن حقيقة أمره في سواه مذهبه واضطراب قوافيه ، فبينما هو يقول في بيت : ( عرفته )<sup>(١)</sup> يقول في بيت آخر

(١) إشارة الى البيت :

فازور غضباناً وأعرض فانراً حال من الفيد الملاح عرفته

(ملكوته) (١) ولا نسل عن مكارم الأخلاق حين يحدث عن أحور (٢) بكفية  
وكيف زحمة .

وقصيدته في دمشق ، ما أشد تنطمه حين يقول :

لولا دمشق لما كانت طليطلة<sup>٣</sup> ولا زهت ببني العباس بفدان<sup>٤</sup>  
فن أي معجم استدعى كلمة بفدان وفي أي ديوان وقع عليها وفي أي قاموس  
خاص حتى استخراجها هل رأيت شاعراً استعملها في شعره ؟ ليست البلاغة في  
استعمال المهجور من الألفاظ ، فأنا أحفظ من متن اللغة ما لم يقرأه شوقي ،  
ولا أستعمل في شعري إلا كل مانوس قريب من الفهم ، فما قيمة الشعر  
إذا احتاج سامعه أن يرجع الى دواوين اللغة .

وما أعجب لشيء كهجبي لأهل الشام في غلوم بالاحتفاء به ومبالغتهم في  
تكريمه ؛ وفي قصائدهم التي قالوها فيه ما هو أحسن من قصيدته . قلت ما أظن  
ذلك . قال : كذا كما أقول لك ؛ ولكن قل لي كيف أنشد شوقي قصيدته ؟  
قلت أنشدها غيره وقعد هو بجانب المنشد . قال أف له من جبان ألكن ،  
لو كنت في دمشق بتلك الحفلة لأرئيتكم كيف بكونت إنشاد الشعر ؛  
ليس في مصر من يدانيني في الانقاء ، فاذا أنشدت الشعر في حفل أقت وأقعدت  
وفعلت بالألباب ما شئت ، وكم شهد لي بذلك معد زغلول .

قلت كان الشاميون يتوقعون زيارتك لهم ، ولو فعلت لاحتفلوا بك كثيراً .  
قال وهل يعرفونني ؟ قلت كيف لا يعرفونك ، وأكثر أدبائهم ومتأديبهم

(١) إشارة الى البيت :

لبنان والخلد اختراع الله لم

يوسم بأزين منها ملكوته

(٢) إشارة الى قوله :

وأغن أحور عن ما بكفية

علقت محاجره دي وعلقته

دخل الكنيسة فارتقت فلم يطل

فأتيت دون طريقه فزحتمه

يروون شمرك ، قال ويحبونني ؟ قلت نعم . فتهلل وجهه وقال : كنت فلوبا  
 زيارة الشام في الصيف الماضي ، ولكن لما ذهب شوقي عدت ، لم يكثف  
 شوقي بالذهاب الى الشام وحده حتى استصحبه معه محمد عبد الوهاب ، وكان  
 هناك أحمد زكي باشا المسهب المكثار ، والدكتور محبوب ثابت وأمره معروف  
 مشهور ، فكيف أدخل الشام مادام هؤلاء فيها ، وما أدري ما قال أهل الشام  
 عنهم ، ولكن لا بد لي من زيارة الشام في الصيف المقبل مع حسين بك .  
 ثم عاد الى نقد شعر شوقي فقال : يقول شوقي :

أخوت اسماعيل في أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيل  
 كيف رضي لنفسه أن تُلده أمه بالباب ، ولو كان هذا الأمر حقيقة لوجب  
 كتابته ، فكيف والحال هنا كتابة عن أنه ريب نعمة اسماعيل .  
 ويقول شوقي :

سلامٌ من صبا بردى أرقٌ ودمعٌ لا يكفكف يادمشقُ  
 والصبا الريح الشرقية وهي في دمشق ليست من الريح الطيبة .  
 ويقول :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبها وفاز بالحق من لم يأله طلبا  
 وهل الراحة الكبرى غير الموت .  
 ويقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي واقيا إلا الكتابا  
 وهو يريد أنه أخذ الكتب وترك الصحاب فاستعمل العكس لأنه لا يعرف  
 أن الباء تدخل على المتروك .  
 واقعد أغري هذا الرجل بكلمة ( تم ) واختارها مطالما لكثير من قصائده  
 كأنها ( حم ) ، منها قوله :

قَم سَلِيَمَاتُ بَسَاطِ الرِّيحِ قَامَا مَلِكِ القَوْمِ مِنَ الجَوِّ الزَّمَامَا

قَم نَاجِ أَهْرَامِ الجَلَالِ وَنَادِ هَلْ مِنْ بَنَانِكَ مَجْلِسِ أَوْ نَادِ

قَم حِي هَذِي النِّيرَاتِ حِي الحِسَابِ الخَيْرَاتِ

قَم حِي أَنْقَرَةٌ وَقَلَّ بِهَيْبِكَ مَلِكُ بَنِيْتِ عَلِي سَيُوفِ بَنِيكَ

قَم نَاجِ جَلَقِ وَانْشُدِ رَسْمَ مِنْ بَانَوَا مَثَتْ عَلِي الرَّسْمِ أَحْدَاثِ وَأَزْمَانُ

قَم لِلْمَعْلَمِ وَفِيهِ التَّبْجِيحِيلا كَادَ المَعْلَمِ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا

قَم فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحِي الأَزْهَرَا وَائْتَرِ عَلِي سَمْعِ الزَّمَانِ الجَوْهَرَا

فأي شاعر ارتكب مثل هذا؟ قال لي محمد الموبليحي: أخبرني كيف يقوم الإنسان في فم الدنيا ويحيي الأزهر أهكذا؟ ووضع حافظ سبأته معترضة في فمه بعد أن فغره .

لقد طبع شوقي الجزء الأول من ديوانه وقد ورد فيه من (قَم) الشيء الكثير . أما جبريل فقد ردد ذكره سبع عشرة مرة منها قوله :

جبريل هلل في السماء وكبر واكتب ثواب المحسنين وسطر

جبريل أنت هدى السما . وأنت برهان العنابة

ولا نسل عن عيسى ، فما تكاد تخلو قصيدة في شعر شوقي من ذكره ، نعم أنا أو من نبوة عيسى ومومي وصائر الأنبياء كما أو من بمحمد ولكني أكتفي بمحمد وبما جاء به من الهدى .

يظن شوقي انه أمن عادية النقد في ديوانه وإظهار مساويه والشهير بسفسافه بعد أن رشا أرباب الصحف ، فقد نظم قصيدة في رثاء ابن حسين هيكل رئيس تحرير السياسة أولها :

الضلع تنقده والدموع تطرد

وأخرى في تزيين كتاب فتح مصر الحديث لحافظ عرض صاحب كوكب الشرق وهي التي غلط في مطالعها فقال :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا  
أما صاحب الكشكول فهو من حزبه . ولكن ما يصنع بالعقاد الذي أخذ  
أهنته وأعد عدته لنقد الديوان نقداً قاسياً لا مراعاة فيه ، وقد أزمع على أن  
يقدم بين يدي النقد فصلاً في حياة شوقي وهو إذا فعل فقد أصبح شوقي  
وذيوانه هباءً منثوراً .

وهنا عطف حافظ على العقاد والمازني والدكتور طه حسين فقال : العقاد  
كاتب ملبح ألم تقرأ له شيئاً ؟ قلت : قرأت له الفصول ومطالعات ، قال  
هما كتابان جيدان . وأما المازني ( المازني ) فذاك صباب وأنا لا آبه  
له في كل ما انتقدي به وأخذه علي ، يكتر من الانتقاد ويمتبر الصواب خطأ ،  
وسبب ذلك قلة بضاعته من المعرفة ، فكل ما لم يحيط به علمه يمتبره خطأ ،  
وما أقل ما يعلمه وأكثر ما يجهله ، وهكذا يكون هذا النوع من الناس ،  
يسرعون إلى التخطئة لأن معرفتهم قليلة هزيلة ، فإذا أضيف إلى ذلك سوء  
النية مثل صاحبه أفتيح تمثيل . وكل نقد يواجهه الي على تلك الطريقة أضمه  
تحت قلمي فأعلوه . وأما طه حسين فأسلوب عجيب ، اسمع إذا شئت :  
« تنكرون أن القضية هي قضية ، ولكم رأيكم في أنها ليست قضية ، ولنا  
رأينا في أنها قضية ، وإنما نريد أن نتكلم من حيث أنها قضية . . . » والحق  
إنه جاحظ هذا العصر في قدرته وقوة طبعه ومطاوعة القول له وطول نفسه ،  
والحرب التي تدور رحاها الآن بينه وبين الرافعي من أجل الشعر الجاهلي شغل  
الصحف والنوادب الأدبية ، والذي يطيل عمر هذه الحرب أن طه حسين مها

هدر وهدد وتوعد وحشر ونادى لم يسمعه الرافعي ، وأن الرافعي مها أرغى  
وأزبد وبرق وأرعد وصال وجال ولوَّح بسيفه وهن برمحه لم ينظر طه حسين  
إليه ، والذي يعجبني من الرافعي أسلوبه العربي الخالص .

ثم عاد الى شوقي فقال : « ما قلته في شوقي وشعره قليل من كثير ، ولكنه  
بالرغم من كل ذلك شاعر عظيم ، ولقد شاء القدر أن يقرن اسمي باسمه ،  
فما يذكر شوقي إلا ذكر حافظ ، وما يذكر حافظ إلا ذكر شوقي ، كالنمل  
وشراكها والقباقب وسيره ، وائن أخطأ في بعض شعره فلم يخل شاعر من  
الخطأ ، أذكر من أغلاطي في اللغة قولي في مطلع قصيدة لي بذكرى شكسبير .  
يحبيك من أرض الكنانة شاعرٌ شفوفٌ بقول العقربين مغرمٌ

فليس في العربية شفوف ( و كنت أظنها صحيحة ) بل مشغوف . ولم يظهر لي  
ذلك إلا بعد أن تليت القصيدة في الاحتفال الذي أقيم في بلاد الانكبايز  
لمرور ثلاثمائة سنة على وفاة شكسبير وبعد أن نشرت في الصحف بزمن طويل .  
على أن لشوقي من الإحسان ما يححو له كل سيئة ، من ذلك أن له بيتين  
وددت لو كانا لي بنصف دبواني ، قلت ما هما ؟ قال قوله في قصيدته  
( ذكرى كارنافون ) :

أفضى إلى ختم الزمان ففضه وحبا إلى التاريخ في محرابه  
وطوى القرون القهقري حتى أتى فرعون بين طعامه وشرايه  
ثم ذكر الشيخ محمد عبده فأثنى عليه وامتدح سيرته وحسن أخلاقه وعلمه  
وبلاغته وصحة ذوقه في الأدب قال : كنت والشيخ محمد عبده نجري في  
ليلة على قارب في النيل وكان أحد النوتية يعني ( حار الفراش بهم للآن ما ناموا )  
فقال لي الشيخ : يا حافظ خذ هذا المعنى وانظمه فإنه حسن . فنظمته في بيت  
من قصيدة :

حار الفراش بنا بما نكابده وضاق صدر الليالي عن تشكيننا

ثم نظمته أيضاً في قصيدة ثانية وزدت عليه فقلت :

حار الفراش وحررت فيه فأنجما  
تحت الظلام معذب ومؤرق  
قال وكان الشيخ رحمه الله إذا استحسن شيئاً من شعري قال (مش بطال)  
لم يزدني على درجة (مش بطال) شيئاً .

وقال : سمعت ليلة مع الشيخ وبنت عنده ، فلما كان الفجر قام الشيخ  
وتوضأ وصلى وطلعت الشمس وانتظر طويلاً حتى استيقظت ، فلما دخلت عليه  
قال لي : يا حافظ لم أتمكن على طول صحبتك لي من إصلاحك ، ولم تندر  
على إفسادي .

ثم أتى علي ذكر خليل مطران فلم ينله بسوء وقال : انه شاعر أديب  
وروى له فقرة بليغة من النثر ، ولما رأي استحسن معناها قال : انه أخذ هذا  
المعنى من فيكتور هوغو ، ثم روى له مقطوعة من الشعر أولها :

أنا لا أخاف ولا أرجي فرمي مهيئة ومرجي

وقرظها وقال : قلت لخليل مطران ضع (خرجي) مكان (سرجي) لأنك  
متى قلت « فرمي مهيئة » علم بالضرورة أن السرج فوقها ، وإلا فما معنى مهيئة  
الفرس ، وخرج كلمة صحيحة فصيحة .

وعلى ذكر خليل مطران ، اختلفنا مرة في أبنا أجمل وبعبارة أصح في أبنا  
أفبح من الآخر ، فكنت أدعي أنني أجمل منه وهو أفبح مني ، وكان يزعم  
عكس ذلك ، وطال الخلاف بيننا حتى اتفقنا على أن نحتكم إلى اسمعيل صبري باشا  
وتقبل بما يحكم به . فذهبنا إليه وشرحن له دعوانا ، وبعد أن استقصى في  
سؤال كل منا عما يدعيه لنفسه وعلى خصمه ، وبعد أن أطال النظر في وجه كل  
منا ، أعلن ختام المحاكمة وأصدر حكمه بقوله : « حافظ ابراهيم أجمل فرد ،  
وخليل مطران أفبح إنسان » فأنصرفنا وعند كل واحد منا أنه حكم له على



صاحبه ، فانا أقول ان الحكم لي وهو يزعم أن الحكم له وما زلنا مختلفين في تفسير الحكم الى الآن . فما تقول أنت ، هل حكم لي أم علي ؟  
قلت : بل حكم لك .

فقال : أصبت ، لأنه لما قال : « أجمل فرد » وصفني بالجمال على كل حال ، في حين وصف المطران بالقبح .

ثم سألتني عن شعراء الشام وهل فيهم من يعادل شعراء مصر ، قلت : انهم يقدمونكم على أنفسهم ويعتبرونكم أئمة . ولكن عندنا من المذنبين من ليسوا دون منشيئكم . قال : مثل من ؟ قلت : مثل شكيب أرسلان ومحمد كرد علي .  
قال : صحيح .

ثم قال لي : من هو الشاعر الشامي الذي ألقى قصيدة في الحفلة التي عقدت لخليل مطران بالقاهرة وقال في مطلعها :

لمسّنتُ الى الأهرام أرض الشام لو تستطيع جوى الى الأهرام

قلت شبلي الملائط ، قال هو شاعر ، ولكن ما أبشع ذلك المطلع .  
ثم قال والشاعر الذي كان عندنا منذ سنة ؟ قلت لعلك تعني الزهاري ، قال نعم . قلت ذلك عمراقي وليس بشامي ، قال كله واحد . قلت لقد رأيت الزهاري بدمشق بعد عودته من مصر واجداً في نفسه عاتباً عليك لأنك لم تزره .  
قال نعم ، الشعر الذي نشره عندنا ليس بذاك ، فضلاً عما فيه من الزندقة والإلحاد ، وهل في شرع الذوق والأدب أن يجي الضيف مدينة إسلامية كالقاهرة بمحاربة الإيمان ومظاهرة الإلحاد ؟ لك أن تقول : في مصر أيضاً من يجاهر بالإلحاد ويدعو اليه ، وجريدة السياسة ميدان يتبارى فيه دعاة الإلحاد ، وصاحبها حسين هيكل ينفخ في بوق الإلحاد ، تهاجم هذه الجريدة الإسلام في أصوله وأركانه ، والمسلمين في سننهم وعاداتهم ، وتدعو الى نبذ

م (٢)

كل ما هو شرقي والأخذ بكل ما هو غربي ، حملت منذ مدة هذه الجريدة على الطربوش ودعت الى لبس البرنيطة ، ولبسها أحد محرري الجريدة . نعم ذاك أمر تافه ولا يضر الإسلام في جوهره شيئاً ، ولكن الفلاح المصري لا يفهم من لبس البرنيطة إلا ترك الإسلام ، وليس من مصلحتنا أن نجعل هذه الملايين من الفلاحين تمنتقد أننا تركنا الإسلام . ونعود الى الزهاوي ، لم أزره لأنني كنت أيضاً غير مالك صحي ، قلت : هذه إضافة زائدة . قال ماذا أصنع ، قلنا تعمدل صحي ، ولقد خلاصت بمثل هذه المذرة من رثاء سليم مراكيس الذي أقيمت له حفلة تأبين منذ بضعة أيام .

وانتقل الى عبد المحسن الكاظمي فقال : شاعر قوي البديهة ولكنه منذ نزل مصر وقف حيث هو ولم يماش الزمن .

وروى بيتين للسيد توفيق البكري وقرظها كثيراً ولكنه قال ان معناهما مأخوذ وذكر المأخذ .

وبعد أن طال السمر وانقضى أكثر الليل ودخل وقت السحور ، نهض حافظ وقال : لا بأس وإن طال السهر فان تحت التراب نوماً طويلاً . ثم قال لي : ألا تزال مصراً على السفر ؟ قلت سأسافر الى الاسكندرية يوم غد إن شاء الله . قال سنراك هناك قريباً باذن الله ولعل ذلك يكون في العيد .

فليل صررم بك

—————

## الشعر الأندلسي

من أكبر مميزات الشعر الأندلسي التي تطالعنا عند بحثه أولاً ، أنه شعر حضري لا جاهلية له . وليس يشبهه في ذلك شعر قطر من الأقطار العربية . حتى العراق الذي بذ الأندلس في الحضارة نجد في شعره إثارة من هذه الجاهلية لا تخفى على الناقد البصير . أما في الألفاظ فإنها تكاد تلمس ، وأما في المعاني فإن رواسب من أفكار شعراء الجاهلية لا تفتأ تطفو حيناً بعد حين على صفحة هذا الشعر الرفراق الذي قيل - ويقال حتى الآن - عند ضفاف الرافدين . ولعل مرجع ذلك في البلاد العربية الى جسارة في الطباع ، وفسادة في البقاع ، فان الاقليم في الشرق ، ولو في العراق ، غيره في الغرب ولا سيما الأندلس . والمزاج بتكيف بتكيف الاقليم رقة وغلظة ، وليناً وشدة ، ما في ذلك شك . وقد كان شعراء العراق كغيرهم ، يخرجون الى البادية ، فيتنقلون في القبائل لأخذ اللغة عن أربابها ، وتعلم الفصاحة من أصحابها ، كما نرى في ترجمة المتنبي والبحتري وأضرابهما ، فلزمهم هذه البداوة وظهر أثرها في شعرهم . وأين هي هذه البادية من شعراء الأندلس الذين ولدوا في مجبوحة الحضارة ونشأوا في غضارة الترف ، فولد الشعر معهم ونشأ حضرياً مترقياً .

ومن بدا منهم كابن عبدون فانما قصاراه من البداوة المظهر الذي شعره الوزير أبا بكر بن زهر<sup>(١)</sup> ، وأما الخبير ، فانه الذي انجلى عن قصيدة :  
« الدهر يجمع بعد العين بالآثر »

(١) انظر حكايته معه في المعجب للمراكشي .

وأما هؤلاء الشعراء الذين طرأوا مع الفتح من مثل أبي الخطار الكلبي والصميل بن حاتم فانهم وإن كانوا يذهبون في شعرهم مذهب أهل الجاهلية ، فإننا لا نعدم بحال من شعراء الأندلس ، لأنهم لم ينشأوا فيها ولم يشتهروا بشعر كثير فيؤثروا فيمن أتى بعدهم ، فبقي الشعر الأندلسي مصوناً من عنجية البدو ، لجاهلية له مطلقاً .

ولقد استمر الحال بعد الفتح على ما يقتضيه طور التمهيد والتنظيم من الانصراف عن شؤون الأدب والشعر إلى أن قدم عبد الرحمن الداخل ، أي نحواً من ٤٦ سنة . وحينئذ انفسح المجال أمام شعراء الأندلس للتخليق في جو « الصقر »<sup>(١)</sup> الذي أتى إلى النخلة بهذه الفئحة السحرية :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل  
فقلت شبهي في التغرب والنوى وطول اكتآبي عن بني وعن أهلي  
ومن ذلك اليوم تحدد موقع الشعر في الجزيرة ، فن الوجهة الاجتماعية كان الأمير المنشي للدولة المؤثر لمجد الإسلام شاعراً يعبر عن عواطفه بشعر بليغ ونظم رقيق ، فلم يستنكف من أتى بعده من الشعراء أن ينسجوا على منواله في تعاطي الشعر وحب الأدب حتى كان كل أمراء بني أمية وخلفائهم تقريباً شعراء . وكذا ملوك الطوائف الذين خلفوهم من بعد ، والناس على دين ملوكهم كما يقال ، فقامت للشعر دولة ببلاد الأندلس لم يكن لها مثلاً بالبلاد الأخرى . وبينما كان « الشعر بالعلماء يزرى » في المشرق كما أتى في بيت للشافعي رحمه الله<sup>(٢)</sup> ، كان العلماء في الأندلس يتسابقون لتنظيم الشعر ويتباهون بمعرفته ، ولا يمدون العالم كاملاً إلا إذا شارك في علوم الأدب بأوفر نصيب<sup>(٣)</sup> .

(١) يلقب عبد الرحمن الداخل بصقر قریش .

(٢) وهو قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

(٣) انظر الرافعي ، ص ٢٨٥ تاريخ آداب العرب ج ٣

ولهذه المكانة التي كانت له في النفوس كثرت رغبة الناس فيه ، وصار طلبة الخاصة والعامة ، حتى قيل في مدينة شلب ان قليلاً من أهلها من لا يقول الشعر ، ولو مررت بالفلاح في فدانه وسألته عن الشعر قرض في الحال ما اقترحت عليه (١) .

ومن الوجهة الأدبية ، فان الشعر في الأندلس لم يكن رجماً لصدى الشعراء القدماء ولا طبعاً على الروامح (السكيشيات) الممهودة ، فان عبد الرحمن لما كان فربداً غريباً في بلاد غير بلاده ورأى النخلة في موطن غير موطنها أشبه شيء به ، هاجت شاعريته ونطق بذلك الشعر الذي عبر عن ذات نفسه ، ولم يكن صنعة ولا زوراً من القول ، فلفت نظر الشعراء بعده الى هذه الطبيعة البدوية ، أو قل ان هذه الطبيعة التي أنطقته ، لفتت نظرهم الى جمالها الفاتن وسحرها العجيب فقالوا فيها ما شاءوا وتفننوا ما أرادوا .

ومن ثم كان أكثر شعرهم في الوصف والتصوير ولا سيما لمظاهر الطبيعة من الرياض والأزهار ، والجبال والأنهار ، والسحاب والأمطار ، حتى عد ابن خفاجة أكثر وصف الطبيعة وأحسنهم قولاً فيها ، وألف أبو الوليد الحميري من أدبائهم كتاباً كاملاً من شعرهم في نعمت الرياحين والزهور سماه «البديع في وصف الربيع» وهو من عاش في أول القرن الرابع ، فما بالك بما قيل بعده في هذا الصدد ؟

ولعل أول شاعر أندلسي يمثل بروحه الخفيفة وأدبه المرح ، هذا المحيط الحضري الرائق الذي نشأ فيه الشعر الأندلسي ، هو يحيى الغزال المتوفى حوالي سنة ٢٥٠ ، وشعره مرآة صادقة لنفسه الطروب ، وقد كان ذهب سفيراً الى بلاد الروم فأعجب به الملك والملكة أيما إعجاب لفرط أدبه وجماله ، وجرت له مع الملكة محاورات جميلة ، وقال في ذلك أشعاراً لطيفة .

(١) ياقوت في معجم البلدان .

ثم يأتي بعده أديب الأندلس أحمد بن عبد ربه، مؤلف كتاب «المقدّم» المعروف، وكان الجو الأدبي بالأندلس يزداد صفاءً كل يوم فلذلك جاء شعره بفتح بغير الحضارة ويكاد يشرب من رفته وعذوبته، وهو ان ألف لقومه أدب المشاركة، فقد أعطى لهؤلاء نماذج من أدب الأندلس في مقطوعاته البديعة التي ضمنها كتابه الفريد. وابن قال صاحب ابن عباد في المقدم لما وقف عليه، «هذه بضاعتنا ردت إلينا» فلقد قال المتنبي في صاحب المقدم، «إيه يا ابن عبد ربه، لقد تأتيتك العراق حبوا» وذلك عندما سمع أبياته العديدة النظير:

يا أولوا يسبي العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رقيقا

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله درأ يعود من الحياة عميقا

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه ألفت وجهها في سناه غربقا

يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا<sup>(١)</sup>

وقد كان هذان الأديبان هما طرفا الأدب في القرن الثالث<sup>(٢)</sup> وذكرهما

بغني عن ذكر غيرهما.

فلما دخل القرن الرابع دخلت الأندلس معه في عصرها الذهبي، حيث بلغ التمدن بها أوجه تحت حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والمنصور ابن أبي عامر فانتشرت العلوم والفنون، وارتقى المستوى الفكري غاية لم يصلها من قبل.

وفي هذا العصر كان التعليم قد عم صائر الطبقات، فقلما نجد انساناً لا يعرف القراءة والكتابة، والرجال والنساء في ذلك سواء<sup>(٣)</sup> وإذا عمّ التعليم بهذه الصفة تهيئت المشاعر وتهذبت الأذواق ونشطت الحركة الأدبية من عقابها وتقدمت

(١) المقري في نفع الطيب ج ٤ ص ٢١٨

(٢) الرافعي في تاريخ آداب العرب ج ٣ ص ٢٧٥

(٣) دوزي في كتابه الإسلام الإسباني.

أشواطاً بعيدة في ميدان الابتكار والتجديد ، لأن الأمة التي نضجت أفكارها لا تقبل من الانتاج إلا ما كان حربياً بالقبول . وكان من أثر هذا النضج الأدبي اختراع الموشحات التي صارت زينة الشعر العربي ، وهي هدية المغرب الى المشرق التي تقبلها بكامل السرور وسنتكم عنها فيما بعد .

وقد أظل هذا العصر كبار شعراء الأندلس من مثل أبي القاسم بن هاني وابن دراج الفسطلي والرمادي ، وناهيك بهؤلاء الثلاثة .

فأما ابن هاني فهو الذي يقال له مثنوي المغرب ، عاش عيشة الاستهتار حتى نألب عليه أهل بلدة اشبيلية وخرج منها ولحق بالمدرة فلقني الخليفة المعز الفاطمي ومدحه فحظي عنده وكان يريد استصجاباه الى مصر ، فمات مختصراً في عنفوان الشباب نتيجة اسرافه في السكر والمجون .

ولما بلغت وفاته المعز أصف عليه وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك . وكان يذهب في شعره مذاهب شتى من التفلسف والاستخفاف بالدين ونقد المجتمع . وله أسلوب مثنى وعبارة جزلة ، واشتهر بحسن التشبيه وإجادة الوصف . ومن جيد شعره قوله :

أليتنا إذ أرسلت وارداً وحفاً      وبتنا نرى الجوزاء في أذننا شفا

وبات لنا ساق يقوم على الدجا      بشحمة صبح لا تقط ولا تظفا

أغن غضيض خفف الين قده      وثقلت الصهباء أجفانه الوظفا

ولم يبق ارعاش المدام له بدأ      ولم يبق اعنات الثثني له عظفا

الى آخرها وهي قصيدة شهيرة .

وأما ابن دراج فقال فيه الشقندي : انه شاعر الأندلس . وقال الثمالي : هو بالصقع الأندلسي كالمثني بصقع الشام ، وكان شاعر الدولة العاصرية غير مدافع ، وتأخر به الزمان الى أوائل القرن الخامس ، وأدرك ملوك الطوائف . وله القصيدة الرائية الرائمة التي عارض بها أبا نواس فأرجم عليه ، وفيها يقول :

لم تعلمي أن الثواء هو التوى وأن بيوت العاجزين قبور  
وان خطيرات المهالك ضمن لراكبها ان الجزاء خطير  
وأما الرمادي فهو يوسف بن هريرة الكندي . كان معاصراً للمتنبي ،  
وكان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة ، وختم  
بكندة ، يعنون أصراً القيس في الافتتاح لأنه من كندة على ما هو معروف ،  
والمتنبي والرمادي في الاختتام لانتسابها معاً في كندة (١) . وكان شاعراً الحكم  
المستنصر واختص بالحاجب المصحفي فأصابه شرر النكبة التي أنزلها المنصور  
ابن أبي عامر بالحاجب المذكور ، وله من قصيدة هذه الأبيات البليغة .  
في أي جارحة أصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل  
ان قلت في عيني فثم مدايمي أو قلت في قلبي فثم غايي  
لكن جعلت له المسامح موضعاً وحجبتها عن عدل كل عدول  
وإذا تخطينا عتبة القرن الرابع الى الخامس ، عصر ملوك الطوائف ، وجدنا  
أن هيئة الخلافة الأموية وعزة سلطانها وان زال معها فان مجدها الأدبي بقي  
متمثلاً في عدة عوامم بعد أن كان محصوراً في قرطبة . . . فهذه اشبيلية وفيها  
بنو عباد أصبحت تنافس قرطبة وتجاذبا رداء الفخار في هذا المضمار ، وهذه  
طليطلة - وفيها بنو ذي النون - وسرقسطة - وفيها بنو هود - وبطليوس  
- وفيها بنو الأفيطس - وغرناطة - وفيها بنو زيري - والمرية - وفيها بنو صادق -  
ومالقة - وفيها بنو حمود - في كل منها بلاط حافل بأهل العلم والأدب وملوك  
يتسابقون الى الحصول على المشاهير من الكتاب والشعراء (فما كانت أعظم  
مباهاتهم إلا قول : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص  
بالملك الفلاني) (٢) .

(١) ابن خلكان

(٢) الشقندي في رسالة المفاضلة بين الأندلس والمغرب .



وإذا كانت قرطبة قد احتجبت في عهد الخلافة الأموية سائر أهل الكفاءات الأدبية ، فقد أدبت منها هذه العواصم الأخرى ، وكان ذلك في صالح العلم والأدب حيث ان ازدهار البلاط القرطبي بأهل الفضل والنبل كان لا يدع مجالاً للناشئين والوافدين من غير أهل الشهرة . وحسبك بما وقع لصاعد في أيام المنصور بن أبي عامر وما قاماه من مكائد المنافسين له . وأما الآن فان الأديب أصبح بالخيار على زمنه ، وحكمه نافذ على أميره ، لأنه إذا آنس اهمالاً أو تضييعاً سرعان ما يتحول الى حيث العز والكرامة في بلاط آخر . وعلى كل حال فان هذا التنافس قد أبرز من الملكات ما كان خفياً ، ومن الشخصيات ما لولاه لكان نسيماً منسياً ، وبذلك كانت الحياة الأدبية في هذا العصر أزهى وأزهى منها في كل عصر آخر من عصور العرب في الأندلس ، فان عدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر لا يكاد يأتي عليه الاحصاء . وكانت الظاهرة الأدبية الغالبة على أدبائه ومثقفيه بل وفقهائه وعلمائه هي الشعر . . . فلا تجد عالماً ولا فقيهاً فضلاً عن أديب لا يتعاطى الشعر ولا ينظم منه شيئاً ولو قليلاً . وقد طغى ذلك على ما عند بعض العلماء فكانت صفته الشعرية أبرز جوانب حياته أو على الأقل تجد جانب الشعر من حياته يتكافأ مع جانب العلم ، كما نرى في أبي بكر بن باجة الذي عرف للعالم بكونه أديباً موهوباً وشاعراً بليغاً كما عرف بكونه فيلسوفاً وطبيباً وموسيقياً ونباتياً بارعاً في الجميع . وكم له من نظير بين العلماء وبين الفقهاء . وقد ترجم الفتح في «القلائد» و «المطمح» لكثير من العلماء وما اعتبر فيهم إلا الناحية الأدبية والشعرية كأنها هي المقصودة بالذات وما زاد عليها فانما هو فضل وناقلة من القول والعمل .

وإذا ذهبنا نعرض أسماء الشعراء البارزين في هذا العصر نجد في طليعتهم أبا الوليد بن زيدون الذي يطلق عليه بحتري المغرب<sup>(١)</sup> لرقه ديباجته وتفننه

(١) ابن بسام الذخيرة ج ١ ص ٣٢٦

في ضروب الشعر . وحقيقة فانه اذا كان ابن هانيء كالمثني يعتمد في إثارة  
الشعور على إظهار القوة باصطناع الألفاظ الجزلة وتجسيم الأحداث الخطيرة مع  
تحكيم العقل فيما يعرض من وقائع الحياة ، فان ابن زيدون كالبحثري انما  
يعتمد على الناحية الوجدانية فلا ضوضاء ولا جلبة وانما هي معان جميلة وصور  
محرية لهواجس النفس وأحاسيس الضحير في ألفاظ رقيقة كالثمرة الناضجة  
تندفق مائة وحلاوة . فقارته اذا كان متفتق الذهن مرهف الحس يشمر كأنه  
ينطق بلسانه ويمبر عن ذات نفسه ، لأنه يمتزج به امتزاجاً وبهم ممة في أردية  
الخيال الفسيحة فلا ينتبه لنفسه إلا اذا انتبه الشاعر ، فرجع من رحلته وأفاق  
من غيبوته .

وبكفي أن يستمرض الباحث قصيدته الفريدة التي بقولها في الشوق الى  
حبيبته ولادة بنت المستكفي ليرى حسن الافتنان في الوصف وجمال التصوير  
للعواطف ورقة الشعور في الحب ، وهي القصيدة التي لم يقل - مع طولها -  
في التشبيب أرق منها <sup>(١)</sup> فبعد أن يفتتحها بوصف حاله في البعد وشكوى الزمان  
في التفريق بينه وبين حبيبته فيقول :

أضحى التنائي بدبلاً من تدانينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنأه فما ابتلت جوانحنا	شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
بكاد حين تناجيكم ضمائرنا	يقضي علينا الأمل لولا نأصينا
حالت لفقكم أيامنا فقدت	سوداً ، وكانت بكم أيضاً لبالينا
إذ جانب العيش طلق من تألقنا	ومورد اللهب صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأوس دانية	فطوفها ، لجنيننا منه ماشينا
ليسق عهدكم ، عهد السرور فما	كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

(١) السنتقدي

يقول في وصفها ونشأتها الارستوقراطية وتوصله اليها بكفاءة المودة :  
 وبيت ملك كأن الله أنشأ مسكاً وقد أنشأ الله الوري طينا  
 أو صاعه ورقاً محضاً وتوجه من ناصع التبر ابداعاً وتحسينا  
 إذا تأود آدته رفاهية تدمي العقول وأدمته البري لينا  
 كأنما نبتت في صحن وجنته زهر الكواكب تعوبداً وتزيينا  
 ما ضر ان لم نكن أكفاهه شرفاً وفي المودة كاف من تكافينا

ويطول بنا الحال اذا تدبنا ما فيها من عيون الأبيات وفرائد المعاني . وقد ولد ابن زيدون في قرطبة في أعقاب الدولة الأموية ولكنه لم ينفخ ولم يشتهر إلا بعد انقراضها . وخدم ابن جمهور في قرطبة والمعتمد بن عباد في اشبيلية ثم ولده المعتمد وزين له غزوه قرطبة فلما كملها . وكان يلقب بذي الوزارتين ، وبلغ في علو القدر ورفعة الشأن ما لم يبلغه أديب غيره . وتمشق ولادة بنت المستكفي وكانت أديبة شاعرة إلا ان الوزير ابن عبدون كان ينافسه في حبها واستأثر بها دونه وكاد له بسبب ذلك مكائد . وتوفي عام ٤٦٣ .

وكان ابن عبدون عند بني الأفطس في بطليوس كابن زيدون عند بني عباد باشبيلية ، وهو نظيره في الأدب والشعر . وسير في رثاء مواليه لما دالت دولتهم على يد المرابطين قصيدته الخالدة التي يقول فيها :

الدهر يجمع بعد المين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور  
 أنهاك أنهاك لا آوك منصحة عن نومة بين ناب الليث والظفر  
 فالدهر حرب وان أبدى مسالمة والبيض والسود مثل البيض والسمر  
 ولا هوادة بين الرأس تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر  
 فلا يغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينها سوى السهر  
 ما الليالي - أقال الله عثرتنا من الليالي - وخانتها يد الغير

في كل حين لها في كل جارحة منا جراح وان زاغت عن النظر  
تسرُّ بالتي ، لكن كي تفرَّ به كالأيم نار الى الجاني من الزهر  
٠٠٠ وقد ذكر فيها مصارع الملوك وعظاء الرجال الى زمنه ، ثم بكى بني الأفطس  
بما لم يبك به شاعر دولة . ومن أبياتها الفذة هذا البيت الذي عبَّر فيه عن  
علوية في براءة علوية :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر  
ويقول بعده مشككاً في اغتيال الحسن بن علي بما هو أبلغ من اليقين :  
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة الألباب والفكر  
فبعضنا فائل ما اغتاله أحد وبعضنا صاكت لم يوت من حصر  
ومنها في ذكر المتوكل وولديه العباس والفضل من بني الأفطس :  
ويج السماح ووبب البأس لو سما وحسرة الدين والدنيا على عمر  
سقت ترى الفضل والعباس هامية تمزي سماحاً اليهم لا الى المطر  
الى أن يقول :

على الفضائل - إلا الصبر - بعدهم سلام مرتقب للأجر منتظر  
وبالجملة فانه هما قيل في وصف هذه القصيدة وتقر يظها فان القائلين لم يوفوها  
حقها ولم يكونوا مبالغين فيما قالوه عنها . وأحسن شيء فيها هو ما سلكه  
ابن عبدون من البكاء والاصتباك على ضياع ملك سادته ، وإبادة الدهر لهم  
من غير أن يعرض بخصوصهم المرابطين ولا أن يثناوهم بأدنى تبريح ، وتلك  
لمحري براعة تشهد له بحسن التصرف في القول والتفنن في الكلام . وكان  
المتوكل بالمكان الذي وصفه ابن عبدون وأعظم نبوغاً في العلوم والآداب مع  
رسوخ قدم في الجود والشجاعة . ولم يكن في ملوك الطوائف أفضل منه ولا

من المعتمد بن عباد ، فإنها كانا فرسي رهان في جميع الفضائل وخاصة العلم والأدب . وكان المعتمد أشعر والمتوكل أكتب<sup>(١)</sup> .

وإذا ذكرنا المعتمد فلا بد أن نعطي صورة مصغرة عنه وعن أدبه ، فقد كان هذا الملك الشاعر فذاً في الملوك ، فذاً في الشعراء . حتى لقد بلغ من شأنه أنه لا يمكن أن يذكر ملوك الطوائف بل ملوك الأندلس على العموم ولا يذكر المعتمد ، وأنه لا يمكن أن يذكر شعراء الأندلس أو الشعر العربي على العموم ولا يذكر المعتمد . وكان مما انطوى عليه من الفضائل واحتواء من المكارم بحيث لو لم يثبت وجوده تاريخياً لقلنا أنه شخصية خيالية أضفى عليها الشعر والقصص حلاً وبروداً من الأجلال والتقديس . ففي حالة الشدة والبأس نجده مكافحاً عبقرياً لإثبات ملكه وتوسيع نفوذه ، ومجاهداً متفانياً في صد موجة الاكتساح الاسباني الذي أراد أن يستصفي الأندلس في أواسط القرن الخامس . وفي حالة الرخاء والنعيم نجده ذلك المترف المرفه الذي أسرف في المتاع وأسرف في الاستهتار حتى كان له يوم الطين الذي لم يكن لملك غيره<sup>(٢)</sup> . وفي الشعر والأدب نجده ذلك العلم المفرد بين الملوك والرؤساء ، قد انقطع لمطارحة شعراء وقته من وزراء وكتاب بالقصائد البليغة والأبيات النادرة حتى يحسبه الانسان أنه لا شغل له إلا قول الشعر والاجتهاد في إجادته وإحسانه . وكيف لا وقد نشأ في بيت الشعر والأدب والرياسة والملك ، فقد كان أبوه المعتضد وجده أبو القاسم شاعرين . وكان لأبيه دار مخصوصة بالشعراء وديوان تقيده فيه أسماؤهم ، وقد جعل لهم يوماً بفرغ لهم فيه فلا يدخل على الملك فيه غيرهم<sup>(٣)</sup> . واجتمع بحضرة المعتمد منهم ما لم يجتمع بحضرة غيره ، فكانت عنده ابن زبدون وابن عمار وابن اللبابة ، وكل واحد من هؤلاء فيه كفاية .

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٥٨٣

(٢) انظر النفح ج ٢ ص ٤٨٤

(٣) النفح ج ٢ ص ٤٦٨

على أن شخصية المتمد زادت بروزاً بهذه النكبة التي حافت به وتركت  
الأكباد تنقطع حسرة على ما أصابه من أمي وفضيحة بعد سابق العز والسلطان .  
وزاد شعر المتمد في هذه المدة إثارة للبلابل في الصدور وتجرّبكاً للشجو  
والنفوس ، فكان والحق يقال أشجى شعر قيل في نكبة حقت بهظم . ومن  
شعره هذا :

لما تماسكت الدموع وتنهنه القلب الصديع  
قالوا الخضوع سياسة فليبدُ منك لهم خضوع  
وَأَلذَّ مِنْ طَعْمِ الْخَضُوعِ عَاطِي فِي السَّمِ النَّقِيعِ  
إِنْ تَسْتَابِ عَنِي الدُّنَا مَلِكِي وَتَسْلِحِي الْجَمُوعِ  
فَالْقَلْبَ بَيْنَ ضَلُوعِهِ لَمْ تَسَلِ الْقَلْبَ الضَّلُوعِ  
لَمْ أَسْتَبِ شَرَفَ الطَّبَا عَاطِي أَيْسَابِ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ  
قَدْ رَمَتْ يَوْمَ نَزَاهِمِ الْآتِ تَحْصِنِي الدَّرُوعِ  
وَبَرَزَتْ لَيْسَ سِوَى الْقَحِيصِ عَنِ الْحَشَاثِيهِ دَفُوعِ  
وَبَذَلَتْ نَفْسِي كِي تَسِيلُ إِذَا يَسِيلُ بِهَا النَّجِيعِ  
أَجَلِي تَأْخِرُ لَمْ يَكُنْ بِهَوَايِ ذَلِي وَالْخُشُوعِ  
مَامَرْتِ قَطُّ إِلَى الْقِتَا لَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الرَّجُوعِ  
شِيمِ الْأُلَى أَنَا مِنْهُمْ وَالْأَصْلُ تَنْبَعُهُ الْفُرُوعِ

ومنه في يوم عيد وهو بالسجن :

فبما مضى كنت بالأعياد مسرورا  
تري بناتك في الأطار جائمة  
يطأن في الطين ، والأقدام حافية  
أفطرت في العيد لا عادت إساءته  
فساءك العيد في أغمات مسرورا  
بفزلن للناس ما يملكن قطميرا  
كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا  
فكان فطرك في الأعياد تظميرا

قد كان دهرك إن تأمره ممثلاً فردك الدهر منهيًا وأمورا  
من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالأحلام مغرورا  
وإذا ذكر المعتمد ذكر معه بالطبع ابن عمار وزيره ورفيقه ونظيره في الشعر .  
وهو من كان يذهب مذهب المنبي وبأخذ أخذه في طب المعالي والتهمم  
بالسلطان . وشعره مرآة لنفسه القوية وطبعه الجموح . على أنه كسائر شعراء  
الأندلس رقيق الفزل لطيف المحاولات لفنون الشعر المختلفة ، وكان قد لحق بخدمة  
المتضد بن عباد واختص بولده المعتمد ولزمه ملازمة شديدة حتى صار لا يرى  
إلا معه . ولما ولي المعتمد على مدينة شب من قبل والده استوزره وسلم إليه  
جميع أموره فطلب عليه ابن عمار غلبة شديدة وساءت السمعة عنها ففرق بينهما  
المتضد وأبعد ابن عمار عن أياكته فلم يزل مبعداً حتى توفي المتضد فاستدعاه  
المعتمد وقربه أشد تقرب . ثم وقع بينهما ما أوجب سجنه وقتله . وقد تشفع له  
ابن عمار واستمطفه بيلينغ الأشعار فلم يؤثر ذلك فيه شيئاً ، والملك كما يقولون ،  
عقيم ، لا يرعى على ولي أو حميم . ومن شعره يستمطفه :

سجايك إن عافيت أندي وأسمح  
وان كان بين الخطبين ضربة  
وماذا عسى الأعداء أن يتزبدوا  
وإن رجائي أن عندك غير ما  
أقنني لما بيني وبينك من رضى  
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم  
وقالوا سيجزبه فلان بذنبه  
ألا إن بطشاً للمؤبد برغمي  
وعذرک إن عاقبت أجلي وأوضح  
فأنت إلى الأذنى من الله تخرج  
سوى أن ذنبي ثابت ومصحح  
ينخوض عدوي اليوم فيه ويمرح  
له نحو روح الله باب مفتوح  
فكل إناء بالذي فيه يرشح  
فقلت وقد يمفو فلان ويصفح  
ولكن حملاً للمؤبد يرجح

ومن شعره قصيدته التي صارت أشرد من مثل (١) في مدح المعتضد، وكانت  
سبب تقريبه له . وأولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى  
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبرا  
ومن آياتها بيت قال فيه المراكشي صاحب « المعجب » انه لم يسمع لمقدم ولا  
لمتأخر مثله (٢) وهو قوله :

السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب إن كانت يمينك منبرا  
وله حين فرق المعتضد بينه وبين المعتمد ، وهو مما تظهر عليه نزعة المتنبّي :  
عليّ ، والا ما بكاء الغنائم وفيّ ، والا ما نباح الحمام  
وعني أثار الرعد صرخة طالب لثأر وهز البرق صفحة صارم  
وما لبست زهر النجوم حدادها لغيري ولا قامت له في مآتم

وإذا كان عصر ملوك الطوائف قد انتهى مع هؤلاء الشعراء ، فإنه قد امتد  
مع غيرهم كابن اللبانة وابن خفاجة وسواهما إلى عصر المرابطيين . . فأما ابن اللبانة  
فهو أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي من أهل مدينة دانية . وقد اشتهر بوفائه  
للمعتد ورثائه له بعد موته ، وهو شاعر من أهل الإجازة والإحسان . وقد  
على المعتمد في أواخر أيامه ومدحه . ثم بعد زوال ملكه لحق بجزيرة ميورقة ومنها  
ببشر الماصري فخطي عنده ، وله فيه أمداح . ومنها قصيدة غريبة المتزع  
جعلها من أولها إلى آخرها ، صدر البيت غزل وعجزه مدح ، وهي :

وضحت وقد فضحت ضياء النير فكأنما التحفت ببشر ببشر  
وتبسمت عن جوهر فحسبته ما قلده محامدي من جوهر  
وتكلمت فكان طيب حديثها تمتت منه بطيب مسك أذفر

(١) الشقندي

(٢) المعجب ص ١١٧



هزت بنعمة لفظها نفسي كما هزت بذكراه أعالي المنابر  
 أذنت واستغفرتها فجرت على عادته في المذنب المستغفر  
 وأما ابن خفاجة فهو شاعر الطبيعة المبدع في وصف آثارها ومظاهرها ، من  
 الرياض والرياحين والماء والقيام والشمس والظل والجبال والأشجار وما إلى ذلك .  
 لم يلائق إلى منصب ولا إلى جاه . ملا جمال الدنيا عينيه فما لبكيتته إليه ،  
 يقني ويشرب ، ويشعر ويضطرب ، إلى أن توفي بسقط رأسه من جزيرة شقر .  
 ومن شعره يصف نهراً :

لله نهر صال في بطحاء أشهى وروداً من لى الحسناء  
 متعطف مثل السوار كأنه والزهر بكفنه ، بحر سماه  
 قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً من فضة في برودة خضراء  
 وغدت تحف به الفصون كأنها هذب يحف بمقلة زرقاء  
 والماء أسرع جريه تهـدراً متلوباً كالحيمة الرقطاء  
 والريح تعبث بالفصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء  
 وله في بلاد الأندلس :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار  
 ماجنة الخلد إلا في دياركم ولو تحيرت هذي كنت أختار  
 لا تخشوا بعدها أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

وبعد ملوك الطوائف والمرابطين أظن الأندلس ملك الموحدين ، وقد بلغت  
 إلى أقصى غايات المجد العلمي والرفي الفكري . ففي عهدهم نبغ الفلاسفة العظام  
 مثل أبناء زهر وابن طفيل وابن رشد ، وزادت النهضة الأدبية اتساعاً حتى أصبح  
 الشعراء يعدون بالعشرات . ولقد جلس لهم المنصور الموحدي يوماً وجاءوا بهنئونه  
 بانتصاره في موقعة حربية ، فكانوا من كثرتهم إنما يلقون البيت الأول من قصائدهم

م (٣)

ويضعون الورقة التي كتبت فيها القصيدة أمامه ، فما انتهى عددهم حتى كانت الأوراق تحول بينه وبين الناس من كثرتها<sup>(١)</sup> . ولا نستطيع أن نعد جميع الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر ، وإنما نقصر على ذكر ثلاثة أفراد منهم نعتقد أنهم يمثلون عصرهم أحسن تمثيل . وهؤلاء هم الرصافي وابن مجبر وصفوان ابن ادريس .

فالرصافي هو محمد بن غالب البلنسي ، نسب الى رصافة بلنسية ، وكان شاعراً مجيداً نزيهاً عفيفاً ، وله في عبد المؤمن بن علي القصيدة المشهورة التي أولها :

لو جئت نار المهدي من جانب الطور      قبست ما شئت من علم ومن نور  
وفيها يصف جبل طارق - وكان عبد المؤمن يسميه جبل الفتح - وصفاً بليغاً  
ويذكر مجمع البحرين وأسطول الموحدين الحربي ويمدح المهدي ابن تومرت  
وعبد المؤمن مشبهاً لها بموسى وبوشع عليهما السلام ، وهاك قوله في وصف الجبل :

لله ما جبل الفتحين من جبل	معظم القدر في الأجيال مذكور
من شامخ الأنف في سحنائه طلس	له من القيم جيب غير مزور
معبراً بذراه عن ذرى ملك	مستمطر الكف والأكناف مطور
تسمي النجوم على إكليل مفرقه	في الجو حائمة مثل الدنانير
وربما مسحته من ذوائبها	بكل فضل على قودبه مجرور
وأردد من ثناياه بما أخذت	منه مفاحم أعواد الدهارير
محك حاب الأيام أشطرها	وصافها سوق حادي العير لاهير

وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري من أهل بليش ، قرية قرب مالقة ، كان من أشهر أهل زمانه وكان مختصاً بالمنصور الموحد ملازماً له ، وكان المنصور يعظمه ويقدمه على غيره من شعراء وقته وله

(١) النسخ ج ٢ ص ٤٣٠

فيه أمداح كثيرة ، وهو القائل في وصف المقصورة « الأوتوماتيكية » التي

أنشأها المنصور بجامعه بمدينة مراکش بعد ما عجز الشعراء عن وصفها :

طوراً تكون بين حوته محيطية فكأنها صور من الأسوار

وتكون حيناً عنهم مخبوءة فكأنها سر من الأصرار

وكأنها عمت مقادير الوري فنصرفت لهم على مقدار

فاذا أحست بالأمر يزورها في قومه قامت الى الزوار

يبدو فتبدو ثم تخفى بعده كتكوت المالات للاقمار

وأما صفوان بن ادريس فهو أبو بحر التيجي من أهل مرسية ، كان شاعراً  
وكاتباً وله كتاب « زاد المسافر » الذي هو أحد المجموعات التي تؤلف خزائن الأدب

الأندلسي ، ومن شعره الممزجة المشهورة بين أدباء المغرب وأولها :

جاد الربى من بانه الجرعاء نوان من دمعي وغيم سماء

فالدمع يقضي عندها حق الهوى والفيم حق البانة الغناء

خلت الصدور من القلوب كما خلت تلك المقاصر من مها وظباء

ولقد أقول لصاحبي وإنما زخر الصديق لا كالأشياء

يا صاحبي ولا أقل - اذا أنا ناديت - من أن تصفيا لندائي

عوجا نجار الغيث في سقي الحمى حتى يرى كيف انسكاب الماء

ونسن في سقي المنازل سنة نمضي بها حكماً على الظرفاء

وبأقي بعد هذا العهد عهدُ غرناطة وملوك بني الأحمر ، وحسبنا أن نذكر

غرناطة فنذكر الشعر والشعراء والحياة الأدبية الراقية التي قضتها هذه المدينة

في عهد ملوكها الراقين في حلل النعيم في قصور الحمراء الزاهية وبين ظلال جنات

العريف الوارفة . ولا حاجة بنا الى ذكر شعراء هذا العهد ، فان واحداً منهم

يكفي للتنبؤ به بنهضة الشعر فيه وهو لسان الدين بن الخطيب الذي ملأ الدنيا

شعراً وأدباً ، وعفى ذكره على السابقين واللاحقين من أدباء الأندلس ، فما من مجال

إلا وله فيه ذيل سبب ، وما من موضوع إلا وقد تناول به بذراع رحب ، وبقدر ماله في الشعر من الآيات البيّنات ، فإن له في النثر الفني والكتابة العلمية والتاريخية الآثار الخالدات . وبالجملة فقد كان معجزة قطره ومنخرة عصره ، ولم يبلغ من قال فيه أنه شاعر الدنيا وأديب الأندلس ؛ إذا كان يقصد دنيا العروبة في هذا العهد . ولا نستطيع أن نقدم نماذج من شعره تمثل نفسه وطابعه الأدبي ، فإن شعره كثير ومناحيه الفنية متعددة ، فلنقتصر على قطعة أو قطعتين منه « وعن البحر اجتزاء بالوشل » قال يتشوق :

سقى الله نبيداً ما نضحت بذكرها      على كبدي إلا وجدت لها بردا  
وأنس قلبي فهو للعهد حافظ      وقل على الأيام من يحفظ العهدا  
صبور وان لم يبق لي إلا ذبالة      اذا استقبلت مسرى الصبا اشعنت وقدأ  
وقد كنت جلدأقبل أن يذهب النوى      ذمائي وأن يستأصل العظم والجلدا  
وقال مخاطباً السلطان أبا عنان المريني وكان وقد عليه من قبل سلطانه الفني بالله  
في جملة من أعيان مملكة غرناطة مستنجداً به ، فحين مثل بين يديه أشده  
وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر      علاك ملاح في الدجا قمر  
ودافعت عنك كف قدرته      ما ليس يستطيع دفعه البشر  
وجهك في النائبات بدر دجى      لنا وفي المحل كفك المطر  
والناس طراً بأرض أندلس      لولاك ما أوطنوا ولا عمروا  
ومن بها مذ وصلت حبلمهم      ما جحدوا نعمة ولا كفروا  
وجملة الأصر أنه وطن      في غير عباك ماله وطرن  
وقد أهمتهم نفوسهم      فوجهوني اليك وانتظروا  
فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الأبيات وأذن له في الجلوس وقال له ما ترجع  
إليهم إلا يجتمع طلبائهم . قال القاخي أبو القاسم الشريف شارح مقصورة حازم

وهو من مشائخ لسان الدين وكان معه في هذه الوفادة : « ماسمعنا بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا » . ولا شك أن ذلك من براءة لسان الدين الرائعة وبلاغته الفائقة .

\* \* \*

وهذا الاستعراض على سرعته لا يتم إذا لم نتعرض لنوابغ النساء الأندلسيات في الشعر ، وما كان لمشاركتهن من بليغ الأثر في الحياة الشعرية بالأندلس . وقد بدأ نبوغهن مبكراً في أول عهد الدولة الأموية ؛ لما قلنا من أن الشعر الأندلسي نشأ حضرياً من أول يوم . ونبوغ النساء في العلوم والفنون هو وليد الحضارة والحياة العقلية المترفة .

وقد كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر من الأديبات الشاعرات المنفوقات ، وكانت تعاصرها حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر ، والشاعرة الغسانية ، وحفصة بنت حمدون . واشتهرت بمد هولاء عائشة القرطبية التي لم يكن في زمنها من حرائر النساء من يعدلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحة ، تمدح الملوك وتخطبهم بما يعرض لها من حاجة ، وكانت حسنة الخط تكذب المصاحف وماتت عذراء سنة ٤٠٠<sup>(١)</sup> . ثم اشتهرت في القرن الخامس مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الشاعرة الأدبية التي كانت تعلم النساء الأدب ، وأم العلاء بنت يوسف الحجازية ومولاة أبي المطرف بن غابون العروضية ، وولادة بنت المستكفي الشهيرة ، ومهجة القرطبية ، ونزهة الفرناطية ، وحمدونة بنت زياد المؤدب ، والعبادية والدة المتمد ، واعتماد محظيته وبنينة بنته وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح وغاية المنى جاريته . ثم اشتهرت في أوائل القرن السادس الأدبية الشلبية ، وأسماء العامرية وحفصة الركونية وغيرهن من استوعب المقرئ ذكرهن وأتى على كثير من أشعارهن ولطائفهن .

(١) النفع ج ٢ ص ٩٢

ونحن نكتفي بذكر اثنين من هذا العدد الكثير وهما ولادة وحمدونة :  
 فأما ولادة فهي بنت الخليفة المستكفي بالله ؛ كانت واحدة زمانها في الأدب  
 والشعر ، حسنة المحاضرة لطيفة المعاشرة مع الصيانة والعفاف . وكان ابن زيدون  
 يتمشقها وله فيها القصائد الطنانة والمقطعات البديهة ، وكانت أولاً تطارحه  
 شعراً بشعر وتبادله حباً بحب ، ثم قلبت له ظهر المجن وصارت تهجوه ، وكان لها  
 مجلس بغشاء أدياء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير .  
 ومن بديع شعرها ما كتبت به إلى ابن زيدون :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكرم للسر  
 ولي منك مالو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر  
 وأما حمدونة بنت زياد المؤدب فهي التي يقال لها خنساء المغرب لقوة شعرها  
 وسمو إبداعها . ولها المقطوعتان العجيبتان المشهورتان بالمشرق والمغرب واللذان  
 مازال أهل البلاغة يجهلونهما مثلاً أعلى للنسج على منواله والحذو حذوه وهما : هذه :

ولما أجي الواشون إلا فراقنا وما لم عندي وعندك من نار  
 وشنوا على أسماعنا كل غارة وقل حماتي عند ذاك وأنصاري  
 غزيتهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وهذه :

وقانا لفحة الرضاء واد سقاء مضاعف الغيث العميم  
 حللنا دوحه فحننا علينا حنو المرضعات على الفطيم  
 وأرشفنا على ظهاً زلالاً ألد من المدامة للنديم  
 يصد الشمس أنسى واجهتنا فيجيبها وبأذن للنسيم  
 يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد التنظيم

\* \* \*

ولعلنا وقد انتهينا من هذا الاستعراض ، قد ظهرنا منه بالرغم من قصره على تلك الظاهرة التي أسلفنا الكلام عليها ، وهي أن هذا الشعر الأندلسي حضري مترف لا جاهلية له ولا بدادة ، وأنه منذ نشأ كان كذلك ، لم يحمل من معاني الشعر الجاهلي وألفاظه ما حمله غيره من الشعر العربي في الأقطار الأخرى غير الأندلس ، ولم يمثل غير نفوس أصحابه ومجتمعهم ومحيطهم . . . على أنه لما ضاق به مجال التعبير ، واحتاج إلى التحرر من القيود اللفظية لم يخرج عن مواضع القوم إلا بمقدار ما تسمح به طبيعة اللغة العربية المحافظة على إرث الأجداد ، فاخترع هذا التوشيح الذي هو فن أندلسي محض ، أدخل على الشعر العربي تحسباً في الصناعة كما جعله ألين مراساً وأسلس قياداً ، مما كان عليه قبل ، إذ كانت القافية تتحكم في الشاعر فتركبه المراكب الصعبة للبلوغ إلى مقصده ، ويضطر بذلك إلى استعمال الألفاظ المألوفة وغيرها ، دع عنك سامة النفس ونبو الطبع عن سماع نغمة واحدة لا تبدل فيها ولا تغيير منذ بدء القصيدة إلى نهايتها . وربما تكونت طويلة جداً ، ولا كذلك هذا النظام البديع الذي يقوم عليه التوشيح من الأسماط والأغصان ؛ فإنه أرفع في النفس وأخف على السمع . وبه ظهرت براعة أهل الأندلس فانهم جددوا وحافظوا في آن واحد ؛ جددوا في أسلوب الشعر ونظمه ، وحافظوا على أوزان العروض والقافية فلم يعموا فيما وقع فيه بعض أدباء العصر من الدعوة إلى نبذ القافية جانباً والتخلل من الأوزان والبحور الشعرية المعروفة ، فلما تناقض عمليهم مع طريقة الشعر المعروفة دعوا ذلك بالشعر المنشور ؟ . . .

وأشار ابن خلدون إلى قريب مما ذكرناه ؛ من أن اختراع التوشيح كان نتيجة لكثرة الشعر وحب التنين فيه يقال : « أما أهل الأندلس فلما كثرت الشعر في قطرهم وتهدبت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح بنظمونه أسماطاً وأسماطاً وأغصاناً أغصاناً ، يكثرون منها

ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة» (١) .

وكان المخترع لهذا الفن هو مقدم بن معاني شاعر الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذه عنه ابن عبد ربه صاحب كتاب «العقد» ، ولكن الذي أحكم صناعته ونهج طريقته هو عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المربة . . قال أبو بكر بن زهر : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بدر تم شمس ضحى غصن نقي مسك شم  
ما أتم ما أوضحا ما أوقبا ما أتم  
لا جرم من لها قد عشقا قد حرم

وكان بعد عبادة ، ابن رافع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، ثم الأعمى التطيلي ؛ يحيى بن بقى وأبو بكر بن باجة الفيلسوف الموسيقار المشهور ، ثم محمد بن أبي الفضل بن شرف وأبو بكر بن زهر الحكيم المشهور وسهل بن مالك وغيرهم كثير . واشتهر على الخصوص بين أدباء المغرب موشح ابن سهل الامراتيلي شاعر اشبيلية وأوله :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس  
فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس  
وقد نسج على منواله لسان الدين بن الخطيب فقال :

جادك الغيث إذا الغيث همى بازمان الوصل بالأندلس  
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلصة المختلس

وكان ابن الخطيب من المبرزين في صنعة التوشيح شأنه في كل فن من فنون الأدب .



ولا يمتاز الشعر الأندلسي من ناحية الصناعة اللفظية فحسب ، بل إن له مميزات من الناحية الموضوعية لا تكاد تخفى على أحد ممن تعمق في دراسة الأدب العربي على العموم ومارن بين الشعر الأندلسي وغيره من شعر الأقطار العربية الأخرى . . . وقد تقدمت الإشارة الى هذه البراعة في الوصف التي تميز بها الأندلسيون خاصة في وصف مظاهر الطبيعة وآثارها البديعة من الرياض والأزهار والرياح والأمطار والمياه والأنهار وما الى ذلك حتى كان شاعرهم في هذا الباب وهو أبو اسحق بن خفاجة فذاً في شعراء العربية كلهم لم ينافس أحد منهم في استحقاق لقب شاعر الطبيعة . . . ومع ذلك فإن موضوعاً آخر لم نر من نبه عليه ، ولم ينتبه اليه الشعراء العرب إلا في هذا العصر الحديث حين وجدت بواعته وأسبابه ، فصار عندهم من الموضوعات الشعرية الرئيسية ، ألا وهو الشعر الوطني . فالأندلسيون بما كانوا فيه من عراك دائم مع القوات الاسبانية التي تنتقص بلادهم من أطرافها يوماً فيوماً وتحادل أن ترمي بهم خارج حدود الجزيرة الايبيرية في كل وقت وحين ، ولم يزالوا كلما خرجوا من بلدة أو قرية وفقدوا السلطة على مدينة أو ناحية ، ببيكون صائف مجدهم وعزهم ويحنون الى معاهد أنسهم وطوهم ويتفجعون لما نزل بها من الدل والهوان ويستثيرون الهمم لإيقاظها واسترجاعها من يد الكفر والطغيان . . . وهكذا تكون موضوع جديد في الشعر العربي وهو الشعر الوطني الذي يضرب على وتر الوطنية ويستغل الحماسة الدينية للجهاد والقتال من أجل تحرير البلاد .

وهذه الوطنية لم تكن عند الأندلسيين شعوراً عابراً ولا فكرة عارضة ، وإنما هي عقيدة ثابتة وإحساس متأصل في نفوسهم . بذلك على ذلك كثير من أقوالهم حتى في غير الشعر الذي نحن بصددده . . . فمثلاً نجد الفتح بن خاقان عند ترجمته لابن حزم العالم المشهور يفتخر بأنه لم يرحل الى المشرق وأن نبوغه فاق من رحل اليه <sup>(١)</sup> . ونجد إسماعيل بن حبيب في مقدمة كتابه « البديع في وصف الربيع »

(١) مطمح الأنفس ص ٦٣

يباهي بأنه لم يورد فيه شعراً إلا لأهل بلده الأندلس ، ويזורي بأشعار المشاركة التي ابتذلت فلم تعد النفوس تميل إلى سماعها ، ثم يشير إلى سبق الأندلسيين للمشاركة في أحسن المعاني مجتلي ، وأطيبها مجتلي ، وهو الباب الذي تضمنه هذا الكتاب ( يعني وصف الربيع ) فلمهم فيه من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه ، ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه . ونرجع إلى ما كنا بسبيله من الشعر الوطني الأندلسي فنورد منه بعض الأمثلة . يقول أبوالمطرف بن عميرة في قطعة بليغة :

زدنا على التائبين عن أوطانهم      وان اشتر كنا في الصباية والجوى  
انا وجدناهم قد استسقروا لها      من بعد ما شطت بهم عنها النوى  
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا      مع حبها الشرك الذي فيها ثوى  
حسناً طاعتها استقامت بمدنا      لمدونا ؛ أفستقيم لها الهوى ؟

ويقول أبو عبد الله الفازاري في قطعة أخرى :

الروم تضرب في البلاد وتغنم      والجور يأخذ ما بقي والمغرم  
والمال يورد كله قشتالة      والجند يسقط والرعية تسلم  
وذوو التميين لبس فيهم واحد      إلا ممين في الفساد مسلم  
أصفي على تلك البلاد وأهلها      الله بلطف بالجميع ويرحم

فهمتان القطعتان من أشجى الشعر الوطني وأبلغه ، ولا تقصران عما ينظم منه الآن في البلاد العربية التي بتلاعب بها الاستعمار<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ودون هذا وذاك فان هناك فنوناً أخرى من النظم يرع فيها الأندلسيون وتفوقوا على غيرهم وان كانت لا تعد من الشعر في حقيقة الأمر ، وهذه مثل الأنظام الملحية التي تضم أشتات العلوم وقواعدها وتتضمن أبوابها وفوائدها ،

(١) انظر فصلاً خاصاً بهذا الموضوع في كتابنا « التماشيب » .

ومن أول الموضوعات التي ضبطها بالنظم وقيدها بالوزن التاريخ ، فلا بن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها غزوات عبد الرحمن الناصر<sup>(١)</sup> . بل قيل ان ليحيى الغزال الذي عاش قبل ذلك بكثير تاريخاً للأندلس منظوماً . وكذا لابن الخطيب تاريخ منظوم وهو المعروف « برقم الحلل في تاريخ الدول » . وفي غير التاريخ نرى منظومة لابن عبد ربه أيضاً في علم العروض وهي في غاية السلاسة<sup>(٢)</sup> . كما نرى لابن مالك الجياني « ألفية » النحو المشهورة ولابن عاصم الغرناطي « تحفة الحكام في علم القضاء والأحكام » ، وغير هذه المنظومات كثير .

على ان البراعة الحقيقية التي امتاز بها الأندلسيون في هذا الصدد هي الأنظام العلمية المفلوذة . وتختلف طرق الألفاظ فيها عندهم ، فبعضها لا تكاد تشعر بأنه نظم علمي ، وانما تقول انه قصيدة شعرية فريدة في حين انه يتضمن اشارات ورموزاً الى قواعد علمية معروفة . وبعضها يكون فيه الرمز واضحاً لا خفاء معه وانما فائدته أنه يتضمن المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة بحيث تشمل القصيدة ذات الأبيات الممدودة على قواعد علم كامل بجميع مسائله وأغراضه . فالأول كما في قصيدة (غرامي صحيح) لابن فرج الاشبيلي التي ضمنها أصول علم الحديث ولم يصرح بشيء من غرضه فجاءت كأنها قصيدة غزلية بحيث لو عرضت على عربي خالص لما فهم منها إلا ما يفهم من قصائد الشوق والوجد وهذا أولها :

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ودعبي ووجدني مرسل ومسلسل  
والثاني كما في قصيدة الشاطبي في علم القراءات ، وهي مشهورة بين علماء هذا الفن ، وتعد من أمهات الكتب فيه . وقد بناها على إشارات الحروف الأبجدية ، وبذلك توصل الى اختصار هذا العلم الواسع وتضمينه في نظم مها كثير فانه قليل بالنسبة الى سعة موضوعه<sup>(٣)</sup> .

(١) انظرها في ج ٢ من المقدم .

(٢) انظرها في الجزء ٣ من المقدم .

(٣) توسمنا في الكلام عن هذا الموضوع في فصل ضمنه كتاب « واحة الفكر » .

٠٠٠ وقد ظهر بهذا العرض السريع وهذه الإلمامة العجلى أن الشعر الأندلسي لم يتأثر بشيء خارجي عنه ، حتى الأدب المشرقي كان تأثره به في دائرة عامة ، وأما السمات الخاصة به فانما كانت من وحي البيئة والمحيط . وهذه العناصر الجديدة التي وجدت فيه مع الأيام سواء في اللفظ أو المعنى إنما كانت ذاتية وتلقائية ، فلا صحة لما يقال من أن الأدب الأندلسي تأثر بالأدب الإسباني وأخذ عنه ، كما أثر هو عن حق في هذا الأدب وكما أخذ هذا الأدب من غير شك عنه . فليت شعري أين هو هذا الأثر ؟ وما هذا الذي أخذه الأدباء الأندلسيون عن الأدباء الإسبان ؟ وأي فن جديد هذا الذي أضافه الأدب الأندلسي الى فنون الأدب العربي باستثناء الموضوع الذي لمخنا اليه وهو الشعر الوطني الذي كان وليد الظروف السياسية الداخلية للبلاد ؟ وما باله لم 'يطل' على دنيا القصص والتمثيل ، إن كان حقاً تأثر بالأدب الإسباني ، وليس في هذا الأخير ما يؤخذ أفضل من هذين الفنين ، لو كنا موجودين فيه إذ ذاك ؟

أما القول بأن مرثية ابن عبدون لملوك بني الألفطس هي من قبيل الشعر القصصي ، وانها تدل على اقتباس هذا الفن من الإسبان ، فانما هو قول من يلقي الكلام على عواهنه ولا يعنى بتحقيق ما يقول . ولهذا المناسبة نشير قبل أن نختم هذه الكلمة ، الى أن هناك قصيدة أخرى شبيهة بمرثية ابن عبدون ، ولكن قل من ينسب لها مع أنها في غرض الرثاء مثلها ونضحت من عبر الدهر ما يجعلها مأساة تاريخية كقصيدة ابن عبدون . وهذه هي قصيدة الأعمى التطبلي في رثاء أحد فتيان اشبيلية الأجواد وكان يتعهد ويحسن اليه ، فأصبح قتيلاً ذات يوم . وأولها :

خذا حدثاني عن فل وفلان لهي أرى باق على الحدنان<sup>(١)</sup>

عبر الله كنون

~~~~~

(١) انظر قلائد العقيان ص ٢٨٦ - ٢٨٩

# الإصطلاحات الفلسفية

- ٣ -

## الإشارة

Signum في اللاتينية

Signe في الفرنسية

Sign في الانكليزية

أشار إليه أوما ، يكون ذلك باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب الخ . .  
وأشار به عرفه ، وأشار عليه بالرأي إذا ما أمره ونصحه ودله على وجه الصواب ،  
ومبلغ الإشارة كما يقول الجاحظ أبعد من مبلغ الصوت ، وحسن الإشارة باليد  
والرأس من تمام حسن البيان باللسان ( البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٠  
مصر ١٩٢٦ ) :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم  
فأبقت أن الطرف فد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

والإشارة قسمان : إشارة حسية وإشارة ذهنية ، أما الإشارة الحسية فتطلق  
على معنيين أحدهما أن يقبل الإشارة بأنه هنا أو هناك ، وثانيهما أن يكون  
منتهى الإشارة الحسية أعني الامتداد الموهوم الآخذ من المشير منتهيًا إلى المشار  
إليه . وأما الإشارة الذهنية فهي كإشارة ضمير الغائب وأمثالها مما يحتاج في  
إثباته إلى استدلال العقل ، أو كإشارة المتكلم إلى معان كثيرة لو عبر عنها  
لاحتجاج إلى ألفاظ كثيرة . مثال ذلك قوله تعالى : وغيض الماء ، فإنه أشار  
بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة المطر وبلع الأرض وذهاب ما كان حاصلًا  
من الماء على وجهها .

- ٣٩٧ -

والاستدلال بإشارة النص إثبات الحكم بالنظم غير المسوق له ، كما ان  
 الاستدلال بدلالة النص إثبات الحكم بالنظم المسوق له .  
 وابن سينا يسمي الفصل المشتمل على حكم يحتاج في إثباته الى دليل وبرهان ،  
 بالإشارة ؛ كما يسمي الفصل المشتمل على حكم يكفي في إثباته تجريد الموضوع  
 والمحمول من الواحق أو النظر فيما سبقه من البراهين ، بالتنبيه . (راجع شرح  
 الاشارات للطوسي ، الجزء الأول ص : ٤ ، من الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية  
 ١٣٢٥ هـ) . فالإشارة في اصطلاحه هي الحكم الذي يحتاج إثباته الى دليل ،  
 وبقائه التنبيه ، وهو الحكم الذي لا يحتاج إثباته الى دليل .  
 وللإشارة في اصطلاحنا ثلاثة معان :

( ١ ) الإشارة شيء مدرك بالحواس يجوز التصديق بشيء آخر غير مدرك  
 أو غير ممكن الإدراك . كازدياد النبض ، فهو إشارة الى وجود الحمى ، وكإضاءة  
 المصباح الأحمر على الخط الحديدية ، فهي إشارة الى مرور القطار ، وكزصر  
 سيارة الاطفائية فهو إشارة الى اندلاع الحريق ، وكذلك الدخان ، فهو إشارة  
 الى النار ، كما أن البكاء إشارة الى الحزن .

( ٢ ) الإشارة فعل خارجي مدرك الفرض منه التعبير عن إرادة . والمثال من  
 ذلك أنك تشير بيدك الى الرجل فتستوقفه ، أو تطلب منه الجيء اليك ، أو تضع  
 السبابة على فك طالبك منه السكوت . فإنت تعبر بهذه الاشارات كلها عن  
 ارادتك ، فتأمر وتنهى ، أو تبلغ بإشاراتك ما تريد من الأفكار والعواطف .

( ٣ ) الإشارة شيء متحقق في الخارج من شكل أو صوت بنوب عن شيء  
 غائب أو غير ممكن الإدراك ، وهو يساعد على اخطار هذا الشيء الغائب الى  
 الذهن ، كالاشارات الدالة على المعادن في علم الكيمياء ، أو بنضم الى غيره من  
 الاشارات المجانسة له لإجراء عمليات متعلقة بالأشياء المشار اليها ، كاشارات اللغة  
 واشارات الحساب والجبر وغيرها .

لا جرم ان هذه المعاني الثلاثة تشترك في معنى عام واحد ، وهو أن الإشارة شيء يخبر بشيء آخر أو يعرف به ويحل محله . وهذا يفرض وجود سبب يمنع الوصول الى الشيء المشار اليه ، أو يجعل الوصول اليه صعباً . لذلك كانت الإشارة في غالب الأمر إدراكاً حسيماً حاضراً ، أو شيئاً مادياً ، أو شيئاً بسيطاً ، وكانت الأشياء المشار اليها حقائق بعيدة ، أو حقائق غير مادية ، أو عمليات ذهنية ، أو مجموعات معقدة . ولكن هذا المعنى العام لا يخلو من الالتباس ، لأن الإشارة لا تحل دائماً محل الشيء المشار اليه . ان الدخان مثلاً لا يحل محل النار وهبوط ( البارومتر ) لا يحل محل العاصفة .

وتنقسم الاشارات بنوع آخر من القسمة الى اشارات طبيعية (Signes naturels) و اشارات اصطناعية (Signes artificiels) .

فالاشارات الطبيعية لا تدل على الشيء المشار اليه إلا لعلاقة طبيعية بينها وبينه ، كالدخان الذي يشير الى وجود النار ، أو كالسحب التي تشير الى قرب هطول المطر . ويطلق اصطلاح اشارات التعبير (Signes expressifs) على الاشارات التي تعبر عن حالات النفس وحركاتها ، كاصفرار الوجه المعبّر عن الخوف ، واحمرار الوجه الدال على الخجل ، (راجع ظواهر الهيجان في مادة هيجان) . وهذه الاشارات الطبيعية إما بصرية وإما سمعية ، فالحرّكات الدالة على الهيجان اشارات بصرية ، والصراخ الدال على الألم اشارة سمعية .

والاشارات الاصطناعية هي الاشارات التي تكون علاقتها بالشيء المشار اليه مبنية على حكم إرادي جماعي . وهي ثلاثة أنواع بصرية وسمعية ولامسية . فمن الاشارات البصرية اشارات الجبر ، و اشارات الموسيقى ، و الاشارات البحرية ، و اشارات الصم والبكم ، و اشارات السير ، و حروف الكتابة ، ومن السمعية ألفاظ اللغة ، ومن اللامسية حروف الكنايه المستعملة في تعليم العميان على طريقة (برايل - Braille) .

وبين الاشارات الطبيعية والاشارات الاصطلاحية درجات متوسطة . فأبسط اشارات اللغة الصراخ ، وأصوات التعجب والنداء ، وتقليد أصوات الطبيعة ، وأعلامها الألفاظ الواضحة التعبير ، والاصطلاحات العلمية المستعملة في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها .

والناس لا يتفاهمون بالاشارة الا اذا عرفوا تأويلها وأدركوا علاقتها بالشيء المشار اليه . ان الاشارات لا تدل على علاقات مادية فحسب ، بل تدل على علاقات مادية ممزوجة بتصوراتنا وعواطفنا ، وعلاقة الاشارة بالمشار اليه إنما هي علاقة متصورة لا علاقة وجودية .

ان البحث في علاقة الاشارات بالعقل موضوع فلسفي بالغ الخطورة ، لأن اللغة كما قلنا جملة من الاشارات ( راجع لفظ اللغة ) .

ومن الاشارات ما يستعمل للدلالة على بعض الاعتقادات والمذاهب كاشارة الصليب عند النصارى ، أو اشارات السر عند الماسونيين ، ومنها اشارات بروج السماء ، واشارات الجيوش ، واشارات البواخر الحربية .

واذا دلت الاشارة على جملة من التصورات المتشابهة واقتصر عملها على اخطار هذه التصورات في الذهن اصبحت رمزاً ( راجع هذا اللفظ ) . ويشترط في ذلك (١) أن تكون الاشارة دالة على معنى خاص (٢) وان تكون علاقتها بالتصورات المتشابهة واحدة .

### الاشتراكية

Socialisme في الفرنسية

Socialism في الانكليزية

الاشتراكية مأخوذة من الاشتراك ، تقول اشترك القوم في كذا أي تشاركوا ، وهي اصطلاح جديد يطلق على المذهب القائل ان مجرد الاعتماد على حربة الأفراد في الحياة الاقتصادية لا يكفي لايجاد نظام اجتماعي صالح ، وانه من الممكن ،



لا يلب من المرغوب فيه أن يستبدل الناس بالنظام الحاضر نظاماً موافقاً يحقق العدل الاجتماعي ويساعد على نمو الشخص الانساني نمواً تاماً . ( لفظ سوسيالزم مشتق من سوسيال « Social » ومعناه الاجتماعي ، استعمله لأول مرة وفي وقت واحد تقريباً السن سيمونيون في فرنسا ، وروبراون في انكلترا . ويظهر ان ييار لورو « Pierre Leroux » أول من أوضح معناه فدل به على مذهب اجتماعي مضاد للمذهب الفردي ، وهو المذهب الذي يعلق حياة الفرد بحياة المجتمع راجع : ( Revue Encyclopédique, Novembre 1833, tome LX, ) ( p p. 114 - 116 ) .

والمذاهب الاشتراكية كثيرة منها<sup>(١)</sup> :

( ١ ) اشتراكية الذين أنكروا المزاومة الحرة ، وأنكروا في الوقت نفسه تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، ولكنهم زعموا مع ذلك ان المسألة الاجتماعية يمكن أن تحل بتأسيس جمعيات حرة يدخلها المتعاقدون ويخرجون منها بمحض إرادتهم . من هذه المذاهب اشتراكية ( روبر أوت - Robert Owen ) واشتراكية التكافل ( Mutuellisme ) ، والاشتراكية التعاونية ( Coopératisme ) ، والاشتراكية الجماعية ( Collectivisme ) ، والشيوعية الفوضوية ( Communisme anarchique ) .

( ٢ ) اشتراكية الذين اعتمدوا على تدخل السلطات العامة ، ولا سيما الدولة ، في تحقيق النظام الاقتصادي الجديد وتثبيته كاشتراكية البلديات ( Socialisme Municipal ) التي تعد اشتراكية متوسطة بين اشتراكية الجمعيات ( Socialisme d'association ) واشتراكية الدولة ( Socialisme d'Etat ) لأنها تقرر إمكانات الاشتراك على أساس التعاقد بين بلديات كثيرة .

(١) راجع : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, art: Socialisme .

م (٤)

وكاشتراكية الدولة التي ذهب اليها (ماركس) و (انجلز) في بيانها الشيوعي

• (Marx et Engels, le Manifeste Communiste 1848)

• تنقسم اشتراكية الدولة الى نوعين الأول ديموقراطي والثاني ارستقراطي .  
 أما النوع الديموقراطي فيهدف الى غاية سياسية ، وهي إقامة الحكم على أساس ديموقراطي يجعل الدولة خادمة لجميع المصالح الشعبية ، لأن الدولة في مذهبهم هي الفيض المباشر لارادة الشعب ، ولأن خدمة الشعب من لوازم ماهيتها .  
 المثال من ذلك اشتراكية (لوي بلان - Louis Blanc - ١٩٤٨ ، واشتراكية الماركسيين في أيامنا هذه) . وأما النوع الارستقراطي فيثبت أن انفكاك الفرد عن الدولة وهم باطل ، لأن الفرد إنما وجد لتحقيق الغايات المثالية للمجموعة في الدولة ، ولأن انضمام الفرد الى الدولة هو الواسطة الوحيدة لتثبيت حقوقه .  
 (المثال من ذلك مذهب هيجل ، وكارليل ، ورودرتوس ، وآدولف فنتز) .  
 ان هذه الاشتراكية مضادة للفردية الفرنسية والانكليزية التي انتشرت في القرن الثامن عشر .

٣) اشتراكية الذين زعموا أن تأسيس النظام الجديد لا يتم بالقهر والقسر ، بل يتم بالطرق الشرعية . وتسمى اشتراكيتهم هذه باشتراكية الاصلاح ، أو اشتراكية التطور (Socialisme réformiste ou évolutionniste) .

٤) الاشتراكية الثورية (Socialisme révolutionnaire) وهي القول ان النظام الجديد لا يتحقق إلا بثورة العمال أي بتبديل السلطات العامة والقوانين الحاضرة بطريق الانقلاب والقهر والقوة .

٥) الاشتراكية الخيالية أو الطوبوية (Socialisme utopiste) وهي التي تتخيل مجتمعاً فاضلاً يحقق لأفراده في المستقبل جميع أسباب السعادة كالمدينة الخيالية التي تصورها (توماس موروس - Thomas Morus) أو كالنظام الاجتماعي الذي تخيله كل من (سن سيمون - Saint - Simon) و(فورييه - Fourier) .

٦) الاشتراكية التجريبية ( Socialisme expérimental ) ، وهي القول ان تعريف النظام الاقتصادي الذي ينشأ عن الغاء النظام الرأسمالي والتنبؤ به قبل بلوغه محال . المثال من ذلك النقابية ( Syndicalime ) التي ذهب اليها ( جورج سوريل - Georges Sorel ) ، والماركسية المعاصرة ، والاشتراكية الفوضوية ( Socialisme anarchiste ) وغيرها .

وجميع هذه المذاهب على اختلاف طبقاتها وأنواعها تشترك في الأصول الآتية :  
 أ - الايمان بالحمية الاجتماعية . فاشتراكية ( سن سيمون ) و ( فوربه ) و ( برودون ) مبنية على فلسفة التاريخ وحمية وقائمه ، كما ان اشتراكية ( كارل ماركس ) العلمية مبنية على المادية التاريخية ( matérialisme historique ) .

ب - تنظيم قوى الانتاج وربط الوظائف الاقتصادية بالدولة أو بمراكز موجهة . ويعبرون عن ذلك بقولهم ان الاشتراكية هي تصنيع الدولة أو تخليق الصناعة . حتى لقد قال دوركايم : « تطلق الاشتراكية على كل مذهب يريد أن يربط جميع الوظائف الاقتصادية المشتتة أو بعضها بالمراكز الاجتماعية الواعية والموجهة » ( Rev. Meta, Juillet 921, p 494 ) . لا يدرك الأفراد حريتهم الحقيقية إلا إذا نظمت الحياة الاقتصادية تنظيماً عادلاً . فليست الاشتراكية مضادة للحرية ولا للفردية بل الفردية الكاملة والمنطقية تستلزم الأخذ بالنظام الاشتراكي .

ج - الاعتقاد ان العمل هو الأساس الشرعي لكل تملك ، ولولا هذا الاعتقاد لما انتقد الاشتراكيون نظام التملك الفردي ، لأن هذا النظام في نظرم يجلب لبعض الأفراد دخلاً من دون عمل ويجرم العمال نتائج سعيهم وتميهم . فالاشتراكية لا تلغي إذن حق الملك الفردي ، بل تقيم هذا الحق على أساس شرعي ، وتريد أن تحسن حال الطبقة الفقيرة الكادحة . فلا ملك إلا لمن يكسب في العمل ، ولا حق في الحياة إلا لمن يستحق الحياة . ( راجع : تعاونية ، وتكافل ، وجماعية ، وحرية ، وشيوعية ، ونقابية ) .

## الاشتقاق

|            |               |
|------------|---------------|
| Derivatio  | في اللاتينية  |
| Dérivation | في الفرنسية   |
| Derivation | في الانكليزية |

الاشتقاق في اللفظة هو أخذ شق الشيء ، نقول اشتق الكلمة من الكلمة أي أخرجها منها ، وهو عند أهل العربية أن تجد بين اللفظين تناسباً في أصل المعنى والتركيب فتد أحدهما الى الآخر ، أو هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجمله دالاً على معنى يناسب معناه . فلما أخذ مشتق ، والمأخوذ منه مشتق منه . والاشتقاق ثلاثة أقسام : (١) الاشتقاق الصغير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب نحو ضرب من الضرب . (٢) الاشتقاق الكبير ، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جذب من الجذب . (٣) الاشتقاق الأكبر ، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نطق من النطق . (راجع تعريفات الجرجاني ، الاشتقاق) .

والاشتقاق في العلم الرياضي هو البحث عن مشتق تابع (Dérivée d'une fonction) . ويعرفون مشتق التابع بقولهم هو نهاية نسبة تزايد التابع الى تزايد المتحول عندما ينتهي تزايد المتحول الى الصفر . وينتج عن ذلك : أن التابع يكون متزايداً أو متناقصاً في مجال ما عندما يكون مشتقه موجباً أو سالباً في ذلك المجال ، وأنه يكفي لايجاد قيم المتحول ، التي تجعل التابع أعلى أو أدنى ، وأن تبحث عن القيم التي تجعل مشتق هذا التابع مساوياً للصفر . وان المثل الزاوي للمماس في نقطة من منحنى تابع ما يساوي قيمة المشتق المددبة الموافقة لفاصلة هذه النقطة .

والاشتقاق في علم الري هو أن تشتق من النهر قناة موازية له ، كما ان  
الاشتقاق في علم الطب هو أن تحول السبب المرضي الى ناحية أخرى من البدن .  
والاشتقاق في علم النفس هو أن تستبدل بالفعل الموافق للظروف ، المحتاج  
الى توتر نفسي عال لا يستطيع المرء تحقيقه ، افعالاً أو ارتكاسات سهلة غير نافعة  
أو غير موافقة . فاذا خف التوتر أو الامتداد النفسي حلت محل الأفعال العالية  
حوادث وطيفة كالفعل والادراك الخاليين من الغرض ، والتخيل الوهمي ، وارتجاج  
الدماغ والقلب والأحشاء ، واضطراب الحركات . ويسمى احلال هذه الحوادث  
الوطيفة محل الأفعال النفسية العالية بالاشتقاق النفسي . ولكن الاشتقاق لا يقتصر  
على استبدال الوطيء بالعالي ، لأن هناك اشتقاقاً يحول النزعات والفرائز والميول  
الضارة الى ميول نافعة . والدليل على ذلك ان وراء الحياة النفسية الظاهرة حياة  
مظلمة مؤلفة من النزعات الخفية والأحلام المكبوتة ، فاذا استبدل الانسان  
بالميول المكبوتة ميولاً مباحة لها في الظاهر ومطابقة لها في الباطن سمي فعله هذا  
باشتقاق الميول أو تحويلها ، فيتحول الطمع الى قناعة والطموح الى كرم ،  
واذا غير الانسان أهداف ميوله فرفعها من طور أدنى الى طور أعلى سمي فعله هذا  
بالتصعيد ( Sublimation ) ، فتتقلب الغريزة الجنسية الى نزعات أسمى منها  
كالعشق ومحبة الجمال والشعر والموسيقا . ( راجع Pierre Janet, les névroses  
2<sup>e</sup> partie ch. IV. 4 ، راجع أيضاً اصطلاحات اللاشعور ، والتصعيد ،  
والكبت ، والتحليل النفسي ) .

### الاشتهاء

|            |               |
|------------|---------------|
| Appetio    | في اللاتينية  |
| Appétition | في الفرنسية   |
| Appetence  | في الانكليزية |

اشتهى الشيء وتشبهه أحبه ورغب فيه رغبة شديدة ، والاشتهاء أو الشهوي  
اصطلاح يستعمله الفيلسوف ( ليبنيتز ) للدلالة على الفاعلية التي يتصف بها المناد

« Monade » (راجع هذا اللفظ) . قال : « الاشتهااء هو فعل المبدأ الداخلي الذي يحدث التغير أو الانتقال من إدراك الى آخر . نعم ان الشهوة لا تستطيع دائماً أن تصل الى كل الادراك الذي تنزع اليه ، ولكنها تدرك منه دائماً بعض الشيء وتنتهي إلى إدراكات جديدة » ، (راجع Leibnitz, La monadologie, 15)

والمناد في نظر (لينيترز) جوهر روحي متوسط بين الصور العقلية والجواهر الفردة الجسمانية ، وهو جوهر بسيط لا يولد ولادة طبيعية ، ولا يموت موتاً طبيعياً ، وله طبيعة داخلية شبيهة بطبيعة النفس البشرية . وهو متصف بالإدراك الذي يهب له ذاتية شخصية تجمع بين الكثرة والوحدة . ومن صفاته أنه دائم التغير ، وان دائم الانتقال من حال الى آخر ، وانه ذو شعور وحياء وفاعلية عفوية ، وان حالاته المختلفة تؤلف وحدة لامادية ، فهو إذن قوة ونزوع وفعل ، والاشتهااء هو تلك الفاعلية الروحية التي يتصف بها المناد ، وله وجهان أحدهما خارجي والآخر داخلي ، فاذا نظرت الى الاشتهااء من الناحية الخارجية كان قوة طبيعية ، واذا نظرت اليه من الناحية الداخلية كان نزوعاً ورغبة وشوقاً وإرادة . وجميع تغيرات المناد انما هي نتيجة لهذا الاشتهااء ، وهي تغيرات متصلة ، فكل حالة حاضرة ناشئة عن حالة سابقة ، وكل تغير فهو مثقل بالماضي ويمتلي من المستقبل .

### الاشراق

في اللاتينية Illuminatio

في الفرنسية Illumination

في الانكليزية Illumination

الاشراق في اللغة الاضياء والانارة ، يقال أشرقت الشمس طلعت وأضاءت وأشرق وجهه أي أضاء وتلألاً حسناً ، وأشرق المكان أنار بأشراق الشمس ، وأشرقت الشمس المكان أنارته .

وفي اصطلاح الحكماء هو « ظهور الأنوار العقلية ولما فيها وقيضاتها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية » ( السهروردي ، حكمة الاشراق ، طبعة كوربين طهران ١٩٥٢ ، ص ٢٩٨ ) .

وحكمة الاشراق ( Philosophie illuminative ) هي الحكمة المؤسسة على الاشراق الذي هو الكشف ( راجع هذا اللفظ ) ، وهي عين حكمة المشاركة الذين هم أهل فارس ، وهذا المعنى يرجع في الحقيقة الى المعنى الأول لأن حكمة المشاركة أيضاً ذوقية وكشفية ، ولا فرق بهذا الاعتبار بين حكمة الاشراق والحكمة المشرقية ( Philosophie orientale ) التي تكلم عنها ابن سينا ، لأن الشروق هو المنبع الرمزي لاشراق النور . وتختلف حكمة الاشراق عن الفلسفة الارسطية بأنها مبنية على الذوق والكشف والحدس ، في حين ان الفلسفة الارسطية مبنية على الاستدلال والعقل . واكتساب النفس للمعرفة في فلسفة ابن سينا لا يتم بالاحساس ولا بالخيال ولا بالوهم بل يتم بالعقل ، وأعلى درجات العقل الإنساني العقل المستفاد الذي يلقى الاشراق من العقل الفعال . قال ابن سينا : « فان الأفكار والتأملات حركات معدة للنفس في قبول الفيض كما ان الحدود الوسطى معدة بنحو أشد تأكيذاً لقبول النتيجة وان كان الأول على سبيل ، والثاني على سبيل أخرى ، كما ستقف عليه ، فيكون النفس الناطقة إذا وقعت لها نسبة ما الى هذه الصور بتوسط اشراق العقل الفعال ، حدث فيها منه شيء من جنسها من وجه ولبس من جنسها من وجه » ( ابن سينا ، كتاب الشفاء ، الفصل الخامس ، من المقالة الخامسة ، من الفن السادس من الطبيعيات ص ٣٥٦ من طبعة طهران ) .

وقد بين السهروردي صاحب حكمة الاشراق انه لا شيء أظهر من النور ولا شيء أغنى منه عن التعريف ، فالشيء في نظره ينقسم الى نور وضوء في حقيقة نفسه أي في ذاته ، والى ما ليس بنور وضوء في حقيقة نفسه وهو الظلمة ، فان الظلمة هي عدم النور .

أما النور في نفسه ولنفسه فيسمى بالنور المجرد والنور المحض . وهذا النور المجرد إما أن يكون محتاجاً وفقيراً كالمقول والنفوس ، وإما أن يكون غنياً مطلقاً لا افتقار فيه بوجه من الوجوه ، إذ ليس وراءه نور ، وهو الحق سبحانه ، ويسمى نور الأنوار ، والنور المحيط ، والنور القيوم ، والنور المقدس ، والنور الأعظم الأعلى ، ونور النهار ، والنور الاسفهبند ، لأن الاسفهبند في اللغة الفهلوية زعيم الجيش ورأسه .

وأما ما ليس بنور في حقيقة نفسه فيقسم الى مستغن عن المحل كالجوهى الفاسق فإنه مظلم لا نور فيه ، والى ما هو هيئة لغيره كالنور العارض أو العرضي ، وهو لا يقوم بذاته ، بل يفتقر الى محل يقوم به سواء كان محله الأجسام النيرة كالشمس أو الأجسام المجردة .

وكل جسم فهو في وجوده مفتقر الى النور المجرد ، والنور هو الظهور ، ونسبة النور الى الظلمة كنسبة الظهور الى الخفاء . وخروج الموجودات من العدم الى الوجود إنما هو خروج من الظلمة الى النور ، فيكون الوجود كله نوراً ، بهذا الاعتبار ، ويكون أقرب الموجودات الى نور الأنوار أكثرها كلاً ، ويكون أبعدا عنه أقلها نوراً وبهاءً ، والمثل الأعلى للحكيم أن يتوغل في التأله والبحث . وإذا كانت السياسة بيد حكيم متأله كان الزمان نورياً . وإذا خلا الزمان عن تدبير إلهي كانت الظلمات غالبية (راجع كتاب حكمة الاشراق لشهاب الدين السهروردي ، نشره المستشرق هنري كربين في مجموعه دوم مصنفات شيخ اشراق ، بطهران سنة ١٩٥٢ ، وكتاب « Avicenne et le récit visionnaire » لهنري كربين Henry Corbin أيضاً طبع في طهران سنة ١٩٥٤ ) .

جميل صابيا

( يتبع )





# أفكار أبي حنيفة الدينوري في العلوم الطبيعية

إنّ أبا حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينوري من كبار علمائنا في القرن الثالث للهجرة . ومن أشهر تآليفه كتاب النبات الذي كان في ست مجلدات كبار ، وكان شرحه محمد بن معمر ابن اخت غانم في ستين مجلدة كما ذكره المقرئ في نفح الطيب ، وكفى من فضله ما بقول عنه الفاضل الألماني زابربرج<sup>(1)</sup> ( وكان نباتياً ومستشرقاً معاً ) : ان اليونانيين بلغوا الى ما بلغوا في علم النبات في مدة ألف سنة ( ومنتهى علمهم كتاب ديسقوريدس ) ؛ ولكن ما بلغ إليه المسلمون في قرنين أو ثلاثة فاق اليونانيين بكثير . وما يجدر بالذكر ههنا أنّ كتب النبات اليونانية لم تكن تترجم الى اللغة العربية قبل وفاة الدينوري . فعلمه علم المسلمين وعلم الشرق .

إنّ نسخة كتاب النبات كانت موجودة زمن الأتراك في إحدى مكاتب حلب ، كما تذكر فهرستها ، ولكن لا توجد هناك منذ عدة سنين . ويوجد المجلد الخامس منه في مكتبة جامعة استانبول ( وقد نشر النصف الثاني من هذه المخطوطة المستشرق برنارد ليوين من أهل أيسالا بأسوج . ويشتمل على قاموس أيجدي للنباتات من حرف الألف الى الزاي ) . والمجلد الثالث منه أيضاً يوجد في مكتبة جامعة ييل ( Yale ) في أميركا ، ولكن قواعد تلك المكتبة التي

(1) Bruno Silberberg, Die Pflanzenbuch des Abū Hanīfa ad-Dīnawarī, ein Beitrag zur Geschichte der Botanik bei den Arabern ( Zeitschrift der Assyriologie, Strassburg, 1910. pp. 225 - 60; 1911, pp. 39 - 68.

كتب بها إليّ مدير تلك المكتبة تجهله صعب الاستفادة لي . وكنت قد ظفرت بقطعة من هذا الكتاب في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بك في المدينة المنورة لما كنت هناك في السنة ١٩٤٦ م ، فنقلتها بيدي .  
ان كديرين من العلماء اعتموا في السنين الحالية بالأفكار النباتية عند أبي حنيفة الدينوري ، خاصة زلبربرج الألماني ، وأحمد عيسى بك المصري ، والأثير مصطفى الشهابي السوري . ولكن لم يهتن أحد الى الآن ، فيما أرى ، بأفكاره وآرائه في العلوم الطبيعية .

لما تصفحنا قطعة المدينة المنورة ، والمجلد الخامس من كتابه ( أي مخطوطة استانبول ) وكذلك اقتباساته التي توجد في كتب اللغة - مثل المحكم لابن صيده ، والصيدنة للبيروني ، والمفردات للغافقي ، وغير ذلك من المخطوط والمطبوع الذي وصل إلينا من حسن حفظنا ؛ وقد جمعت تلك الاقتباسات في ١٥٠٠ صفحة تنتظر الطبع ، وفيها أيضاً القاموس الأبيدي للنباتات من حرف السين الى الياء - وجدنا أن أبا حنيفة الدينوري يذكر في أثناء توصيف النباتات المختلفة أشياء كثيرة تتعلق بالعلوم الطبيعية . لست من المتخصصين ولا من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، ولبس غرضي من هذه الأسطر القليلة الإلافت أنظار زملائي المتخصصين بالعلوم الطبيعية أن يهتوا أيضاً بهذه الناحية ليكملوا تاريخ العلوم الطبيعية عند المسلمين وعند العرب .

أنا ألتقط بعض ما كتب الدينوري عن المسائل الطبيعية ، على سبيل المثال ، من قطعة كتابه التي توجد في المدينة المنورة ، وسيتمكن القاري منها أن يعرف آراء الدينوري خاصة في مسألة النار :

(١) باب في وصف الزناد : وهذا باب جمعت فيه أحسن ما حضرني من وصف الزناد ، ومن أي الشجر يختار ، وكيف يقتدح بها .  
أفضل ما اتخذت منه الزناد شجرتا المرخ والعفار . فتكون الانثى ، وهي الزندة السفلى ، مرخا ، ويكون الذكر ، وهو الزند الأعلى ، عفاراً .

واختلف في العفار . فزعم بعض أهل الرواة وبمض الأعراب أيضاً أنه ضرب من المرخ . ولا أحسب كذلك ، وإن كان الزندان جميعاً كثيراً ما يكونان من الشجرة الواحدة . وأخبرني بعض علماء الأعراب أن العفار شجر يشبه شجر الغبيراء ، منظره من بعيد كمنظره . وأما المرخ ، فقد رأيت له ؛ وليست صفته هذه الصفة . المرخ ينبت قضباناً منجحة طويلاً سلباً ، لا ورق لها . . . . . ومن فضيلة المرخ في كثرة النار وسرعة الوَرِي ما ذكر أبو زياد السكلابي فإنه قال : ليس في الشجر كله أوري زناداً من المرخ . قال : وربما كانت المرخ مجتمعاً ملتقياً ، فهبّ الريح ، فحكّ بعضه بعضاً ، فأورى ، فاحترق الوادي كله . قال : ولم نر ذلك في شيء من الشجر . وهذا شيء من أمر المرخ معروف . وقد ذكر غير أبي زياد أيضاً . ( ورقة ٢٤٨ / ب - ٢٤٩ / ألف ) .

(٢) [ صفة الزناد والافتداح بها ] . وصفة الزنده : انها عود مربع في طول شبر أو أكثر ، وفي عرض اصبع أو أشفت . وفي صفحاتها ، وهي خدودها ، فُرُض ، وهي نقر . الواحدة منها فُرُضة ؛ وتجمع أيضاً فِرَاضاً . والزند الأعلى نحوها غير أنه مستدير ، وطرفه أدق من سائرهِ . فأما وصف الافتداح بها ، فإن المقتدح إذا أراد أن يقتدح الزناد ، وضع الزنده ذات الفرض بالأرض ووضع رجله على طرفيها ، ثم وضع الزنده الأعلى في فُرُضة من فراض الزنده - وقد تقدم - فهبّ في الفُرُضة مجرى النار الى جهة الأرض بجزء ، وقد حزه بالسكين في جانب الفُرُضة . ثم قتل الزند بكفه كما يقتل المثلث . وقد أتى في الفُرُضة شيئاً من التراب يسيراً ، يبتغي بذلك الخشونة ، ليكون الزند أعمل في الزنده . وقد جعل الى جانب الفُرُضة عند مفضي الحزّ رية تأخذ فيها النار . فإذا قتل الزند ، لم يلبث الدخان أن يظهر . ثم يتبعه النار ، فتتجدد في الحزّ ، وتأخذ في الرية . وتلك النار هي السقط . . . . . وقال أبو زياد : يقال ارتجل فلان الزنده إذا وضعها تحت ايهامي رجله ، أو

جرّ في رجليه . ثم يجعل الزند في فريضة الزنده ، ثم يدبر الزند في الفريضة ، وتحت الزنده خرقه ، وبمكسي الدخان . والتعكبية تصعيد الدخان في السماء . فاذا خرجت النار - وانما تخرج في تلك الحكاكة التي خرجت بين الزنديين - فصارت في الخرقه ، ضمّ الخرقه عليها وطرح الزنديين . فالريبة كل ما أوربت به النار من خرقه أو عطية أو قشرة . . . فان كان بعرة ففتها ليأخذ فيها النار ، فهي فتية . . . وقال أبو زياد : خرفع العئسر من أجود الحراق ، يعني للزناد . وضروب الحراق كثير ، فمنها قشر شجر السيداق الذي يفسل برمادها الكئنان . (ورقة ٢٥٠ / ألف - ٢٥٥ / ألف) .

(٣) كَشَّ بِكِشٍ كَشًّا : صوت ؛ وصممت كَشَّةَ الزند ، وذلك إذا همّ الدخان أن يتحوّل ناراً من قبل أن يقوى حرارته ، فيحدث من ذلك كما يحدث من الحطب إذا اندفع من جوفه دخان شديد الانزعاج كأنه النفخ ، وأرادت النار المألوق به فلم تقدر لقوة اندفاع الدخان ، فحدث بينهما الصوت الذي يقال له « النَّجِيج » . (ورقة ٢٥٤ / ألف) .

(٤) وإذا كان الصوت من الحطب ، فذلك « نَقِيضٌ » و « كَصِيصٌ » . وإذا اشتدّ ، كان فرقة كفرقة الملح . وأكثر ما يكون ذلك إذا ركب ملح ، أو يبس من ذاته ، أو كان نقدا فيه القشع - وهو الأكل - أو كان رطباً ، أو مستكناً فيه ماء . (ورقة ٢٥٨ / ألف) .

(٥) باب في ألوان النيران والأرمدة والأدخنة . . . فأما الحجر ، فلون جميع الحطب لون واحد أو قريب . ولكن في ألوان اللهب اختلاف ، وكذلك في ألوان الأدخنة والأرمدة . فاختلف ألوان الأدخنة عدّة اختلاف ألوان اللهب . واختلاف أجناس الحطب ، مع اختلاف أحواله في الرطوبة واليبس ، عدّة اختلاف ألوان الأدخنة والأرمدة . على أن الأرمدة يلحقها اختلاف الألوان من جهة أخرى ، وهو النخو الذي ينطفيء عليه الحجر . وقد يعرض مثل

هذه العلة للدخان أيضاً . فأما العلة التي تعرض في اختلاف ألوان الدخان من قبل اختلاف جنس الحطب فكالذي يمرض لدخان التَنْضُب فإنه أبيض في مثل لون الغبار . ولذلك شبهه الشعراء الغبارَ به . . . ودخان الرِث أشدّ سواداً من دخان التَنْضُب ، ولم يبلغ أن يكون أسوداً ، ولكن أورق كلون الدُّب . ولذلك شبهت العربُ لون الدُّب بلون دخان الرِث ، والدُّب أورق . (ورقة ٢٥٩ / الف - ٢٥٩ / ب) .

(٦) [ ماهية النار والدخان ] : قالوا : إنَّ لُهب النار على قدر ألوان الدخان . فكما مال الدخان الى البياض مال لون اللهب الى الشقرة . وكما كان الدخان أشدّ سواداً كان اللهب أشدّ حمرة . حتى اذا اشتدّ سواد الدخان اكثرت اللهب . وبين دخان الحطب الواحد في أول ما تشتعل فيه النار ، وبينه إذا توسّطت الحال ، واذا تنهى حمي الحطب وقهرته النار ، اختلاف كثير . فإن النار في أول ما تأخذ من الحطب يكون لهبها أقرب الى السواد . ولا سيما ان كان الحطب رطباً . ثم ترى اللهب يصفو ويميل الى الشقرة على قدر احتدام الحطب ورقية دخانه . حتى اذا كان أخيراً وذكت النار ورق الدخان ، اشقارت اللهب . حتى اذا انقطع الدخان الغليظ البتة وعاد الحطب جمرًا ذا كيمًا متوهجًا ، رأيت له لهبًا لطيفًا قليل الشقرة قريبًا من البياض . وذلك هو الأوار . وما بقي له من لون حينئذ فهو من قبل جنس الجمر . ألا ترى أن أوار الحُمم أخضر . وذلك لغلبة السواد على الفحم . وإنما اللهب دخان حمي فأض ناراً . وكل شيء يحمر حتى يتناهى في الحرارة ويمحو ناراً . وإنما النار دخان انتهى في الحرارة ، أو جمر . ألا ترى أن كل شيء لا دخان له ، فانك إذا أحيمته آض جمرًا من غير أن يكون له لُهب ، كالحجارة والحجم والحديد وما أشبه ذلك . وان كان في الحجم بقية من الصنف الذي يصير من الحطب دخاناً ، صارت تلك البقية أواراً ، وهو أرق من الدخان والطف . ولذلك يكون لون الأوار أيضاً أضعف

الألوان وأرق من لون الذهب . قال الأموي : الأوار مقلوب : أصله كان الوءار ، كما قالوا « بئس » ثم قالوا « أيس » . وإذا عريت النار من دخان أو أوار أو جمر ، كانت بيضاء خالصة من البياض . كلون نار المهاء التي تقوم مقام القداحة ، وكلون نار المرأة المحرقة . فان هاتين النارين يعضوان من أنه لا دخان هناك ، ولا جمر . وإذا ألبنا الرية المدخنة ، كان اللهب الساطع من الرية أحمر من أجل الدخان . وإنما ألبتها نار بيضاء كالبردة . وليس هذا الكتاب موضع هذا الكلام لولا أن قوماً عن بنظر في اللغة التبس عليهم أمر النار فيما وصفنا منه ، حتى ذهبوا مذاهب بعيدة ناكبة عن القصد . ( ورقة ٢٦٠ / ألف - ٢٦٠ / ب ) .

(٧) ومن النبات ما يستوقد رطباً ، كما يستوقد اليابس . وأكثر ذلك من أجناس الحمض . وأفضل الحمض القيسب ، فإنه ليس بين رطبه ويابسه فرق . ( ورقة ٢٦١ / الف ) [ وفي لسان العرب وتاج العروس في مادة قسب ما يأتي : « والقيسب ضرب من الشجر . قال أبو حنيفة : هو أفضل الحمض . وقال مرة : القيسبة ، بالهاء شجيرة تنبت خيولاً من أصل واحد ، وترتفع قدر الذراع . ونورتها كنورة البنفسج . ويستوقد برطوبتها كما يستوقد اليابس ] .

(٨) ونيران الأدهان والصبوغ والكباريت والزرايخ شديدة اختلاف الألوان . منها الأسود ، ومنها الأخضر ، ومنها الأصفر ، ومنها الأحمر ، ومنها الأورق ، ومنها الأشهب ، في ألوان كثيرة غير محدودة .

وكذلك أرمدها ، وأرمدة الأحطاب وحرافات الأشياء . فان منها الأسود والأصفر والأخضر والأحمر . وترى رماد النار العظيمة أصنافاً . وهو رماد صاعته ، فتري ظاهره بخلاف وسطه ؛ ووسطه بخلاف أسفله . وفيه الأبيض والأسود والخصيف . ولذلك قيل للرماد أخرج ؛ والخرجة لوانان مختلفان . وقيل له أيضاً أورق وخصيف . ورماد الحجارة ، وهو الكس ، أشد بياضاً . وكل ذلك على قدر الشيء المحترق ، وعلى قدر حاله في النفس والاختناق ،

وبلوغ الغاية وقصوره عنها ، وعلل بين ذلك بدل كورها على ما لم يُذكر . . .  
 والطائفة المشملة من النار : « شهاب » ، والجمع : شُهَب . قال الشاعر ، ووصف  
 الشعري العبورَ فشَبَّهها لعظم نورها بشهاب نار :  
 وقد غارت الشعري العبور كأنها شهابُ غَضًا يرمى به الرجوانُ  
 واختار الغضا لذكاء ناره . وليس في الشجر أذكي ناراً ولا أبقى جمرًا منه ، يقال  
 انه ربما أوقدت منه النارُ العظيمة ، ثم يرتحلون فتحمد أدلاً أولاً ويبقى الحجر  
 في عُقرها تحت الرماد الحين الطويل وقد هبت عليه الأرواحُ وضربته الأمطار  
 فدافع عنه ما فوقه من الرماد . أخبرني بذلك غير واحد . ولا أعلم ، بعد  
 الغضا ، أكثر ناراً وأقل رماداً من حطب القرظ . أخبرني غير إنسان أنهم  
 كانوا يوقدون ، وهم بمصر ، بحطب السَّنَط ( وهو قرظ بنبت بنواحي سوان ) ،  
 قالوا : فكنا ربما أوقدنا به النهار كله والليل كله فلا نجد من الرماد إلا اليسير  
 مع ذكاء وقوده . . . والعصل في ذلك مثل الغضا . والعصل يشبه الدفلي .  
 وكذلك حطب المظا ، ويتخذ منه داذين يستوقد استيقاد الشمع . ويتخذ  
 من أطراف العصل قلمي . والضُّبار أيضاً كذلك في جودة الحطب . وليس في  
 الشجر اذا اشتعلت فيه النار وهو رطب أشد فرقة منه ؛ انما هو بمنزلة الخاربق .  
 ( ورقة / ٢٦١ - ألف - ٢٦٢ / ألف ) .

محمد حميد الله

www.alukah.net

# ما سمعت وما رأيت

## في بلاد السوفيت

- ١ -

وجه مجمع العلوم السوفيتي دعوة الى المجمع العلمي العربي بدمشق لتكليف أربعة من أعضائه بالسفر الى بلاد الاتحاد السوفيتي ، وكانت الغاية كما جاء في نص الدعوة الاطلاع على النشاط العلمي واطلاع العلماء السوريين على نشاط المؤسسات العلمية والثقافية وحياة الشعب السوفيتي .

وقد كلف رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق كلاً من الأعضاء : الأمير جعفر الحسيني والشيخ محمد بهجة البيطار والدكتور سامي الدهان وكتب هذه الكلمة ، وكان مني أني لم أنردد لحظة في قبول هذا التكليف الذي صادف هوى في نفسي وقد جبت على حب السفر والسياحة في أرض الله الواسعة ، فسرعان ما تهيأت للأمر واتخذت له عدته ، ولم تمض أيام حتى أنهيت ترتيب شؤوني الخاصة في جانب المعاملات الرسمية التي انتهت في غابة من السرعة ، وغادرت دمشق صحبة الزملاء المذكورين مساء الأحد الواقع في ٣١ من تشرين الأول سنة ١٩٥٤ على متن إحدى طائرات شركة SAS التي انطلقت بنا في الجو الرحب مع ركبها الذين يربون على الحسين ، وكانت تطوي الفضاء تملو السحب تارة حاجبة عنا رؤية اليابسة والبحر ، وتحترقها تارة أخرى دون أي انزعاج ، ناهيك بمضيفاتها الحسناوات اللواتي تم بهن تلطيف وعشاء السفر وتخفيف وحشة الانطلاق في هذا الفضاء ، ونحن في ارتفاع عن الأرض بعدد في بعض الأحيان ألفي متر . وما هي إلا زهاء خمس ساعات من الطيران حتى حطت في مطار روما فتوقفت

- ٤١٦ -



فيها ساعة واحدة وكذلك فعلت في كل من جنيف وفرانكفورت وكوبنهاغن ،  
 كنا نمضي هذه الفترات من الزمن على وجه البسيطة آكلين شاربين وفاحصين  
 عن أوجه جديدة نراها وعن معروضات صناعية متنوعة تنم على ما تنتجه تلك  
 العواصم من طرائف ، الى أن انتهى بنا الطيران الى استوكهولم عاصمة بلاد  
 السويد بعد ١٤ ساعة من الطيران قطعنا بها أو قطعتم بنا مسافة ٤٦٥٠ كيلومتراً ،  
 وانتقلنا بعد إتمام الاجراءات النظامية المتعلقة بالأمن والمكوس ، الى فندق وسط  
 في صميم تلك العاصمة الجميلة ضيوفاً على شركة الطيران الاسكندنافية لنبيت ليلة  
 واحدة ثم نتابع الرحلة . وما أن أخذنا قسطاً قليلاً من الراحة حتى سرنا  
 طائفين في شوارع تلك العاصمة ، مستبضعين بعض الحوائج ، وكذلك كان  
 دأبنا في ضحي اليوم الثاني . وغادرناها على متن الطائرة ذاتها ظهر ذاك اليوم  
 ووجهتنا الشمال الشرقي من تلك الأصقاع الشمالية إلى أن حطت الطائرة في هلسنكي  
 عاصمة فنلندا بعد ساعتين كان يملاً نظارنا خلالها مناظر الجزر العديدة التي تفص  
 بالأحراج . وفي هلسنكي ودعنا طائرتنا وودعنا ملاحوها ، وكان في لقائنا في  
 المطار بعض موظفي السفارة السوفيتية في تلك العاصمة . وانتقلنا بعد توقف ساعتين  
 من الزمن الى طائرة سوفيتية ذات محر كين ، وهي دون طائرنا السابقة ذات  
 المحركات الأربعة مظهرأ وحسناً ، خلو من الزخرفة إلا أنها والحق يقال بالغة  
 حد الاتقان في حسن الطيران والمهارة البالغة في الانطلاق عن سطح الأرض  
 ومنتهى الهدوء في الهبوط ، والغريب في الطيران السوفيتي عامة أنه لا يطلب فيه  
 الى الركاب أن يوثقوا بوئاق المقعد كما هو الشأن في سائر الطائرات ، كما انه  
 ليس ثمة أي تحذير من التدخين إبان صعود الطائرة وهبوطها ، في جانب الراحة  
 التامة التي يشهر بها الركاب مع النقص الظاهر في كل ما يدعى كإلياً . وبعد  
 طيران ساعة ونصف الساعة كنا نتمتع البصر في منظر الأحراج الكثيفة والجزر  
 الصغيرة البعثرة في الخضم ، هبطت الطائرة في مطار ليننغراد ، وسرعان ما صعد

م (٥)

اليها أحد موظفي الأمن السوفيتي محيياً وفاحصاً جوازات سفر الركاب الذين لم يكن عددهم ليزيد عن العشرين بينهم بعض الضباط برتب كبيرة . ولم تستغرق هذه المعاملات الشكائية سوى دقائق ، أذن لنا بعدها بالنزول من الطائرة ، وصرنا مع ركاب الطائرة نتقدمنا سيّدة من موظفات المطار الى قصر قديم قيل إنه من بقايا عهد القيصرية ، فيه مطعم فسيح جالسنا والرفاق على إحدى موائده حيث تناولنا العشاء وعدنا بالترتيب نفسه الى الطائرة التي حطت بنا في سماء ليننغراد باتجاه موسكو ، فلاح لنا أنوارها عن بُعد بعد ما يقرب من ساعة واحدة ، ولم تمض سوى ٤٥ دقيقة إلا وحطت الطائرة عصى الترحال في المطار . وما ان نزلنا من الطائرة حتى لقينا في استقبالنا لفيماً من أعضاء مجمع العلوم السوفيتي يرافقهم بعض الترجمة وفيهم من يتكلم العربية الفصحى ، وهو شاب أصغر اللون طويل القامة عرفنا أنه آشوري الأصل يقيم في تلك البلاد منذ سنين ، ورجحنا أن تكون اللغة الفرنسية لغة التفاهم مع الترجمة الذين خصصوا لمرافقتنا باعتبار أن زملاءنا يتقن أكثرهم هذه اللغة . وألقى أحد المستقبلين كلمة بالروسية صريحاً بنا باسم مجمع العلوم السوفيتية ، ترجمت الى العربية من قبل المترجمان الذي تقدم ذكره ، فرد عليه رئيس الوفد الأمير جعفر الحسيني بكلمة مناسبة شكر للمستقبلين حسن الاستقبال ، نقلها الى الروسية المترجمان الآشوري ، ولكننا فضلنا بعد ذلك كما هم فضلوا أيضاً أن تكون لغة التفاهم معهم الفرنسية ، لا سيما وان ترجمة روسية اسمها ناديا ( وتلفظ في الروسية نادين ) كانت الترجمة المفضلة لحسن ترجمتها وصرعتها فيها بما يثير الإعجاب .

لم تفتح حقائبنا ولم يجر أي بحث عما معنا أعطينا سيارتين أفلتانا بعد مسير نصف الساعة من المطار الى المدينة في طريق عريضة وحسنة الإضاءة ، استدعى انتباهنا في طريقنا بناء جامعة موسكو الذي يقرب طراز بنائه من طراز ناطحات السحاب ، والشوارع التي اجتازناها كلها فسيحة ونظيفة ، الى أن توقفت سيارتنا أمام الفندق الذي خصص لمقامنا في موسكو ويعرف بفندق سافوي .

والذي علمناه فيما بعد أن هذا الفندق هو أحد الفنادق الكبيرة المعدة لاستقبال الأجانب تتبع مصلحة عامة من مصالح الدولة اسمها ايفتوريست ومعناها السياح الأجانب وعددها في موسكو ثلاثة وسيضاف إليها فندق رابع جديد لعله من أعظم الفنادق في أوروبا . يقف على باب كل من هذه الفنادق شرطي يتنادب وأحد زملائه ليلاً ونهاراً لا يفارقه أبداً .

وقد خصص لكل منا غرفة فسيحة تكاد تكون جناحاً خاصاً تشتمل على بهو للاستقبال حسن التأثيث مع بيانو ، في جانب غرفة المنام والحمام وتوابهه . والمطعم في الطابق الأرضي وكانت غرفنا موزعة بين الطابقين الأول والثاني . لقد كان وصولنا الى موسكو مساء الثاني من تشرين الثاني ١٩٥٤ ونظم برنامج زيارتنا في اليوم التالي بأن زارنا الوفد من قبل مجمع العلوم وقدمت الى كل منا الخطوط الرئيسية للبرنامج المعد تاركين البنا الخيار فيما تقدمه في جانب ذلك . واليكم برنامج تلك الزيارة مترجمة عن الفرنسية :

|                 |              |                                                       |
|-----------------|--------------|-------------------------------------------------------|
| الثلاثاء ٢ / ١١ | الساعة ٢١٩٢٠ | قدوم الوفد الى موسكو                                  |
| الأربعاء ٣ / ١١ | الساعة ١١٦٥٠ | النقاش مع الوفد في برنامج الإقامة في الاتحاد السوفيتي |
|                 | الساعة ١٥٥٠٠ | زيارة العاصمة                                         |
|                 | الساعة ١٩٦٣٠ | اوبرا (غالكا)                                         |
| الخميس ٤ / ١١   | الساعة ١٠٥٣٠ | المرض الزراعي                                         |
|                 | الساعة ١٥٥٢٠ | متحف الثورة                                           |
|                 | الساعة ٢٠٦٠٠ | السيرك                                                |
| الجمعة ٥ / ١١   | الساعة ١٠٥٣٠ | معهد العلوم الشرقية                                   |
|                 | الساعة ١٠٥٣٠ | المعهد الطبي                                          |
|                 | الساعة ١٦٦٠٠ | الاستقبال في مجلس مجمع العلوم للاتحاد السوفيتي        |

|                                    |         |        |               |                               |
|------------------------------------|---------|--------|---------------|-------------------------------|
| الجمعة                             | ٥ / ١١  | الساعة | ٢١٥٣٠         | بأله « ببحرة البجع »          |
|                                    |         | الساعة | ١٠٥١٥         | معهد الآداب الءءول            |
| السبء                              | ٦ / ١١  | الساعة | ١١٥١٥         | مكءبة لءنءن                   |
|                                    |         | الساعة | ١٦٥٠٠         | السبءنا                       |
|                                    |         | الساعة | ٩٦١٥          | الساحة الءراء                 |
| الأءء                              | ٧ / ١١  | الساعة | ١٩٥٣٠         | اوبرا                         |
| الاثنين                            | ٨ / ١١  | الساعة | ١٠٥٠٠         | قاعة الصور لءرءنا كوف         |
|                                    |         | الساعة | ١٦٥٠٠         | ءفلة موسءقفة                  |
|                                    |         | الساعة | ٢٠٥٠٠         | ءفلة موسءقفة فف الكونسرواءوار |
| وقء ءرك هءا الءوم فف الأصل فارءاً  |         |        |               |                               |
| ثم ءرف ملؤه بعء موافقة أعضاء الوءء |         |        |               |                               |
| الءلاءاء                           | ٩ / ١١  | الساعة | ١١٥٠٠         | معهد طءبف                     |
|                                    |         | الساعة | ١٢٥٠٠         | فرع العلوم ءارءمءفة           |
|                                    |         | الساعة | ١٥٥٣٠         | معهد اللءاف                   |
| الأربءاء                           | ١٠ / ١١ | الساعة | ١٠٥٣٠         | ءامعة موسكو                   |
|                                    |         | الساعة | ١٢٥٠٠         | معهد طءبف                     |
|                                    |         | الساعة | ١٩٥٠٠ - ٢٠٥٠٠ | الاسءءبال فف المفوضفة السوربة |
| (وقء ءرك فف الأصل مكانه فارءاً)    |         |        |               |                               |
| الءمفس                             | ١١ / ١١ |        |               | سءوءفوء                       |
| الجمعة                             | ١٢ / ١١ | الساعة | ١٠٥٣٠         | معهل السفارات                 |
|                                    |         | الساعة | ١٠٥٣٠         | معهد طءبف                     |

ونظم برنامء مائل فف زفارة كل من لءنفراء وسءالءنفراء وطاشكءءء وهوء بفءاً من ءاسعة والنصف أو العاشرة صباءاً ءءف الرابعة عشرة ء ومن الساعة الءامسة عشرة والنصف ءءف ءاسعة عشرة والنصف مساءً ء ولم ءءل لءلة من

الليالي من السهر في أحد الملاهي من نوادي موسيقية الى أوبرا ودور التمثيل أو السيرك ، ولم يترك لنا من الفراغ سوى ساعات الطعام والمنام ، وانفردت عن رفاقي الثلاثة ببرنامج خاص تتضارب أوقاته وأوقات الزيارات الأخرى في معظم الأحيان ، كان يشمل على زيارة بعض المؤسسات الطبية والمشافي ، كما أنه قد جرى بعض التعديل الطفيف في البرنامج بإضافة زيارة بعض الأماكن لم تلاحظ في البرنامج المرسوم .

غادرنا موسكو مساء السبت ١٣ من تشرين الثاني بالقطار الى ليننغراد وحلنا في نزل استوريا وبعد قضاء خمسة أيام فيها عدنا في ١٨ من الشهر بالقطار أيضاً الى موسكو حيث زرنا أماكن أخرى لم تكن في البرنامج السابق وفي صباح ٢٢ من تشرين الثاني غادرناها بالطائرة الى ستالينغراد ومكثنا فيها ٣ أيام عدنا بعدها بالطائرة الى موسكو ، وتركناها بعد استراحة ليلة واحدة وبالطائرة الى طاشكند في ٢٥ تشرين الثاني قضينا يوماً واحداً في صمرقند وعدنا في ٢٩ منه الى موسكو وزرنا في هذه المرة إحدى التعاونيات الزراعية وأقيمت لنا حفلة وداع رسمية في مجمع العلوم السوفيتي مساء ٣٠ من تشرين الثاني وغادرنا موسكو نهائياً على متن إحدى الطائرات الروسية الى هلسنكي بعد أن ودعنا في مطار موسكو ليف من أعضاء مجمع العلوم وبعض المستشرقين الذين تعرفنا عليهم إبان مقامنا في العاصمة المذكورة ، وبعد أن هبطت الطائرة في مطار ليننغراد مكثنا فيه ساعة واحدة تناولنا خلالها طعام الغداء . وفي هلسنكي انتقلنا الى إحدى طائرات الشركة السكندنافية ذات المحركات الأربعة متجهين الى ستوكهولم التي لم نمكث فيها سوى ثلاث أيام زرنا خلالها بعض معالمها وانفردت بزيارة أحد المستشفيات فيها وفي ٤ من كانون الأول غادرنا ستوكهولم الى كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك حيث قضينا فيها ٥ أيام زرنا خلالها بعض المتاحف والمستشفيات وغادرناها على متن إحدى طائرات الشركة السكندنافية في ٨ من كانون الأول

عائدين الى دمشق بعد توقف ساعة واحدة في كل من فرانكفورت ومونيخ  
واستانبول وبيروت .

### بلاد الاتحاد السوفيتي

سوفيت ( Soviet ) بالروسية معناها المجلس ، وأطلق في الأصل على مجلس  
مندوبي العمال والجنود الذي عقد في بتروغراد ( ليننغراد ) خلال الثورة الروسية  
عام ١٩١٧ ، ثم على الدولة الروسية في النظام البوشفيكي . كما انه أطلق اتحاد  
الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية U. R. S. S. على الاتحاد الفيدرالي الذي يجمع  
بلاد روسيا القيصرية وما انضم اليها من بلاد مجاورة ، بلغ عددها ١٦ دولة .  
وهي تعد بحق ( على حد قول لينين ) عالماً قائماً بذاته لا من حيث اتساع  
مساحة البلاد فحسب ، بل بعدد السكان ناهيك بالموارد الطبيعية والامكانيات  
الصناعية ، فبالسعة تبلغ مساحة هذه البلاد ضعف مساحة الصين وأضفاف الولايات  
المتحدة و ٣٠ ضعفاً من مساحة فرنسا . وتبلغ من الطول زهاء ١٠٠٠٠ كيلومتر  
( ما يقرب من ربع محيط الأرض ) ومن العرض ٦٠٠٠ كيلومتر . وتوازي  
جنوباً الخط ٣٥ وشمالاً الخط ٨٠ مما يجعلها أوسع من أمريكا الشمالية بكاملها .  
وقدرت مساحة البلاد السطحية بـ ٢١٦٢٣٦٩٠٠٠ كيلومتر مربع بما يقارب  
من سدس اليابسة بأجمعها . ويجهل هذا الامتداد الهائل لبلاد الاتحاد السوفيتي  
ان فرق الساعة يبلغ بين أقصى طرفيها ١١ ساعة ، إذ عندما ينتصف النهار  
في موسكو تكون الساعة في الحدود الروسية البولونية ١١ بينما هي ٢٢ في  
مضيق بيرينغ ، وليس الفرق في الساعة بين باريز وتوكيو بأكثر من ٥ ساعات .  
ومع هذا الامتداد الوحيد في نوعه في العالم كله ، فان لبلاد الاتحاد السوفيتي  
من المناخ ما يكاد يكون متجانساً ، وهي خلافاً لما هو باد في معظم بلاد القارة  
الأوروبية من سهولة الانتقال القريب من بلد يختلف عن سواه اختلافاً بيناً في  
درجة الحرارة وحالة الجو وما الى ذلك من الفوارق التي تبدو بجلاء في بعض

البلاد ( كفرنسا مثلاً ) فان بلاد الاتحاد السوفيتي الشاسعة ليوجد بين أطرافها المترامية تشابه في الاقليم والمناخ . والثلاج يستر أرضها كلها في الشتاء بشكل بساط واسع يمتد من الشمال بالقرب من أصقاع القطب الشمالي حتى الجنوب في سواحل البحر الأسود ، ولا ينجو من برده القاسي سوى بعض السواحل من شبه جزيرة القرم المحمية بسلسلة من الجبال يجعلها تنعم ببعض الدفء في الشتاء (١) . ويصعب تمليل السبب في هذا المناخ القاسي والمتشابه عندما يكثف بالقاه نظرة عابرة على مواقع تلك البلاد بالنسبة الى ما يجاورها من بلاد القارة الأوروبية ، والخرائط التي بين أيدينا لا تتيح لنا معرفة موقع موسكو بالضبط ، فبينما تشير هذه الخرائط الى أن العاصمة المذكورة في مستوى باريز أو في الجنوب منها قليلاً ، نراها في الحقيقة تقع شمال باريز بـ ٨٠٠ كيلومتر ، وليننغراد شمال باريز بـ ١٤٠٠ كيلومتر ، ولا يوازي باريز في خط الطول سوى ستالينغراد وان بالطة الواقعة في أدنى جنوب البلاد توازي الخط المار من بوردو ، مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي بمجموعها ذات مناخ شمالي بالنسبة الى سائر بلاد القارة الأوروبية .

وتتماز بلاد الاتحاد السوفيتي في جانب هذا المناخ الموحد والسعة المنقطعة النظير بكثرة عدد السكان أيضاً . ففي أطلس او كسفورد ( the Oxford atlas ) طبعة ١٩٥٤ ان عدد سكان هذه البلاد هو ١٩٣٠٠٠٠٠٠٠٠ استناداً الى إحصاء سنة ١٩٤٦ ، ويغلب للظن ( كما يؤكد ذلك المطلعون ) ان هذا الرقم قد ارتفع الى ٢٢٠ مليوناً في الوقت الحاضر . ولم يبلغ هذا العدد سوى ١٧٠٤٦٤٠٠٠ في إحصاء سنة ١٩٣٩ ، واذا كان مرد بعض هذا الفرق الى اندماج بعض دول البaltic وبولندا وفنلاندا واحدى مقاطعات رومانيا (٢) ، فانه مما لا شك فيه

- (١) تبلغ درجة الحرارة الوسطى في بالطه + ٣,٥ في كانون الثاني و - ١٥,٤ شمالي سلسلة الجبال التي تحمي هذه البقعة ( استراخان ) .
- (٢) يروي تقويم ( Wheataker ) ان الاندماج الذي تم سنة ١٩٤٠ قد زاد في مساحة الأرض الى ٩,١٣٨,٠١٢ ميلاً مربعاً وعدد السكان الى ١٨٢,٥٦٥,٠٠٠ مما يجعل نصيب كل ميل مربع ٢٠ شخصاً .

ان عدد السكان في بلاد الاتحاد السوفيتي آخذ بالزيادة المطردة بعد أن تحسنت الحالة الصحية في البلاد تحسناً ملحوظاً وقضي نهائياً على الأوبئة المستوطنة في بعض المقاطعات وما تعني به الحكومة من تطبيق أساليب الوقاية من الملل والأمراض المختلفة بما تكاد تكون الوحيدة من نوعها في العالم أجمع (وسأشرح ذلك في بحث خاص) .

وإذا قيس عدد السكان بمقنضى إحصاء سنة ١٩٣٩ مع عدد السكان في الأقطار لوجدنا ان الرقم المذكور يساوي نصف عدد سكان الصين وهو دون عدد سكان الهند (سنة ١٩٣٩) بكثير ، إلا انه يزيد على عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٤٠ مليوناً ، و يبلغ أكثر من ضعف عدد سكان اليابان ، وثلاثة أضعاف والنصف من عدد سكان بريطانيا العظمى و ايرلندا الشمالية . مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد أكبر البلاد الآهلة بالسكان في العالم ، نجد مواطناً سوفيتياً بين كل عشرة من سكان العالم . ومع ذلك فانه ما يصيب الميل المربع من السكان لم يكن سوى ( ٢١ ) سنة ١٩٣٩ وأصبح ( ٢٤ ) سنة ١٩٤٦ وهو أعظم بكثير مما هو عليه في كندا ( ٣ ) في كل ميل مربع ) أو استراليا ( ٢ ) ولكن أين منه في عدد المملكة المتحدة ( ٥٠٩ ) ومن اليابان ( ٤٠٠ ) وإيطاليا ( ٣٤٣ ) والمانيا ( ٣٤٧ ) سنة ١٩٣٩ ( والصين ( ٢٣١ ) وبولندا ( ٢٣٣ ) وفرنسا ( ١٩٧ ) والولايات المتحدة ( ٤٤ ) . ولا يغرب عن البال من ان في بلاد الاتحاد السوفيتي مساحات كبيرة متجمدة لا يمكن الاستفادة منها في جانب الأبحاث الكبيرة البكر ، تخلو هذه وتلك من السكان مما يفني معه إسقاطها من مجموع المساحة السالفة . وعلى ذلك فاذا نظر الى البقاع الصالحة للزراعة وحدها بلغت كثافة السكان بنسبة ١١٢ لكل ميل مربع ، مقابل ٩١ في الولايات المتحدة . ومع ذلك لا نجد بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد البلاد الكثيفة السكان بل على العكس قليلاً .



وليس توزع السكان واحداً في جميع الأنحاء ، فناحية موسكو التي تكثر فيها المراكز الصناعية يصب الميل المربع من مساحة أرضها ٢٥٩ شخصاً ، وفي أوكرانيا ذات التربة السوداء ( Chernozion ) التي لا تماثلها في الخصب أي تربة أخرى يختلف نصب الميل المربع فيها بين ١٥٠ و ١٨٠ شخصاً ، ويبلغ هذا العدد ١٣٠ في المقاطعات المتاخمة لنهر الفولغا . أما في سيبيريا فاذا تركنا جانباً بعض النواحي الصناعية فان كثافة السكان فيها لا تتخطى ٢٥ أو ٤٠ حتى في الجنوب الغربي ، وهي أقل بكثير في البقاع المركزية وفي الجنوبية الشرقية . وتختلف نسبة كثافة السكان في تركستان وفي القوقاز بين ٩٥ و ١٥٠ شخصاً في الميل المربع ، كما ان من الأماكن النائية ما تكاد تخلو من السكان تماماً ( صحاري الأورال ) وعلى الجملة إن كثافة السكان تتدنى من الغرب الى الشرق ولو تشابهت البلاد في المناخ .

وتتشابه مرامي السياسة في البلاد وسياسة العهد القيصري ، في صهر الأقوام المختلفة باللغات والعادات والدين في بوتقة الاتحاد السوفيتي ، واللغة الروسية هي هي السائدة في جميع جمهوريات الاتحاد ولو تمتع بعض هذه بما يسمى بالاستقلال الداخلي أو الحكم الذاتي . وعدد هذه الجمهوريات الآن ١٦ موزعة نفوسها كما يلي :

| عدد النفوس  | عاصمتها | اسم الجمهورية |
|-------------|---------|---------------|
| ١٠٩٦٢٨٠٦٠٠٠ | موسكو   | روسيا         |
| ٤٠٦٠٠٠٦٠٠٠  | كييف    | أوكرانيا      |
| ١٠٦٣٨٦٦٠٠٠  | مينسك   | روسيا البيضاء |
| ٣٦٥٤٠٦٠٠٠   | تفليس   | جورجيا        |
| ١٦٢٨٢٦٠٠٠   | اربوان  | أرمينيا       |
| ٣٦٢١٠٦٠٠٠   | باكو    | آذربايجان     |

| عدد النفوس | خاصتها      | اسم الجمهورية |
|------------|-------------|---------------|
| ٦٦١٤٦٦٠٠٠  | آلاما آتا   | قاراقستان     |
| ١٦٥٠٠٦٠٠٠  | فرونز       | قيرخيزستان    |
| ١٦٢٥٤٦٠٠٠  | عشقناآباد   | تركمانستان    |
| ٦٦٣٠٠٦٠٠٠  | طاشكند      | اوزبكستان     |
| ١٦٤٨٥٦٠٠٠  | متاليناآباد | طاجيستان      |
| ٤٧٠٦٠٠٠    | فليبيوري    | كاريلوفنلاندا |
| ٢٦٢٠٠٦٠٠٠  | كيشنف       | مولداڤيا      |
| ٢٦٨٨٠٦٠٠٠  | فيلنا       | ليتوانيا      |
| ١٦٩٧١٦٠٠٠  | ريفا        | لاتافيا       |
| ١٦١٣١٦٠٠٠  | تالين       | استونيا       |

الركنور حسني - جمع

( للبحث صلة )

# ايوانية البحري

للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

- ٣ -

(فهو يُبدي تجلداً وعليه كَأَكْلٍ من كلاك الدهر مُرمي)  
(الكلكل) الصدر ، والبمير إذا برك وألقى ثقله على الأرض فانما يكون  
مركز الثقل تحت كلكه ، فاتخذ البلغاء الكلكل مثلاً لشدة الوطأة وقوة الضغط  
(مالي ولدهر يرميني بكلكله)

و (مرمي) اسم فاعل من أرمى الشيء ورماً : ثبت ورسخ ومنه رست السفينة .  
والمعنى أن إيوان كسرى كالرجل العاقل يبدي الصبر والتجلد على شدائد الدهر  
أمام الناس ، حالة كونه رازحاً تحت كلكل عظيم من كلاك الدهر أطبق عليه .  
(لم يعبه أن يزر من بسط الديباج واستل من ستور الدمقس)  
(بزه) سلبه ومنه المثل (من عز بزاً) وربما كان أصل معنى فعل (بزه)  
سلبه بزه أو بزته أي ثيابه . ثم عم استعماله في كل سلب . ومن التوارد  
في ذلك كلمة (dérober) الفرنسية فانها بمعنى سلبه وبديهي ان أصل معناها  
سلبه ثوبه . و بزاً واستل في بيت البحري مجهولان . والدمقس الحرير أو الأبيض  
منه . بقول : إن الإيوان لم يعبه أن سلب وجرد من بسط الديباج ولا أن استل  
وعرسي من ستور الحرير . أي اذا كان في زمن سكانه الأكامزة مفروشاً  
بالبسطة ومجلاً بالستائر وأصبح بعدهم معري منها فليس ذلك بمز به ، ولا  
حاطاً من قدره . إذ أن له الآن من جلالاته وروعته ما يكسوه مهابة في النفوس  
فوق مهابته مذ كان مغشى بالحرير والديباج .  
(مشمخيراً تعلوا له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقُدس)

- ٤٢٢ -

المشمخر من الجبال : المرتفع العالي ، ومنه قول البديع في قصيدة بشر بن عوانة :  
 فخرٌ مضرٌ جاً بدمٍ كأنّي هدمتُ به بناءً مشمخراً  
 و ( رَضوى ) بفتح الراء جبل بين مكة والمدينة على مسيرة يوم من ينبع .  
 و ( قُدس ) بضم القاف جبل عظيم بأرض نجد : أي إن ذلك الإيوان عال  
 مرتفع كأنما سُرفاته مرفوعةٌ على رؤوس ذبلك الجبلين . وهذا كقول عنتره  
 في البطل الذي قتله :

( بَطَلٌ كأن ثيابه في سرحه )

أي إنه طويل القامة كأن ثيابه ملقاة على شجرة من شجر السرح .  
 ( لابساتٌ من البياض فما تُبصرُ منها إلا غلائلُ برُس )  
 قوله ( لابسات ) صفة للشرفات . وُشرفات القصر أعاليه المحيطة بإجّاره .  
 والإجّار السطح وجمعه أجاجير . والمراد من ( البياض ) الثياب البيض ، يقال  
 فلان ( يلبس السواد والبيّاض ) . والغلائل جمع غلالة : الثوب . والبرُس بكسر  
 الباء وتضم : القطن يقال ( طارَ له أُنعام كالبرس المنذوف ) والأُنعام الزبد الذي  
 يظهر على فم البعير . وهو كالرؤال للفرس و كالألعاب للإنسان . وفي بعض النسخ  
 أيضاً ( لفائف برس ) جمع لفيفة ما التفت واجتمع من الشيء . ورواية الغلائل  
 أحسن الروايتين ، وقد جاءت قافية ( البرس ) في معارضة شوقي مضافةً الى  
 العصائب مذ قال :

( جبالُ الثلجِ دونها رأسٌ شيرى ) فبدأ منه في عصائبِ برُس )

والعصائب جمع عصاية : مندبل بهصب به الرأس والعمامة نفسها تسمى عصاية أيضاً .  
 أما ( شيرى ) فهو اسم جبل ويظن ان اسمه أعني شيرى محرف من كلمة ( منشار )  
 العربية وكانوا يطلقونها أي كلمة منشار على سلسلة الجبال . وجاءت ( برس )  
 أيضاً في لزوميات المعري قال .  
 لباصي البرسُ فلا أخضرٌ ولا خلوقِيٌّ ولا أدكرنُ

يقول : إنه يلبسُ من الثياب البسيط : فلا يلبس ثياب الشهرة ولا ثياب أهل الترف ولا الصوفية .

ومعنى بيت البحتري أن شرفات الايوان تجلبت من الكانس ثياباً بيضاً ، فلا يقع نظرك منها إلا على غلائل قطنٍ أبيض ، أو على ( كُتَبِب ) غزل من قطن أبيض أو على سبائب أي لفائف من قطن أبيض مندوف . أما شوقي في شعره فجعل الثلج على رأس جبل ( شيرى ) عمامةً تتخذةً من نسيج قطنٍ وهو ما يسمى الشاش أو يشمق بالتركية .

( ليسُ بدرى أصنعُ إنسُ لجنٍ سكنوه أم صنعُ جنٍ لإنس )  
أي ان الناظر الى الايوان يحار فيمن بناء ولاي غرضُ بني هل هو مما بنته الإنس للجن أو الجن للإنس . أما إنه من بناء الجن للإنس فظاهر لأن البشر اعتادوا أن ينسبوا كل بناء نفخ عظيم الى صنع الجن ، من ذلك قول النابغة في تدمر :

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية واحدها عن القند  
وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

فلا عجب اذا توهم البحتري أن الايوان من صنع الجن بنوه للأكامرة . أما توهمه في كونه من بناء الإنس للجن فغزاه أن البشر إنما يسكنون في قصور وأبنية معهودة لنا . وضخامة الايوان وارتفاع طاقه وعلو قصوره وجدرانها كل ذلك لم نعهد مثله لسكنى البشر ، فلم يبق إلا أن الإنس بنوه لمخلوقات غريبة من غير جنسنا وهم الجن ، فهو يرتاب في أن الأكامرة كانوا يسكنونه ويقول في نفسه ربما كان الجن هم الذين سكنوه وعمروه .

( غير أني أراه يشهد أن لم يك بانیه في الملوك ينكس )  
( النكس ) الضعيف الدنيء الذي لاخير فيه . وضمير أراه يرجع الى الايوان فالبحتري يقول إني مها ترددتُ في أمر صانع الايوان وفي غرضه

من تشييد هذا البناء العظيم فلن أتردد في حقيقةٍ يشهد لي بها الإيوان نفسه  
وهي أن بانيه لم يكن نكسًا دنيثًا ضعيفًا في الملوك . فحن إذا لم نعرف الباني  
عرفنا عظمته من أثره الذي تركه لنا وهو هذا البناء .  
إن البناء إذا تعاضم قدره أضحي بدلًا على مقام الباني

( فكأنني أرى المراتب والقو م إذا ما بلغت آخر حسبي )  
قوله ( فكأنني الخ ٠٠٠ ) شروع في وصف مشهد آخر من مشاهد الإيوان لم يره  
بعيني رأسه وأنا رآه بعيني خياله وتوهمه ، ذلك أنه تخيل كسرى في مجلس له  
عام اتخذه في فضاء الإيوان حيث لا تُظلمهم سقوف ولا كنان . وقد شهدت  
هذا الاجتماع طبقات مختلفة من رعيته : عظماء المملكة ووفود الأقاليم والندماء  
والخطايا والقيان وغيرهم من لفهم هذا الزحام الذي تمثله الشاعر في نفسه ،  
كأنه مشاهد ملوس . ويحتمل أن يكون رأى صورة في جدران الإيوان  
تمثل هذا المجلس تمثيلًا رآه بعيني رأسه . لكنه بالطبع ليس حقيقيًا ومن ثم  
جاز له أن يقول فكأنني وكأنني أي كأنني أرى كسرى وقومه بأنفسهم لا برصومهم  
وصورهم . فتكون أرى بصربة وقد حذف كلمة ( حقيقة ) التي هي حال من  
المفعول . ويؤيد هذا المعنى البيت الآتي ( وكان الذي يريد اتباعًا الخ ٠٠٠ ) على  
ما سيأتي في شرح معناه . فهو يقول إني إذا أجهدت نفسي واستنفدت آخر  
قوة من قوى شعوري وحسي كنت كأنني أرى مراتب منسقة درجات  
درجات وقد نبواها القوم بحسب منازلهم وأقدارهم : من وزراء كسرى وموابذته  
وأساورته وعظماء مملكته . والراتب في قول الجتري أراد بها جمع مرتبة وهي  
صدر المجلس وتكون المراتب بمعنى مناصب الدولة كما قال الرضي :  
ومن عجب صدود الحظ عنا إلى المنعمين على الخطايا  
ففاقوا في المراتب والمالي وفقنا في الضرائب والسجايا  
ثم شرع ( أي الجتري ) في وصف ما رآه من اجتماع الناس في هذا المجلس  
خيالاً محضاً أو صوراً مخيلة فقال :

(وكان الوفود ضاحين حسرى : من وقوف خلف الزحام وجلس -)  
 (ضاحين) جمع ضاحي من ضحاً يضحون أو من ضحى يضحى إذا برز  
 للشمس ووقعت عليه أشعتها . و (حسرى) جمع حسير وهو الكليل المعبي  
 و (وقوف) جمع واقف و (جلس) بكسر الجيم المجالس . وهو يقع على  
 الواحد والجمع والمؤنث والمذكر . بقول الشاعر إنه حين طاف في أقبية  
 الإيوان وتخلل ساحاته مثل له الخيال أو أنه رأى رسماً يمثل جلوس كسرى  
 الى عظماء مملكته في تلك الساحات وخيل اليه أن وفوداً من أقاليم بلاده شهدوا  
 حقيقة ذلك الاجتماع فكان منهم المجالس للملك ومنهم من لم يجد محلاً لجلوسه  
 فبقي واقفاً خلف الزحام . وكلهم بارزون للشمس تعجبون معيون . وتعجبهم  
 الذي تخيله الشاعر إما بسبب مجيئهم من بلاد بعيدة فيكونون قد أتتهم المسير  
 والإسراع فيه لئلا يفوتهم شرفُ شهود هذا الاحتفال . أو أن تعجبهم ناشئ  
 عن فرط الزحام مع التعرض لحرارة الشمس . وفي أكثر النسخ (خنس)  
 بالخاء والنون مكان جلس بالجيم واللام . و (جلس) رواية معجم البلدان  
 طبع أوربا . أما (خنس) فهي في النسخ الأخرى . واشتقاقها من خنس  
 إذا تأخر وتنجى . والخناس المتأخر : فيكون المعنى أن رجال الوفود لما لم  
 يجدوا مكاناً يجلسون فيه ظلوا واقفين خلف الزحام . ومنهم رجال تأخروا  
 وتنجحوا عن أولئك الواقفين ، إذ لم يمكنهم أن يبلغوا محل الزحام أيضاً . ويحتمل  
 أن يكون قوله (خنس) من خنس من بين أصحابه إذا استخفى وتوارى ،  
 ويكون المراد بهؤلاء طائفة النساء اللواتي كن مستخفين عن الأنظار وبينهن  
 القيان كما يأتي :

(وكان القيان وسط المقاصير يرجهن بين حور ولعس -)  
 لم يقف الخيال بالشاعر عند حد مارآه في الساحة الكبرى وإنما تخطى به  
 الى القيان أي المغنيات اللواتي كن في المقاصير جمع مقصورة وهي الغرف

المقصورة على النساء لا بدخها غيرهن . فالشاعر رأي بخياله أو بعينه صورة  
 خيآت له القيان في المقاصير وهن 'يرججن في الغناء أي 'يرددن أصواتهن في  
 حلوقهن تفننا وإبداعاً في الصنعة . ثم وصف الشاعر هؤلاء القيان بالحسن  
 والجمال واقصر من أوصاف حسنين على وصف الحوّة والأعس فقال : إنهن كن  
 ( حواً ) جمع حواء ( لُعاء ) جمع امساء . والحوّة والأعس وكذلك الأحمى  
 ثلاثتها بمعنى واحد : وهو أن يضرب احمرار الشفة الى السواد فإن ذلك من  
 المستحلح عند العرب ، ويظهر أن جدتنا الأولى ( حواء ) كان فيها هذا الضرب  
 من الملاحظة فكانت شفتها ضاربتين الى السواد ولذا سميت ( حواء ) . وكذلك  
 جدنا الأول آدم ( صلوات الله عليه ) كان أسمر اللون لأن اشتقاق اسمه من  
 ( الأدمة ) وهي السمرة . أما ان الحوّة والأعس والأحمى بمعنى واحد فدليله  
 قول ذي الرمة :

لمياء في شفتها حوّة لعس وفي اللثا ، وفي أنيابها شنب

فهو قد قال عنها انها لمياء أي ذات لى ثم فسّر لنا معنى اللمياء فقال ان  
 في شفتها وفي لثاتها حوّة وكأنه نظر بعين الغيب اليها والى قصورنا في فهم  
 معاني كلمات لغتنا فأبدل من الحوّة كلمة ( اللعس ) تفسيراً لها . أما ( الشنب )  
 فهو بردٌ ورقة وماء في الأسنان . وقد جمع أحمد شوقي في معارضته لهذه  
 القصيدة بين الكلمتين أيضاً فقال :

لا تحسّ العيون فوق رباها غير حورٍ حو المرأش لعس

ومن أنواع البديع نوعٌ يسمى ( الأحاجي ) وهي من قبيل الألفاظ : تمدد  
 الى كلمتين مستقلتين وتساءل مخاطبك على كلمتين مرادفتين لهما بحيث يتألف منها  
 كلمة واحدة مستقلة في معناها فنقول له مثلاً أحاجيك في ( انهمض انهمض )  
 فنقول ( فقم ) وهو اسم للإثناء المعروف . ونقول له أحاجيك في ( صار في  
 الليل مدة ) فنقول في الجواب ( مراحين ) جمع مراحان بمعنى الذئب . ويسألك  
 عن ( اسكت ارجع ) فنقول صهبا ، ثم يسألك شعراً :



يامن له حسن لفظٍ ثني عليه المثاني  
 مامثل قول المحاجي أحوى الشفاه جفاني

جوابه (المستقلاني) وهو امم ابن حجر المحدث المشهور فقوله : (أحوى الشفاه) يراد فيه (ألمس) وقوله (جفاني) يراد فيه (قلاني) فإذا جمعت بين (ألمس) و (قلاني) تألف منها اسم واحد مستقل وهو (المستقلاني) . والفرض من هذا البيان إثبات أن الحوّة والألمس شيء واحد وأن قول الجعزي بين (حوّة وألمس) هو من قبيل عطف التفسير . وبناءً على هذا يرد على الجعزي اعتراض نحوي أو لغوي وهو أن كلمة (بين) لا تضاف إلا إلى متعدّد وقد وقعت (أي بين) في كلامه مضافةً إلى شيء واحد لا متعدّد فهو يقول إن تلك القيان هنّ ما بين نساء حوّة لأمس أي صمر الشفاه ثم صكت وكان من المنتظر أن يقول كن بين نساء حوّة لأمس ونساء آخر حمر الحدود مثلاً . وقد يقال في الجواب انه ذكر الموصوفات بالحوّة والألمس وسكت عن الباقيات ليذهب الذهن في تعيينهن كل مذهب ، كأنه قال بين حوّة لأمس وبين غيرهن من ذوات الأوصاف المختلفة . هذا وربما كان المعنى الصحيح للبيت غير ما ذكرناه وهو أن (بين) هنا ليست لتتبع القيان وتقسيمهن إلى ألمس وغير ألمس وإنما هي هنا ظرفيّة بمعنى وسط والمراد بالحوّة الألمس نساء القصر كلهن فالشاعر يقول إن المنفيات كن يرددن أصواتهن في وسط نساء القصر اللواتي كان أظهر أوصافهن وأملحها حوّة شفاهن وألمسها .

(وكانّ اللقاء أول من أمس - ووشك الفراق أول أمس -)

مغزى هذا البيت والذي بعده دقيق جداً : وهو منتزع من خيال غاية في السمو والطف المأخذ : ذلك أن الشاعر لما تمثّل أو رأى كسرى وعظماة مملكته ووفود أقاليمه ونساء قصره كأنهم أمامه حقيقة يرى صراتهم وأوضاعهم بل كلهم وإعياءهم ويسمع قياتهم كما يرى الحوّة والألمس من نساتهم - تمثّل

م (٦)

ذلك كله قريباً من زمنه الذي هو فيه حتى كأن لقاءهم واجتماع بعضهم لبعض كان أول من أمس أي قبل ثلاثة أيام ثم تفرقوا أول أمس أي قبل يومين . أما استعمال أمس وأول من أمس فقد أوضحه صاحب لسان العرب بقوله ( تقول ما رأيتُه مذ أمس - فإن لم تره يوماً قبل ذلك قلت ما رأيتُه مذ أول من أمس . فإن لم تره يومين قبل ذلك قلت ما رأيتُه مذ أول من أول من أمس ) . ولكن الظاهر من هذا الكلام أنه لا فرق بين ( أول أمس ) . و ( أول من أمس ) أما في شعر البحتري فيُفهم أنه فرّق بينها فهو جعل اللقاء والفرق في يومين : ( أول أمس ) الفراق و ( أول من أمس ) اللقاء . فأول أمس قبل يوم . وأول من أمس قبل يومين . فهل له دلائل من كلامهم ؟

( وكأنت الذي يُريد اتباعاً طامعٌ في لحوقهم صباح خميس )  
هذا البيت كما قلنا آنفاً يدل على أن الشاعر يريد أنه رأى بعينه صورة مرسومة على الجدران تمثل له كسرى وقومه : فهو يرى صورهم بعينه لكن المصور كان حاذقاً جداً حتى جعله يتخيل أنه كان يراهم حقيقةً بأجسامهم وأشكالهم وأوضاعهم الطبيعية ، ولذلك كان يقول كأني وكأني . وفي هذا البيت أبدع الشاعر في خياله أي إبداعاً ، فهو يقول إن الذي يراهم مصورين أمامه تجذته نفسه باتباعهم واللحوق بهم . لكن المصور أنقن تصوير الأشخاص من حيث القرب والبعد والمسافة فمن ينظر إليهم يظنهم بعيدين عنه مع أنه لو أراد لمسهم بيده لفعل . وقد حدثني صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك ( رحمه الله ) بمناسبة هذا البيت أن مرصع التمثيل تكون عادةً مصدرّة بستانر يُنقش عليه رسم شارع مستطيل وتكون على جانبيه الدور والقصور . ومن دقة الصنعة في التصوير يحسب الرائي أن هناك مسافةً حقيقيةً ممتدةً بين الأبنية الشاهقة القائمة على الجانبين مع أنك لو لمست الستار لوقمت بداك على أصابع منقوشة على سطح مستوي . قال وقد اتفق لي يوماً أن كنت على مرصع من هذه المرصع

في بعض المدارس فتمشيتُ نحو الستار وكنتُ أصدمه بجيبي ظاناً أن أممي  
منفسحاً للسير . ثم انتهتُ فجأة للأمر فوقفتُ متعجباً . والحاصل أن مصور  
مجلس كسري أبدع في تصويره حتى يخيل للرائي ان الرسم بعيد عنه وأنه  
إذا أراد اللحوق بالقوم الذين فيه لا يطمع أن يبلغهم إلا في صبيحة اليوم  
الخامس من سيره نحوهم .

\* \* \*

(عُمِرَتْ للسرور دَهْرًا فصارتُ للتمزي رباعهم والتأمي)  
رَجَعَ الشاعر في هذا البيت الى صحوه من خياله ، واستأنف الكلام على  
الإيوان نفسه . وضمير (عُمِرَتْ) يرجع الى المقاصير المذكورة قبيل البيت  
أو الى (الجلال) أي المنازل المذكورة قبل أبيات وعمرُ المنازل في كلام البلغاء  
أكثر ما يستعمل بمعنى سكنها ، وإقامة أهلها فيها . وعمروا المكان بالتخفيف  
والتشديد جملوه عامراً أهلاً بجلولهم فيه . وهذا هو المراد بقوله (عُمِرَتْ)  
مجهولاً بالتخفيف وبالتشديد : أي إن منازل كسري وربوع إيوانه كانت  
مسكونةً أهلةً بهم زمناً طويلاً ؛ أما اليوم فقد تغيرت ودرست وتحول الغرض  
من بنائها : فيمد أن كانت تلك الربوع للسرور واللاهو أصبحت للتمزي والتأمي  
أي للعبطة والاعتبار . يراها المصاب الحزون فيدسلي ويتهمزى ويتخذ من كسري  
وقومه الذين رماه الدهر بكلكله أسوةً لنفسه فيصبر ويتجلد . والرباع كالربوع  
جمع ربوع بمعنى الدار والمنزل ينزل فيه القوم أيام الربيع . ثم استعمل في  
المنزل مطلقاً نزله في الربيع أو في غير الربيع . واستعمال (عمر المكان) بمعنى  
أنهم جملوه أهلاً بجلولهم هو الأغلب في كلام البلغاء أما في شعر البحري هذا  
فيحتمل بل هو الأقرب تنازلاً أن يكون المراد بقوله (عُمِرَتْ) العبارة التي  
هي البناء بالحجر والطين . أي أن تلك المنازل والربوع بُنيتْ وشيِّدتْ بقصد  
اللاهو واغتنام فرص السرور ولكنها أصبحت الآن خراباً يباباً للاتعاض والاعتبار .

(فلها أت أعينها بدموع موقوفات على الصبابة حبس)

يقول الشاعر: أما وقد زرت منازل كسرى وتسلّيت برؤيتها عن مصيبي  
بمقتل (المتوكل) فقد أصبح من حقها عليّ أن أعينها فأذرف دموعي عليها .  
وأجملها (أي أجعل الدموع) وفقاً محبوبته على الصبابة والأُمى . وذكر الإيغانة  
بالدمع كثير في أشعار المتأخرين . وكان العرب ونساؤهم يعبرون عنه بالاسعاد  
وهو الإيغانة والمساعدة على الندب والبكاء على الميت . وما قاله أبوتمام في  
الإيغانة والاسعاد :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربح الأدراس  
فلعل عينك أن تُعين بمائها والدمعُ منه خازلٌ ومواعي

ومعنى الصبابة الشوق أو أرق الشوق . ويُريد بها هنا لوعة الأُمى التي  
لدّعت قلبه برواية هذه الآثار . ووقَفَ وحبَسَ بمعنى واحد يقال وقفتُ  
الدابة وحبستها ، ووقفتُ الدارَ في سبيل الله وحبستها ونحن نسمي الأوقاف في  
بلادنا أوقافاً أما أهل المغرب فيسمونها أحباساً . وقول البجيري (موقوفات) اسم  
مفعول من (أوقف) بالهمز وليس بفصيح بل الفصيح في الاستعمال (وقَفَ)  
الثلاثي فكان الفصيح أن يقول هنا (موقوفات) . و (حبس) بضمّتين جمع  
حبس بمعنى محبوس .

(يتبع)

# التكية السلطانية في دمشق

- ٢ -

وجميع أراضي قرية داريا الكبرى من أعمال اقليم الداراني تابع الشام تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عامرة ووهاد وتلال ومفارة<sup>(١)</sup> وبساتين ومنافع وحقول المعلومة الحدود عند الأهالي والجيران والمدينة الحقوق لدى كل ذي رقوق وعرفان كل قاطن بتلك الأراضي والأماكن بجميع حدودها وحقوقها ومرافقها ومنافعها وتوابعها ولواحقها سهولها وعوامرها ومطحناتها وغوامرها ومنابعها وسواقها وسوافلها وعواليها وجبالها وقلاها ووهادها وتلالها ومخشها<sup>(٢)</sup> وغياضها ومروجها ورباضها ومصيفها ومقصبها ومشتاهام ومحتطها وجميع حقه هو للأوقاف المذكورة المرصدة الموضحة المعمورة ذكرت أم لم تذكر، حررت أو لم تحرر وفقاً شرعياً وتأييداً صحيحاً وارصاداً مرعياً وتخليداً صريحاً. ولقد تبين ذلك وانضح، ووضح شأنه وضح، حيث أقرت واعترف جناب المقر الأشرف المالي المدرار درهم العوالي زين الفخر والفخر رهين القدر والوقار ملاً الاقبال انسى<sup>(٣)</sup> السناء والاقبال الجلي التمكن الجليل المكين لبت غابة الصولة المدير أمور جمهور الدولة ضيفم غيضة الوغاء بفترس من بغى صدر العزة الغراء ركن السلطنة الزهراء بزابيز(?) الاسارة آصف صف الوزارة المشير الأكرم الوزير الأعظم رستم باشا<sup>(٤)</sup> وفقه الله لما يشاء وأدام أيامه وأبقاه عوناً وغوثاً للملة الباهرة الوكيل باقرار المشروع بالوقف والرجوع الآتي ذكر المجموع المتحقق

(١) كذا ولها : ومنازة أو ومفارة . (٢) لعلها : محتشها . (٣) صوابها : انسى .  
(٣) تصدر الوزارة في زمن السلطان سليمان مرتين مشهود له بالدراية والاعتدال على زيادة أموال الدولة . توفي عام ٩٦٨ هـ ودفن في جامع شهزاده وله خيرات وهبات .

وكالته بالعموم والخصوص على موجب الشرع المنصوص من جانب السلطان الواقف  
 خادم خير المالكين ظل الله الأعلى الأعلیٰ على وفود وقود (?) خليفة العالم  
 وكل الله اليه نظام السداد وكل أمر كما يراد مدى الاحكام<sup>(١)</sup> وأمد الأستناد  
 بأن السلطان الواقف الذارف العوارف مد ظله الوارف وقف جميع ما ذكر  
 وعين ان يصرف ما يتحصل من أصول الأوقاف الموصوفة من القرى والمزارع  
 المرصدة الموقوفة مع ما يتحصل منها من ساير حاصلها المتعارف في أفكار ذلك  
 الطرف في مصالح الجامع الشريف المشنف بأشرف تشنيف والعمارة العاصرة المتبع  
 ذكرها السابع نعمها وشكرها . وشرط أن يرتب متول مثل عن الخيانة متعال  
 عن الجنابة ، مثل بجلى العفاف والأمانة ، مطرز بطراز الأمانة ، يشغل الأوقاف  
 على كمال الديانة ، ويشتغل بتنظيم أحوالها باعتناء بأعباء استغلالها ويستقل في . . .<sup>(٢)</sup>  
 غلالها واصلاح اختلالها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها<sup>(٣)</sup> ، ولا بدع  
 حقيرة ولا خطيرة إلا أبداها يصون صلة ضميره عن عابد الحرام ، ويتحاشى عن  
 آثام الأثام ، يحفظ الزوايد وفضلة العواید لإصلاح الرقيات وصرمة الخربات ،  
 لا يواني في خدمة ، وتفريغ ذمته ، عما في عهده ، ويعطى له كل يوم خمسين  
 درهما . وان يرتب كاتب شهيد ، لا ينقص ما أتمن ولا يزيد ، يكتب كما  
 علمه الله غير ساه ولا عاب<sup>(٤)</sup> ولا لاه ، في أنواع حواصل الوقف كما وكيفا ،  
 ولا يرى على الوري في ذلك حيفا ، ويضبط ما أصرف في مصارف الوقف  
 ووظائفه ، وبوزع على كل خادم ووظائفه وتنظيمه في سمط الجمع والحساب ،  
 على نمط السداد والصواب ، ويعطى له كل يوم خمسة عشر درهما .  
 وان يرتب على الأوقاف الموقوفة بقضاء الشام ، حرس الله تعالى قطانها  
 عن الشأم والسأم .

(١) صوابها : الأعمار او الآماد .

(٢) بياض يتسع لكامة واحدة وللمها : تحصيل او جباية .

(٣) نكتبها اليوم : أحصاها (٤) للمها : عابث .

وان يرتب جاب ليحيي مال الوقف وغلاله ويسبر ساعيا وهاده وتلاله ، متاشيا على جادة الاستقامة متاشيا عما يؤديه الى الندامة ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .  
وان يرتب على الأوقاف الكائنة في قضاء بمليك وناحية كرك جاب آخر أمين ، وثيق لا يمين ، يسعى في استحصال الغلال أصيلا ، ويجد في مصالحه بكرة وأصيلا ، يجمع حقوق الوقف ومقاله ، لا خائنا له ولا عاله ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم . وأشرط السلطان ذو السلطان الواقف العلي الشان الجلي البرهان لازل ذكران ذكراه الباهر عن خطبة خطبة السلطنة الزهراء أن يرتب بالجامع الشريف ، خطيب متدين عريف ، درع مصقع فصيح ، بارع جهوري نصيح ، عالم بمالم خطاب الخطابة ، يثقي ويرعى كتابه ، يبين للناس ما نزل اليهم ، ويتحرى طباعهم لما فرض عليهم ، يخطب يوم الجمعة في الجُمُوع والعيدي في الأعياد ، على الدين المشروع المعتاد ، ويدفع اليه كل يوم عشرة دراهم .

وأن يرتب امامان من أهل الصلاح ، يتفرس منهما سبيا الفلاح ، مجودان مجيدان يرتلان كلام الحميد بايمان ، دينان ، تقيان ، عن مسالب المناهي تقيان نعمانيا المذهب ، سنيا الاعتقاد ، ثابتا القدم على سبيل سنن الرشاد ، عالمان بأركان الصلوة وواجباتها وصفنها وآدابها واستحباتها ، يؤمان الجماعة بالجامع المعهور ، ويقيان خدمته على الوجه المبرور . يحضر كل واحد منهما بنوبة كل وقت من الصلوات الخمس المكتوبة ، والترائج المسنونة المندوبة ، ويدفع الى كل واحد منهما كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب ثمانية مؤذنين ليقموا الأذان والتحيد ويؤدوا إقامة الصلوات يستلذ الصماخ في صوتهم ، دينين متورعين ، متناوبين متوزعين ، ويعطى لكل واحد منهم كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب موقت ماهر في علم الميقات بوقت للمصلين موافق الصلوات ، ترصد بمرصد المرصاد ، ويكون ربه أنس الأرصاد ، لا يرقى في درجة الا وفقها ، ولا ينال دققة الا حققها ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وا [ن] بقام صرق بقم الخطيب من قاعته ، وبدله على المنبر من ساعته ،  
آخذاً سيف السنة بيده ، ويرقي الخطيب الى معضده ، وينقل حديث الالفات  
بألد الأصوات ، ويعطى له كل يوم درهم واحد .

وان يرتب بواب وفراش وكناس وشمال ، يثبكر بفتح الباب وتغليقه بالغدو  
والآصال ، ويفرش الفرش ، ويبسط البسط ، أشرف فرش ، وأحسن بسط ،  
ويكنس الجامع كما دعى اليه داعي الاستدعاء ، ويشعل المشاعل حين يفشى ،  
ويوقد القناديل بالليل اذا يفشى ، يتحفظ على الفرش والبسط تحفظاً ، ويتيقظ  
في تنظيف المشاعل وحمايتها تيقظاً ، ويفتح في الصدد بعد ساعة الاداء وينفذ ،  
ويعطى ان ينعمد ذلك كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب منجز يبخر في الجمع والأوقات المعتادة حسبما كانت عليه العادة  
بروح الروح . . . (١) ويعطر مشام الانس والجن ويعطى له كل يوم درهماً .

وان يرتب سبعة قراء حفاظ ، مجودين بأجود ترتيب واحتفاظ ، يكون أجودهم  
تجويداً وترتيباً شيخاً على الباقين ، ورئيساً جليلاً بفتح بعشر من كلام الله  
الفتاح ، عاصماً لهم عن السهو نافعاً بالافتتاح ، ويقراً كل منهم عشرآ من القرآن  
العظيم والفرقان المجيد الكريم ، ويعطى للشيخ الرئيس كل يوم خمسة دراهم ،  
ويعطى لكل من الباقين كل يوم درهماً .

وان يرتب معرف بعرف نعم المقتضى الانعام ، ويعلم معالم الشكر على الأنعام ،  
ويدعو لبقاء السلطان الجليل والحقان النبيل ، ويهدي ثواب ما تبسر من القرآن ،  
الى أرواح أنبياء الهادي المستعان ، لاسيما نبينا محمد المصطفى عليه وعالمهم سلام  
من اصطفى . ويعطى له كل يوم درهماً .

وان يرتب ثلاثون رجلاً من القراء يقرأ كل واحد منهم في الجامع الشريف  
والمسجد اللطيف بكرة النهار بكل يوم جزءاً كريماً من القرآن المجيد ، على الترتيل

(١) بياض يتسع لكاتبين .



والتجويد ، ويكون واحد منهم شيخاً لهم ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم ،  
وغيره كل واحد منهم درهمان .

وان يرتب رجل بفرق الأجزاء الكريمة عند التلاوة في الوقت المهدود  
ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجل يراقب من حضر ومن غاب من القراء المذكورين ويضع  
النقطة إذا لم يحضر واحد منهم ، ثم يعلم المتولي في رأس الشهر عند التفريق  
على الموظفين ، ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجلان يقرأ كل واحد منهما على الكرمي عشرآ من القرآن  
العظيم أحدهما بعد صلاة الظهر والآخر بعد صلاة العصر ، ويعطى لكل واحد  
منهما كل يوم أربعة دراهم .

وان يرتب واعظ يعلم الناس الدين ويحقق لهم اليقين في ثلاثة أيام من  
الأُسبوع منها الجمعة ويعطى له كل يوم عشرة دراهم .

وان يرتب قارئ مجود من حسان الأصوات ، اذا قرأ القرآن مالت اليه  
السامع للانصات ، يقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح سورة<sup>(١)</sup> يس ، لتنتشر  
بركاتها بين الحاضرين المستمعين ، ويدعو بعدها بالدعوة الصالحة الجامعة لزيادة  
درجات واقفه العلي الشان ، قوي البرهان ، كان الله معه ، ويعطى له كل  
يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب قارئ مجود يحسن التجويد والترتيل يرتل كلام الله المجيد بمن  
يميل الى حسن صوته وتلاوته المستمعون ، يقرأ كل يوم بعد صلاة العصر  
سورة<sup>(١)</sup> عمّ بنساء لوت ، ويدعو بعده للواقف الواقف على مواقف الخيرات  
ويستنزل له من حضرة القدس مزيد البركات . ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب رجل موصوف بالأمانة ، معروف بحسن الديانة لحفظ المصاحف الشريفة  
الموضوعة هنالك من المواضع الخفيفة ، ويعطى له كل يوم درهمان .

(١) في الأصل : سورة .

وان يرتب كناس وفراش للحرم بكنسه وبفرشه عند الحاجة على الوجه المحترم  
ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب بواب بالباب الشرقي يرصد ويكنس الاصطبل الشرقي على النهج  
السديد ، وبواب آخر بالباب الغربي قائم بخدمته ويكنس الاصطبل الغربي لدى  
حاجته ، وعليها مؤنة حمل زبل الاصطبلين الى المزبلة . ويعطى لكل منها كل  
يوم خمسة دراهم .

وشرط السلطان الجليل والخالقان النبيل الواقف المشار اليه لازل بفياناً من  
المانان مشاراً اليه وما برحت عمارة العالم عامرة بوجوده ، منعمة برحب نواله  
وجوده ، أن يرتب فراش ينزل المسافرين والضيوفان النازلين في منازلهم حسبما  
شرطه الواقف الخطير ، وبكرمهم كما رسمه رسول الله الكريم القدير ، ولا  
يهتك أستار أعراضهم لدى الاضافة ، ويهتم في إحضار الزبل وأكل الضيافة ،  
ولا يتوانى في خدمته ، ويهتم اهتماماً ، ويقوم برعايتهم بالأدب قياماً ، ويعطى له  
كل يوم خمسة دراهم .

وأن يرتب شيخ بنظر في طعام المارة الممد للمستحقين وبدوقه ويتعرف  
استواءه وطعمه واعتدال أجزائه حسبما يروقه ويتفرغ على نظر تعرفه ومعرفته  
علماً وحكمة غرفه وبكيفية تفرقه <sup>(١)</sup> على أهل الفقر وفرقه كل غدوة وعشاً ما بداه  
رطب وخشن ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب تقيان عتيدان رقيبان دبنان تقيان عن طمع قطم الحق ، أحدهما  
يوزع الخبز والآخر اللحم ، على المستحقين حسبما بان استحقاقهم المبين ، ويكون  
وظيفة كل منهما ستة دراهم .

وان يرتب أربعة أسانذة لرسم طبخ الطعام الممد لإطعام أولي الاستطعام ،  
مهرة في تسوية أجزائه وامتزاجه وإخلائه وحسن انضاجه متناوبين مثق على  
السنين الأسنى ، ويعطى لكل أسانذ منهم كل يوم سبعة دراهم .

(١) لعلها : وبكيفية تفرقه .

وان يرتب ستة تلاميذ لرسم خدمة الأساتذة بأعداد العدد ، وامدادهم في الطبخ بكل مدد ، بحسن التعاون على مراسم الطبخ من غير تهاون ، مقتدين لهم في التناوب ونوب التعاقب ، وبكفء المطبخ من ينعهد الطبخ ولا مساهي ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم أربعة دراهم .

وان يرتب خباز ماهر أستاذ ، قادر على تعديل المعجن واخبازه ، واعطائه حسن تمييزه وامتيازته ، ويعطى له كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب أربعة تلاميذ لخدمة خبز الخبز وامداد الخباز ، لنخل الدقيق وعجن الخبز وتقطيعه عند الاعواز ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم خمسة دراهم . وأن يرتب وكيل خرج للمهارة يشتري مهامها في ابانها ، ويدخر حوايج الطعام في اوانها ، لا يتواني ولا يتكاسل ، فان شوهد<sup>(١)</sup> الجهد أحلى من عمل الكسل ، يعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب رجلان لرسم حمل الصحون المشحونة ، بألوان أطعمة ممنونة ، منظمة كلال مكنونة ، الى بيوت الضيافة وروادها في أماكنها واعادتها الى مخازنها ، ويعطى لكل منها كل يوم درهماً .

وان يرتب ثلاثة رجال لحمل الطاسات المشحونة بالطعام الى فقراء الأنام الحاضرين بها غدواً وعشيا ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهماً . وان يرتب رجل لغسل أواني بيوت الضيافة ، وتنظيف مواعين دور الضيافة ، ويعطى له كل يوم درهماً .

وثلاثة رجال لغسل تلك الطاسات ونظيرها بنقيرها وتنقيرها ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهماً .

ورجل لتمويه الأواني والمواعين وتبييضها إذا الجأت التمسين ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

(١) لعلها : شري أي حنظل .

ودفاق للحنطة بدقها كما يحتاج اليه ، ويتوقف حسن طبخها عليه ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وخازن حفيظ أمين ، وثيق مكين ، يتمهد حفظ ما في مخزن العمارة متجانبا عوار الطمع وعاره ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وتلميذاً للخازن يعطى له كل يوم درهمان .

وحمال يحمل اللحم الى محله بالعمارة المسمورة ، وبوودي خدمته على طريقة الامان المبرورة ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

واربعة نفر لتنقية الحنطة والأرز حسبما تستريح أسنان الطاعم عند صدمة دفاق الحجارة عند تناول المطاعم ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

وبوابان يقومان بأبواب العمارة والمآكل يكتنسانها غدواً وعشيا ، ويعطى لكل منهما أربعة دراهم .

وخازن حفيظ فظ غليظ أمين غير غدار ، يصرف المخزون من الحنطة بالأنبار ، والمتخذ من الحطب بالمحاطب عند الحاجة من غير نصب ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

وعين الواقف الشامل الاحسان اب اسكل قاص ودان أن يطبخ كل غدوة للأضياف المسافرين الأرز المفلفل والمرق الحامض أحسن تعيين ، وعين له

سبعة عشر مناً من الأرز النقي ، وعين أن يطبخ لهم كل عشي الأرز المفلفل والحلو المزعفر ، وأعد لها عشرين مناً من الأرز الصافي والأطعمة الممددة المزبورة

بكرة وأصيلاً عشرة مناً من سمن البقرات السمات . وعين الواقف الواجب الاحترام محي سنة أملح الأنام أمد الله برعايته ، ونظر اليه بهين عنايته ،

للمزعفر الممد للضيغان من العسل المصفي ستة أمان ، وثمنا للملح الأظعمة والخبز من الملح ، وثمان الحمص والتوابل ومحسنات المرق الحامض كل يوم عشرين درهماً

فضياً ، وخبز المسافرين كل يوم خمسين مناً من الدقيق الطيب على التحقيق لطبخ الأظعمة المذكورة كل يوم فنتاراً من الحطب يجلب من كل حدب ،

ولخبز المسافرين كل يوم أربعة وعشرين كپلاً شعيراً بالكيل الشامي ، ويوزع

كل من الأظعمة صباحاً ومساءً غدواً وعشيا على حساب أربعة وعشرين صحناً موزعاً على أربعة وعشرين سماًطاً لكل من بيوت الضيفان من الأسمطة سفرتان وعلى كل سفرة من الجلاس خمسة أنفس ، ويضاف الى كل سفرة من الطعام المعد للفقراء الطعام الآتي تفصيله : صحن واحد تشتمل كل سفرة على صحن لحم وثلاثة ألوان من الطعام ويهطى لكل سفرة عشرة أخباز .

وعين السلطان الواقف النبيه المنوه شأنه بأنوه نوبه ، لا ذات نعم انعامه دائمه على العباد الى ميعاد المعاد والتناد ، لطعام عامة الفقراء مخصوصاً ، معيناً منصوصاً ، من لحم الضأن المبين الشأن ، كل يوم مائة من سبعة وثلاثين مناً ونصف من ، وشرط أن يطبخ نصفها بكرة ونصفها الباقي عشية . وشرط السلطان مد الله ظلال اجلاله على مستخدم نوال أفضاله أن يطبخ في ليالي الجمع وليالي رمضان المبارك الشريف ويومي العيدين وايلة البراءة المنيفة الأرز المفلفل والحلو المزعفر ، وعين لكل مرة ثلاثة وتسعين مناً من الأرز النقي ، وللطعامين المرقومين لكل مرة ستة وعشرين مناً وثلاثة أداني<sup>(١)</sup> من السمن البقري ، وللمزعفر منها لكل نوبة ثمانية وعشرون مناً من العسل الحري . وعين عين الدولة الباهرة ، زين السلطنة الزاهرة ، السلطان المندوب لله ، مبتغياً رضاه ، مرتجياً مزيد آلائه لا زال جامع وجوده الرشيد مستنيراً بأنوار التأييد لثمن استماع<sup>(٢)</sup> الكافور والزيت والحصر للجامع الشريف ، وبيوت الضيافة ، والمطبخ المنيف ، والمخزن العام ، في كل سنة عشرة آلاف درهم .

ثم شرط الواقف الجلي البرهان أسبغ الله عليه سوابغ نعمه وهناه بما هياً له من هناء كرمه لطعام الضيفان خاصة ، على العموم ناصة ، كل يوم من لحم الضأن الطري السمين الشأن اثنين وسبعين مناً من الله المنان عليه مناً ، يطبخ نصفه ستة وثلاثون مناً صباحاً بوزع على أربعة وعشرين صحناً ، ونصفه الباقي يطبخ رواحاً ، بوزع أيضاً على ما صرحنا .

(٢) لعلها : ابتاع .

(١) لعلها : اواقي .

وعين ، تقبل الله له عمله ، وأظفره ما أمله ، لأنواع الأطعمة والخبز كل يوم من الملح النقي اثني عشرة مناً ونصف من ومن الحمص ثمانية أمانان ونصف من ، ولثمن التوابل واللبن والحصرم والفلفل وسائر محسنات طعام الفقراء كل يوم ثلاثين درهماً فضة ، وصبعة فناطير حطب .

وشرط السلطان أيده الله بر بالبر به ، وكثير بالخير خيره ودره ، خبز الفقراء ما يأتي : خمسة وسبعين مناً دقيق خالص نقي في التدقيق . وشرط السلطان أيده الله ونصره وقواه وأظفره أن يطعم بالمأكل كل غدوة ثمانمائة فقير عايل وعشياً كذلك بلا نهر عايل ، ويقطع خمير الخبز الممد للفقراء بعد ما عجن واستعد الفا خبز ويقطع اللحم المطبوخ على أن يكون كل قطعة ثمانين درهماً وزبناً ويقطع الخمير على أن يستقر بعد الاختيار كل كثرة على مائة درهم وزنه غير محترق ولا في ويوزع المرق الممد سداً للرمق صباحاً ورواحاً على خمسمائة طاس ، لكل مائة ثمانية أمانان من الأرز وكيل من القمح مع ما لزمه ، ويعطى لكل اثنين من فقراء الناس طاس ، ويعطى لكل فقير خبز من غير تقشير .

وشرط السلطان الباني للخير ابتغاء لفضل الله خير شكر اشكور سمع به في المبرات ، وهو عالم السر بالمسرات أن يفرز من غلال وقفه المسطور ومحصول مرصده المبرور كل يوم مائة درهم فضي على الوجه المذكور المرضي ، ويصرف للعلماء العاملين المنقطعين المنجذبين اطماماً هي اقتناء الكمالات الانسية ، وحرصاً على اقتناص الملكات القدسية ، تجرداً عن رياسة الرياسة الفانية ، ورغبة في ذات اللذات الباقية الى طريقة التجريد للتزقي الى مصافي التوحيد امداداتهم بنظم معاشهم وبحسن انعامهم في معاشهم ويوجه الى كل من الموصوفين المتخذين (١) المسفوبين كل يوم قدر يمدده على قضاء أوده من درهمين الى سبعة دراهم حسب استحقاقهم ومراتب طباقهم لا يزداد ولا ينقص مما نطق به الكتاب ونص ، فمن

(١) لعلها : المنجذبين كما سبق اعلاه .

أخل بخدمته بطرف فتور وتوان أخذه الله بنكال الهون والهوان ، وما يأخذه من الأجر يكون سحتاً وحراماً ، ويؤ مبرأ دار البوار مقاماً .  
 وشرط جعل الله قيام خيام اقباله على عمدان الخلود ، وربط أطناب مرادقات اجلاله بأوتاد أبد الأبود ، أن يكون جملة أمور الأوقاف ومصالحها منوطة بصائب رأيه ومصالحها بحيث يتصرف فيه كيف يترأى لرأيه النبيه من نقص وظايفها ، وزيادة مصارفها ، وبدئها وإعادتها ونقصها وإجارتها ، وعزل أصحابها ، ويستبد في تبديل الشرايط ويستأثر في تحويل الضوابط الى ما هو أحسن وأنفع وأعجب وأبدع مرة بعد أخرى على النهج الأخرى .

وشرط الواقف الجليل الشان الجلي البرهان لزال منظوراً بنظر عين الله التي لا تنام وبلغه عزاً لا يحام حوله ولا يرام ، أن يكون كل من يتولى قضاء دمشق الشام من كرام العلماء الأعلام ناظراً على أوقافه المزبورة على الوتيرة المبرورة ، بحيث لا يجبل جليل من مراسمها عن إحاطة علمه ، ولا يدق دقيق من معالمها عن احاطة فهمه ، ويحاسب متماطي محصولها في فروعها وأصولها دخولاً وخروجاً من كل الأرجاء تعييناً مرضياً وشرطاً مرعياً . وأقر بأنه (١) :

اخرج الأوقاف المذكورة عن ملكه ، ونقض ربة ملكه ، وعزل سلطان تصرفه عن حاطته ، ولم يتمكن سطوة تمكنه من احاطته ، وسلم جميع المزارع والقرى المرقومة بأمرها لأنخر المفاخر والأكارم ، مستجمع المفاخر والمكارم ، عمدة من عليه الاعتماد ، معدن شيم البر والسداد ، عين أعيان الخزانة الخاقانية ، أسعد السواد في نماء الأموال السلطانية ، المشرف بالمجد الجلي ، المشنف بالقدر العلي ، مولا محمد چايي الدفترى الشهير بابن شريفه أفاض الله عليه من فضله الشريف ، بعد ما نصبه نصابة للتولية تخليه لأمر الوقف وتخليه الى استنابات أمر

(١) صوابه : وأقر بأنه .

التسجيل والاستثياب لحكم التسجيل . وقد تسلمها من الواقف الرفيع القدر  
 المنيع الصدر سلطان سلاطين الانسان انسان عين العدل والاحسان سلمه الله  
 السلام ومد ظله على أمد المدد أشرف ظله تسليماً خاوياً عن جماح الموانع ازمة  
 رمتها وتسليماً خاوياً لصحاح الشرايط بحجة جملتها اقراراً صريحاً ، واعترافاً صحيحاً ،  
 مصادقاً للتصديق الحقيقي بالاعتداد من قبل المتولي المشار اليه المعان في جميع  
 ما نظم في سمط الرق المنشور ، من أمور الوقف المبرور المشكور ، فلما انتظم  
 نظام تمامه واشق<sup>(١)</sup> نسق اختتامه بحسن اهتمامه ، وانتهى ما خطته أقلام المقال ،  
 وآل حال الوقف الى هذا المآل ، أراد الوكيل الجليل المشار اليه ، لازل  
 ببنان الأعيان مشاراً اليه ، أجود ارادة رايد راد جادة الاجادة أن يرجع من  
 جهة الواقف المزبور ومحرز البر المبرور مسترداً اياها عن المتولي المتحلي المستخلي  
 مستبداً بنقض ما أبرمه الواقف وأبده وبفسخ ما أحكمه وشاده وشيده معتمياً به ،  
 سجل ما عقده وصد باب ما سدده عانيا نظم الأوقاف : مزارعها وقراها ، بأمر  
 رقبها وربقة عراها ، في صلك ملك الملك المالك ، على أسلم المالك ، ففخاصما  
 وتنازعا ، وتحاكما وترافعا ، الى المولى الفضل المولى الكامل الخير الحمد  
 مجير المشرع النحرير النجيب في كمال تورع محق حق الطريقة الطريفة ،  
 رافع علم العلم والشريفة الشريفة ، الناطق بالصواب الصدر المصدر أعلى  
 الكتاب بتوقيعه الشريف المستطاب أدامه الله مدى الأحقاب ، فشرع  
 في استرداد ما بيد المتولي من الأوقاف الموقوفة على الوتيرة الموصوفة ، مستمداً  
 بعد لزومها بخصوصها وعمومها على قول المجتهد الهام ، القرم الفمقام ، الركن  
 الراصخ ، العلم الشامخ ، ذي السناء الشارخ الحيز الجلي الأشم ، الخبر اللحي<sup>(٢)</sup>

(١) صوابها : واتسق .

(٢) لعلها : البحر اللحي .



الخضم ، الجليل الضخم النبيه الأعلم ، رافع مورد الفموض عن حدود عرائس  
التنزيل على حدود الأخدود ، المجدود المعهود ، النبيل سراج الأمة ، تاج الأئمة ،  
عنوان ديوان السداد ، سلطان سراير الاجتهاد المهام الأكرم ، الامام الأعظم  
أبي حنيفة النعمان حقه الله تعالى بنعيم الرضوان .

نظم :

ان المذاهب جلها وأجلها      يمزى الى البحر الخضم الكوفي  
هذب به نفسا وخذ مذهبها      اذ من قضاء كفاه آخر كوفي

فما راضها المتولي المزبور اعراضاً على الوجه المبرور بأن وقفية تلك المزارع والقرى حسبما  
قصه نص الكتاب وأقر وان لم تكن لازمة مقدمة عند أعظم أئمة الأمة تاب التواب عليه ،  
وأحسن بالمغفرة اليه ، لكنها عند المجتهد الأكرم المهام الطمطم الامام ابي يوسف  
تلزم ، بقول الواقف : وقت ، وعند المجتهد الامام القرم القمقام الامام محمد  
رحمها الله الصمد يلزم بالتسليم الى المتولي على ما وضعت فطالب المتولي الحاكم  
بحكم نص الكتاب النظر في أمر الوقف والحكم بلزومه كما يستطاب على منطوق  
قولها السديد ، وموجب مذهبها الرشيد ، فنظر في ذلك نظراً أنيقاً وتدبر في  
الأمر تدبراً وثيقاً ، وشاهد في بد المتولي برهاناً جلياً ، وغاية دليله سلطاناً  
علياً ، فرأى رأيه الصائب ، وبدا لنظره الثاقب ، أن تمهيد أركان الخير وتشديد  
مباني الوقف هو الأوفق لا غير وان حسنة مجلبة الحسنى ، وترجيح جانب التقرب  
وسيلة الفوز الأسنى ، فحكم بصحة الوقف ولزومه ، وصحة شرايطه ورسومه ،  
وقضى بذلك بخصوصه وعمومه ، حكماً محكماً ، وقضاً مبرماً ، مستوفياً ما يجب  
في الحكم رعايته حسبما عرجت اليه دراية الفرع وروايته ، فصارت جملة ما وقف  
على ما وقف عليه ، ووصف فيه وصفاً ، ووفقاً لازماً مستجيلاً منيراً ، لا ينهدم  
قواعده ، ولا يتصلى مقاعده ، ولا تغير شرايطه ، ولا ينخرط في سلك  
التحريف خرايطه ، ولا يجل لأحد من يؤمن بالله واليوم الآخر من سلطان

م (٧)

أو وزير أو أمير أو قاضٍ أو وارث غائب أو حاضر تغيير هذا الوقف المرفوع  
السقف عن نسقه ، المحرر المقدر بعدما تحرر وتقرر ، فالذي يتعرض لتحويله  
ويسمى في تبديله ويبتغي نقض عساه وينبع في ذلك هواه ويجنح الى جناح  
تغييره ، ويطمع في إبطاله بتزويره ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،  
وليتبوا مقعده ومبواه<sup>(١)</sup> من سجن مجين وليتجرع ما لا يسمغه من غسلين .  
فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الدين يبدلونه ، إن الله سميع عليم . واجر  
الواقف على الحي الكريم ، ووقع الاشهاد والتحرير على النمط المنظوم في سبط  
التقرير في سابع الشهور شهر الله الفرد الأصم رجب المرجب لسنة أربع وستين  
وتسعمائة ، من هجرة من بهت الى كل فئة .

جعفر الحسني

—————

(١) لمها : ومثواه .

# أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٧ -

آراء ابن جني في العربية

نظرياته الخاصة ومذاهبه التي انفرد بها

أحب الامام أبو الفتح بن جني اللغة العربية وأغرم بها حبا وغراما عجيبين ولا غرو فان ذلك الامام المصنف المرفه الحس الذي آتاه الله عقلاً كبيراً ، وعلماً واسعاً ، وملكة عجيبة قد اطالع على أسرار هذه اللغة العربية الشريفة فأحبها الى درجة التذلل بها وبأسرارها ، وصنّف الكتب في تبين غرائبها وكوامن دررها ، وتعداد فضائلها ، يقول في مقدمة كتابه النفيس (الخصائص) وهو يهدي الكتاب الى الأمير بهاء الدولة بن بويه : « هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور بهاء الدولة ٠٠٠ كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له عاكفاً الفكر عليه ، ومنجذب الرأي والرواية اليه ، واداً أن أجد مهملات أصله به ، وخطلاً أرتقه بمحله ٠٠٠ هذا مع إعظامي له واعتصامي بالأسباب المتناطة به واعتقادي فيه انه من أشرف ما صنّف في علم العرب ، وأذهب في طريق القياس والنظر ٠٠٠ وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة » (١) .

(١) الخصائص الطيبة الأولى ٢/١ ، ٣

ويقول أيضاً: «هذا أمر قدمناه امام القول على الفرق بين (الكلام) و (القول) ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، ويوجب من وسيع مذاهبها ، وبديع ما أمدت به واضعها ومبتدئها»<sup>(١)</sup> . ويقول أيضاً: «اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرفقة ما يملك علي جوانب الفكر حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر»<sup>(٢)</sup> .

وابن جني من شدة إعجابه باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والشعر العربي والأحاديث النبوية يكاد يؤمن بأن هذه اللغة لغة تسحر من بتعمق في دراستها ، وتفهم أسرارها ، وإعجاز مبانيها حتى يقول: «وكلام العرب لمن عرفه وتدرّب بطريقتها فيه جار مجرى السحر لطفاً وإن جسا (أي جفا) عنه أكثر من ترى وجفا...»<sup>(٣)</sup> .

فأنت ترى من هذا القول وما سلف من أقواله قدر الدرجة السامية التي وصلت إليها اللغة العربية في قلبه . ولا ريب في أنه ما قال هذه الأقوال إلا بعد الفحص والتمحيص الدقيق ، وإلا بعد أن قرأ وسمع وحفظ ، ووسع عقله من علوم العرب والإسلام الشيء الكثير . فقد كان رحمه الله واسع المعرفة لا في علوم العربية من نحو وصرف وعروض وأدب وبيان وحسب بل في جميع مناحي العلم والمعرفة التي بلغها الناس في عصره ؛ فهو من كبار علماء الكلام ، وكثيراً ما كان يذكر أقوال علماء الكلام في كتبه ويناقشها ويرد عليها<sup>(٤)</sup> ، وهو من علماء الفقه يذكر كثيراً من أقوال رجال هذا العلم ويناقشها ، ولعله كان حنفي المذهب فقد كان ذا صلة شديدة بكبير فقهاء الحنفية في عصره وهو الامام ابو بكر احمد ابن علي الرازي الجصاص (- ٣٢٠) ، وكان يناقشه ويذكر فضل شيخه أبي علي الفارسي

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ١٥

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٥

(٣) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢١٢

(٤) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٣٠

في حضرته<sup>(١)</sup> وهو ينقل بعض آراء أبي حنيفة النعمان في كتبه ويقبس عليها في العربية<sup>(٢)</sup> .

وكان ابن جنبي من علماء بعض اللغات الأجنبية كالفارسية فقد ظهر ذلك مرات في كتبه ، ولا غرابة في ذلك فإنه كان عالماً لغوياً يبحث في فقه اللغات وأحوالها ، وجد يربطه أن يتقن بعض اللغات الأجنبية ليقبس عليها ويستشهد ببعض أحوالها وأوضاعها في القضايا اللغوية ، ثم إن كثرة مخالطته لشيخه الامام أبي علي الفارسي وهو من أرباب هذه اللغة وعلمائها ، تجمله بتعلمها وبتقنها ، وينقب عن الشواهد والمصطلحات التي تعينه في دراسته اللغوية فقد ذكر في (الخصائص) في فصل عنوانه (القول على أصل اللغة ألهام هي أم اصطلاح) : إن العلماء قد اتسحوا في هذا الأمر الى قسمين ؛ قسم يرى انها إلهام من الله سبحانه ، وقسم يرى أن الناس اصطلاحوا على ذلك ، وهو أميل الى القسم الثاني ، وأن اللغة تواضع واصطلاح لا وحي من الله ولا توقيف ، وقد أظن في بيان ذلك والتدليل عليه ، وما قال : «فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم فأدأوا اليه وقالوا انسان انسان انسان فأبي وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق . وإب ارادوا سمته (عينه) أو (يده) أشاروا الى ذلك وقالوا (يد ، عين ، رأس ، قدم) ونحو ذلك ، فتمت اللفظة من غير هذا عرف معيها وهلم جرا . . . ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضع الى غيرها فنقول الذي اسمه انسان فليجعل مكانه (سرد) والذي اسمه رأس فليجعل مكانه (سر) وعلى هذا بقية الكلام . . .»<sup>(٣)</sup> . وكتبتا (سرد) و (سر) فارسيتان معنى الأولى رجل ومعنى الثانية رأس .

وله أقوال أخرى كثيرة في (الخصائص) و (سر الصناعة) تدل على معرفته باللغة الفارسية والشعر الفارسي وأوزان العروض وأصول تلك اللغة .

\*  
\*  
\*

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢١٤

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٢ - ٤٣

و كانت لأبي الفتح نظريات خاصة في اللفظة والنحو والصرف انفرد بها ،  
واعتمد فيها على بجهته الخاصة ومعارفه العامة وتوسمه في مباحث فقه اللغات ،  
ولم يكن أبو الفتح ميالاً الى مذهب بهينه ، فانه لم يكن بصرياً ولا كوفياً  
ولا بغدادياً وانما كان صاحب طريقة منفردة خاصة به ؛

فمن ذلك قول الاشتقاق الأكبر : وقد عقد له باباً مطولاً في الخصائص

ذكر فيه ان هذا البحث الذي لم يبحثه أحد قبله من أئمة النحو البصريين أو الكوفيين ،  
وان كان أستاذه ابو علي الفارسي قد ألم به بعض الامام واستعان به وخذ اليه  
ولكنه لم يسمه وانما كان يبحث في بعض مسائله عند الضرورة ، ولكن  
صاحبنا ابن جنى نظم أموره وسماه حيث يقول في باب ( الاشتقاق الأكبر ) :  
« هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن ابا علي رحمه الله كان  
يسميه به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسمه  
وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه ، ويتعمل به ، وانما هذا  
التلقيب لنا نحن ، وذلك ان الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير فالصغير  
ما في أبدي الناس وكتبهم . . . وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً  
من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب  
الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك رُد بلطف  
الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد . . . نحو :  
( ك ل م ) و ( ك م ل ) و ( م ك ل ) و ( م ل ك ) و ( ل ك م ) و ( ل م ك ) ،  
وكذلك ( ق و ل ) و ( ق ل و ) و ( و ق ل ) و ( و ل ق ) و ( ل ق و )  
( ل و ق ) <sup>(١)</sup> . وقد ذكر في صدر الكتاب أن هناك فرقاً واضحاً بين أصلي  
هاتين المادتين ( قول ) و ( كلم ) وان مادة ( ق و ل ) أين وجدت وكيف  
وقمت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره انما هو للخفوف والحركة ،

(١) الخصائص الطبعة الأولى ، ١ ، ٥٢٥ - ٥٢٦

وجهاً ترا كتيها الستة مستعملة كلها ، لم يهمل شيء منها . . . . وأما مادة (ك ل م) فهذه أيضاً حالها وذلك انها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة والمهمل منها أصل واحد وهو (ل م ك) فلم تأت منه في ثبت .

### ومن ذلك قواد بنظرية ترافع الأخطام : فقد عقد لها باباً خاصاً في الخصائص

فقال : « باب في ترافع الأحكام ، وهذا موضع من العربية لطيف لم أر لأحد من أصحابنا فيه رسمًا ولا نقلوا الينا فيه ذكراً ، ومن ذلك مذهب العرب في تكسير ما كان من (فعل) على (أفعال) نحو : علم وأعلام ، وقدم وأقدام . . . قال سيبويه فان كان على (فعل) كسروه على (أفعل) نحو : أكمة وآكم ، ولأجل ذلك حمل (أمة) على انها (فعل) لقولهم في تكسيرها (أم) الى هنا انتهى كلام سيبويه ، الا انه أرسله ولم يعلله ، والقول فيه عندي ان حركة العين قد عاقبت في بعض المواضع تاء التأنيث وذلك في الادواء نحو قولهم (رمت رمتاً) و (حبط حبطاً) و (حجج حججاً) فاذا ألحقوا التاء أسكنوا العين فقالوا (حقل حقلة) و (مفل مفلّة) فقد ترى الى معاقبة حركة العين تاء التأنيث ، ومن ذلك قولهم (جفنة وجفنتات) و (قتصمة وقتصمات) لما حذفوا التاء حرّكوا العين فلما تماقت التاء وحركة العين جرباً لذلك مجرى الضدين المتعاقبين فلما اجتمعا في (فعل) ترافعا أحكامهما فأسقطت التاء حكم الحركة وأسقطت الحركة حكم التاء فال الأمر الى أن صار كأنه (فعل) ، و (فعل) باب تكسيره (أفعل) وهذا حدث من هذه الصناعة غريب المأخذ لطيف المضطرب فتأمله فانه مجدي عليك مقول لنظرك (١) » .

فأنت ترى أن ابن جنّي في ملاحظته الدقيقة العجيبة هذه قد كشف عن سر من أسرار هذه اللغة لم ينتبه اليه احد من العلماء الكبار قبله ولا حوّم حوله

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٥٠٢

أحد بدمه وهذا يؤيد ما قلناه عنه من رهافة الحس ، ودقة النظر في البحث عن  
أمرار لغة القرآن وانتظام أحوالها اللغوية انتظاماً عجيباً بدهش كل من ينظر إليه .

ومن ذلك قوله بنظريته وضع أصول العربية : وحرصه على أن يكون لعلم

النحو أصول مثل أصول الكلام وأصول الفقه ، فقد كان ابن جني عالماً مستقراً متنبهاً ، ومنطقياً مدققاً ، اطلع على أمرار العربية وخصائص نحوها فرأى أن  
العلماء الأقدمين أهملوا ناحية مهمة في التأليف وهي ناحية إيجاد فن من فنون  
العربية أطلق عليه فن أصول العربية و « ذلك اننا لم نر أحداً من علماء البلدين  
- الكوفة والبصرة - تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام  
والفقه »<sup>(١)</sup> وان كتابي أبي الحسن الأخفش الذي سماه (المقاييس في النحو)  
وأبي بكر بن السراج الذي سماه (كتاب الأصول) لم يكونا في هذا الصدد  
على الرغم من أن أبا الحسن الأخفش « قد كان صنف في شيء من المقاييس  
كتيباً اذا أنت قرنته لكتابنا - أي الخصائص - علمت بذلك اننا بنينا عنه فيه  
وكفيناه كلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولانا من علومه المسوقة إلينا ،  
المقيدة ماء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعا ذلك أقواماً نزلت من معرفة هذا العلم  
حظوظهم ، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم ، الى الطعن عليه ، والقدرح في احتياجاته  
وعلاه »<sup>(١)</sup> فهو يقدر عمل أبي الحسن حق قدره ، ويحمل على أولئك العلماء  
الذين غمطوه حقه ، ولم يعرفوا مبلغ الجهد الذي بذله ، فابن جني عالم منصف  
نبيل ، كريم الخلق ، يعطي كل أحد من العلماء الذين سلفوه حقه ، وابن جني حين  
يحاول إيجاد علم أصول العربية يريد أن يجعل ذلك العلم ذا قواعد ثابتة ، منطقية  
تعتمد على الاستقراء والبحث ، وان تكون علل تلك القواعد أشبه بعلم المتكلمين  
لا بعلم الفقهاء فان علل المتكلمين تجمل الى الحس ولا كذلك علل الفقهاء في  
زعمه حيث يقول « اعلم ان علل النحويين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٣



المستضعفين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين وذلك انهم يجادلون على الحسّ ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك علل الفقه وذلك أنها إنما هي اعلام وأمارات لوقوع الاحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا<sup>(١)</sup> . ونحن وان كنا لا نشاطره رأيه في أن علل الفقهاء هي كما وصفه ، فاننا نذهب مذهبه في وجهة علل المتكلمين ، ولا نرى ان ثمة فروقاً بين علل حذاق المتفقهين وحذاق المتكلمين وليس هنا موضع المناقشة في ذلك وانما نريد أن نبين رأيه في وجوب إيجاد علم أصول العربية ، وقد كان رحمه الله مفرماً بذلك وقد كرر هذا القول مراراً في (الخصائص) و (سر الصناعة) فقال في بعض تلك المواضع : «واعلم انا مع ما شرحناه وعيننا به فأرضخناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه وإلحاقها بمال الكلام لا ندعي انها تبلغ قدر علل المتكلمين ولا عليها يراهن المهندسين غير انا نقول ان علل النجويين على ضربين أحدهما واجب لا بد منه لأن النفس لا تطبق في معناه غيره ، والآخر ما يمكن تحمله إلا أنه على تجشم واستكراه له<sup>(٢)</sup> .

والحق أن ابن جنى قد جاء في هذا الباب بأقوال ونظريات رائعة ولكنه لم يكن في ذلك إلا متقيلاً آثار شيخه الإمام أبي علي الفارسي ، فقد كان رحمه الله شديد الميل الى تقييد قواعد العربية ، وتنظيم علم أصول لها ، وضبط أقيستها وعلى غرارها نشأ تلميذه ، فنظم تلك القواعد ورتبها وتممق في البحث أكثر من أستاذه وقد ذكر في الخصائص بعد أن أورد بعض مسائل القياس في العربية وقال : « فإن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك ان مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس ، قال لي أبو علي رحمه الله بجلب سنة ست وأربعين : أخطي في خمسين مسألة

(١) الخصائص الطبعة الأولى ٤٦ / ١ والطبعة الثانية ٤٨ / ١

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ٩٠ / ١

في اللغة ولا أخطي في واحدة من القياس»<sup>(١)</sup> فهذا يدلنا على شدة عنابة أبي علي الفارسي بالقياس وضبط القواعد وتقنين قوانين اللغة العربية ، وهو يرى أن جهله بالمسائل اللغوية أو خطأه فيها أمر لا بأس عليه منه أما جهله بالقياس وتخليطه فيه فأمر لا يصح التساهل فيه والوقوع فيه .

ومن ذلك وضع كثير من قواعد علم فقه اللغة: فان علم فقه اللغة ، وهو الذي

اصطلح المحدثون اطلاقه على علم الفيلولوجيا « Philologie » ، هو علم محدث في اللغة العربية لم يكتب فيه أحد من الأقدمين العرب ولا المحدثين إلا بعد أن اتصلوا بالثقافات الغربية الأوربية .

على ان علماء اوربة المحدثين يختلفون في مدلول هذه الكلمة فمنهم من يذهب الى ان هذا العلم هو مجرد علم قواعد الصرف والنحو ونقد نصوص الآثار الأدبية ومنهم من يذهب الى أنه ليس إلا درس اللفظ ومناقشة أحواله وأوضاعه ، ولكنه درس شامل للحياة العقلية اللغوية من جميع وجوها ، واذا صح هذا فن الممكن ان تدخل في دائرة علم الفيلولوجيا كافة فنون اللغة المختلفة من تاريخ اللغة ، ومقابلتها باللغات الشقيقة والبعيدة ، ودراسة النحر ، والصرف ، والعروض ، وعلوم البلاغة ، وعلم الأدب بمناه الواسع ، فيدخل فيه إذن تاريخ الأدب الخاص ، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية ، وتاريخ الفقه اللغوي من حيث تدوين اللغة في المجاميع والمعاجم ، كما يدخل فيه تاريخ الدين من حيث درس الكتاب المقدس ، والكتب الدينية الأولى ، وكتب علم الكلام ، ولا سبيل الى معرفة كنه هذه الحياة العقلية إلا بدرس أحوال المركز الذي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية<sup>(٢)</sup> .

ولا شك عندنا في أننا اذا تتبعنا ما كتبه أبو الفتح بن جني في ( سر الصناعة ) و ( الخصائص ) و ( شرح تصنيف أبي الحسن ) وجدناه يحاول محاولات صادقة في وضع

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٨٢

(٢) راجع البئر الفني لركي مبارك ٢ / ٣٨

أسس علم الفيلولوجيا العربية أو علم فقه اللغة كما يسميه بعض العلماء المحدثين .  
والحق أن أبا الفتح كان له نصيب وافر في إيجاد علم فقه اللغة العربية من  
ناحية دراسة اللغة العربية ، والبحث في أصول مفرداتها واشتقاقها ، ودرس قواعدها  
ونقد نصوصها الأدبية وآثارها اللغوية ، والدينية ، مع ملاحظة كثير من الأسباب  
العقلية التي عملت في تكوين هذه اللغة وتطور مفرداتها .

وقد حاول في عصر ( ابن جنّي ) وبعده بقليل جماعة من أئمة النحاة والصرفيين  
أن يسيروا في السبيل التي سار عليها إلا أنهم لم يوفقوا ولم يستطيعوا أن يتحموا  
ما بدأ هو به ، فقد أراد الإمام اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي  
النحوي ( - ٣٩٥ ) أن يؤلف في هذا الموضوع كتاباً فألف كتابه المعروف  
( بالصاحي في فقه اللغة وضمن العرب في كلامها ) ، ولكن كتابه هذا خرج  
وكأنه ككتب الأقدمين ، أو كأنه أقرب إلى كتب اللغة منه إلى كتب  
فقهها وعلم أسرارها .

أما ابن جنّي فإنه ألف كتابه في صلب هذا العلم الذي يبحث عن نشأة  
الألفاظ العربية والوقوف على أسرارها وطرق توليدها وتفرعها وتقلبها .

وصح ذلك رأي في نشأة اللغات : فقد ذهب كثير من العلماء القدماء وبعض

المحدثين إلى أن اللغات توقيفية ، بمعنى أن الله سبحانه أوحى بها إلى أنبيائه وأوقفهم  
على مفرداتها كلمة كلمة ثم إنهم علموها لتابعيهم ، وقال آخرون : بل إن اللغات  
مشتقة من أصوات الحيوانات والطبيعة وإن الإنسان الأول قد حاكى هذه الحيوانات  
وتلك الطبيعة واشتق من ذلك ما أعانه على تفهيم مراده لسامعيه . وقال فريق  
ثالث : بل إن اللغات إنما اخترعها الإنسان بمحض تفكيره وخالص إرادته ،  
وإنه تواضع عليها كأن يجتمع اثنان أو أكثر فيحتاجون إلى تسمية بعض الأشياء  
فياتفقون فيما بينهم على التسمية وتنتشر بعدئذ .

وقد ذهب كثير من علماء المسلمين القدماء إلى القول الأول مستدلين على

ذلك بالآية الكريمة التي قالها الله تعالى حكاية عن آدم عليه السلام وهي :  
«وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة» (١) وقالوا إن معنى هذه  
الآية هو أن الله تعالى علم آدم أبا البشر جميع الألفاظ في جميع اللغات  
وان آدم علمها أبناءه فتناقلوها من بعده وهكذا اختلفت لغات سكان الأرض .  
وهو قول عجيب غريب لا نرى في الرد عليه أبداً مما سمعناه من أستاذنا المرحوم  
العلامة الشيخ أحمد الاسكندري في بعض محاضراته التي ألقاها علينا في كلية  
الآداب بالجامعة المصرية في سنة ١٩٤٨ فقد قال : إن البداهة تقضي ببطان  
هذا القول ، فإن شهادة العقل والاستقراء وتنبع نطق الأطفال تشهد بأن  
اللغة تدرج وتنمو بحسب الحاجة إليها . فلا يصح أن يقال إنها كلها قد  
وجدت دفعة واحدة وما ذهب إليه شيخنا الاسكندري هو الصحيح الذي قال به  
ابن جني وتوصلت إليه اليوم مباحث علماء فقه اللغة وعلماء الاجتماع وهو ان  
اللغات هي كائنات حية تعيش كما يعيش كل حي ، وتموت كما يموت ، وان منشأها  
الأصوات الأولى ، ولم يقل العلماء قولهم هذا إلا بعد التجربة العملية والدراسة  
العميقة وبمد أن ذهبوا بأنفسهم الى مواطن الشعوب البدائية في القارات والجزر  
النائية واتصلوا بأفراد هذه الشعوب وعاشوا معهم فترة من الزمان وتأملوا أقوالهم  
وعاداتهم وتكبدوا كثيراً من المناعب والمشقات في سبيل جمع معلوماتهم ،  
وما كانوا يشعرون بقيمة لمعلوماتهم إلا اذا توفروا على جمعها بأنفسهم عن طريق  
الملاحظة المباشرة والتدقيق فيما جمعه وتصنيفه ومقارنته باللغات الحية وتحديد  
أوجه الشبه وأوجه الاختلاف والمفارقات بين اللغات مما أدهم الى هذه النتيجة (٢) .

(١) يشبه هذا ما نجده في سفر التكوين ، الاصحاح الثاني رقم ١٩ - ٢٠ : « وحمل  
الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم  
ليري ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها فدعا آدم  
بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية واما لنفسه فلم يجد  
مميئاً نظيره » .

(٢) لترسم في هذا راجع ترجمة ( المدخل الى علم الاجتماع ) تأليف مونييه الفرنسي

أما ابن جنّي فقد ذهب إلى هذا القول منذ أكثر من ألف سنة فقد قال في الفصل النفيس الذي عنوانه بقوله (باب القول عن أصل اللغة الإلهام هي أم اصطلاح : هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن اللغة إنما هي تواضع واصطلاح لا وحى وتوقيف إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً : هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها» وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله ، أقرر آدم على أن واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله لا محالة . . . . . والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحداً من عباده على شيء إذ قد ثبت أن المواضع لا بد معها من إيماء وإشارة بالجراحة نحو الموماً إليه والمشار إليه والقديم سبحانه لا جراحة له فيصح الإيماء والإشارة بها منه . . . . . وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريج وحنين الرعد وخرير الماء وسحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس وتزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل<sup>(١)</sup> .

### مذهبه في علم اللغة :

كانت دراسات علم اللغة قبل مجيء أبي الفتح محصورةً بطريقة من الطرائق الأربعة التالية وهي الإملاء ، والإفتاء ، والتعليم ، والرواية . وقد وصف لنا الجلال السيوطي ترجمة طريقة الأقدمين هذه فقال : «وظائف الحافظ في اللغة أربعة أحدها وهي العليا (الإملاء) كما أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير فأملئ ثعلب مجالس

(١) الخصائص الطبعة الثانية ١ / ٤٦ - ٤٧ . ولتلاحظ أن ابن جنّي بعد أن قال بهذا القول في أصل نشأة اللغات رجع عن رأيه هذا في اللغة العربية خاصة وله في ذلك حجج فاربع إليه إذا شئت في آخر الفصل القيم الذي عنوانه «باب القول على أصل اللغة» من الخصائص الطبعة الثانية ص ٤٠ وما بعدها .

عديدة في مجلد ضخيم وأملى ابن دريد مجالس كثيرة ٠٠٠٠ وطريقةتهم في الاملاء كطريقة المحدثين سواء يكتب المستعالي أول القائمة : مجلس أملاء شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا وبذكر التاريخ ثم يورد المحلي باسناده كلاماً عن العرب والفصحاء فيه غريب يحتاج الى التفسير ثم يفسره ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ومن الفوائد اللغوية باسناد وغير اسناد ما يختاره وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً ثم ماتت الحفاظ وانقطع املاء اللغة من دهر مديد ٠٠ والوظيفة الثانية (الافتاء) وليقصد التحري والابانة والإفادة والوقوف عند ما يعلم وليقل في ما لا يعلم - لا أعلم - واذا سئل عن غريب وكان مفسراً في القرآن فليقتصر عليه ٠٠٠٠٠ والوظيفة الثالثة والرابعة : (الرواية والتعليم) ومن آدابها الاخلاص وان يقصد بذلك نشر العلم وإحيائه والصدق في الرواية والتحري والنصح في التعليم والاختصار على القدر الذي تحمله طاقة المتعلم<sup>(١)</sup> .

وكان العلماء المتقدمون قبل ابن جني يوردون معلوماتهم اللغوية إيراداً غير منظم لارابط بها إلا قليلاً وكان اهتمامهم مصوباً الى الجزئيات أكثر منه الى الكليات بل كان قليل منهم من يعنى بالاهتمام بالكليات والضوابط العامة وكانوا يتبعون الطرق التي أشار اليها السيوطي في مزهره فيملون معلوماتهم عن اللغة وعن مفرداتها مفردة مفردة كالذي نجده في كتب المبرد ( - ٢٨٥ ) وكتب الأصمعي ( - ٢١٦ ) بل وكتب أبي علي القالي ( - ٢٦٥ ) وهي كتب تشتغل على كثير من أخبار العرب ومباحث الأدب وقصص التاريخ والمفردات اللغوية ، وقد ظل هذا الحال حتى أطل القرن الرابع للهجرة فأخذ علماءه من شيوخ ابن جني وطبقته يعمدون الى تنظيم مباحث علم اللغة وشعروا بضرورة تنظيم المباحث اللغوية تنظيماً يعتمد على المنطق والترتيب وهكذا (فتح القرن الرابع للهجرة فتحاً جديداً في كل من الناحيتين الرئيسيتين لعلم اللغة العربية وهما

(١) الزهر للسيوطي . طبع القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ٢ / ١٦٢ - ١٦٩

(النحو) و (عمل المعاجم) وقد تخلص علم اللغة كما تخلص علم الكلام من طريقة الفقهاء ومناهجهم حتى من الناحية الشكائية (١).

والحق أن القرن الرابع كان مبدأ تطور عام لا في علوم العربية بل في سائر علوم الاسلام . أما ما يتعلق بعلوم العربية وبعلم اللغة خاصة فقد أخذ علماء هذا القرن يسيرون على الخطة التي كان الخليل بن احمد ( - ١٧٠ ) قد بدأ بها ولكن أحداً من علماء عصره أو الذين جاءوا بعده لم يتمها الى ان كان القرن الرابع ، ولا شك في ان اطلاع هؤلاء الأئمة على طرائق العلماء الأقدمين من يونان وصرىان وروم قد كان له بعض تأثير في تطور هذا العلم في القرن الرابع حتى أصبحنا نجد هذه الأبحاث اللغوية تدور في مجالس بعض الأصرار كمعهد الدولة البويهى ( - ٢٧١ ) قال الأستاذان ميثز وريشر : إن أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري قد شعروا بالحاجة الماسة الى منهج يسيرون عليه والى تناول مادة بحثهم على طريقة منظمة ، وقد كان لمعرفة العلماء العرب المحدثين بعلوم اليونان اللسانية اثر كبير في ذلك ، وكان البحث يدور في مجالس عضد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصول استنباطها . وقد ميز أبو سليمان السجستاني النزعة الجديدة في النحو بأن قال : ( نحو العرب فطرة ونحونا فطنة ) [ راجع أخبار العلماء للقفطي . طبع اوربا ص ٢٨٣ ] وإذا وجدنا ابن فارس ( - ٣٩٥ ) يؤلف لأول مرة مقدمة في النحو فينبغي ألا نرى في هذا سوى وليد للمقدمات ( الايساغوجي ) التي كتبها علماء اللغة اليونانية . وأكبر ماتم على أيدي علماء اللغة هو تحديد معاني الكلمات وعمل المعاجم ونجد ههنا حداً واضحاً يفصل بين عهدين وطريقتين وكان حمزة الاصفهاني ( - ٣٥٠ أو ٣٦٠ ) خاتمة اللغويين القدماء الذين كانت كتبهم لا تشمل إلا على عبارات للخطباء والبلغاء الذين ألفوا كتباً من المترادف وأخرى يستعين بها الخطباء في الخطبات ففي كتاب الموازنة مثلاً

(١) آدم ميثز في ( الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ) ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريده ص ٣٨٧

ذكر أربعمائة كلمة في معنى ( الشقي ) وكذلك جمع في كتاب الأمثال أكثر ما يعرض في لغة الخطباء من عبارات المفاضلة نحو: أبيض من الناج ، وأجشع من الفيل . . . وقد كان جمعه وافياً بحيث لم يصنف علماء القرون التالية شيئاً إليها ، وكان صلفه قد جمع من هذه العبارات ثلاثمائة وتسعين لجمع هذا ألفاً وثلاثمائة . . . وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جذبة للاشتقاق اللغوي وبقيت عصرراً طويلاً وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جني الموصل ( - ٣٩٢ ) وهو الذي ينسب إليه ابتداء بحث جديد في علم اللغة وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر وهو البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره الى اليوم والذي يختص بمادة الكلمة دون هبتها ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم من هذا وقد كان ابن جني معتزاً بنظريته هذه (١) .

والحق أن عمل ابن جني في الاشتقاق الأكبر ، والتراتب اللغوية ، والمباحث الكلامية ، والدراسات الصرفية التي خلفها في كتبه العديدة التي ستعرض لها في آخر هذه المقالات ، هو العمل الجدي المثمر الذي طوّر مباحث اللغة وجعل لها أسلوباً جديداً انتظم أمره بابن جني ولكن أحداً من العلماء بعده لم يتم ما بدأ به .

### مذهبه في النحو :

انقسمت مذاهب النحو الى اربع مدارس رئيسة هي : مدرسة أهل البصرة ومدرسة أهل الكوفة ، ومدرسة أهل بغداد ، ومدرسة أهل الأندلس . وأصل هذه المدارس وأولها مدرسة أهل البصرة ؛ ففي هذه المدينة نشأ علم النحو العربي ، ومؤرخو الآداب العربية يختلفون في أولية وضع النحو العربي بين أربعة من أهل العلم هم : الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأبو الأسود الدؤلي ، ونصر بن عاصم اللبثي ، وعبد الرحمن بن هرمز .

(١) راجع المصدر السابق ص ٣٨٧ ، ٣٩١ وراجع بحث الأستاذ O. Rescher في كتابه عن الامام ابن جني ص ٢٠ - Z. A. 1909 Studien über Ibn Ginni



أما الامام علي : فأقدم من نسب إليه ذلك هو أبو العباس المبرد ( ٢٨٥ - ) حيث يقول : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود وسئل عن أرشده الى الوضع في النحو فقال تلقينته عن علي »<sup>(١)</sup> . ويقول ابن النديم ( ٣٨٥ - ) : « وزعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه »<sup>(٢)</sup> .

وأما أبو الأسود ( ٦٩ - ) فقد أجمع كل من كتب في تاريخ النحو على نسبة وضع هذا العلم إليه ، وأول من ذكر ذلك هو محمد بن سلام الجعفي ( ٢٣٢ - ) فقد ذكر في مقدمة كتابه طبقات الشعراء ما يلي : « وكان أول من أسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي ٠٠٠٠ ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم »<sup>(٣)</sup> . وجاء بعد ابن سلام الامام ابن قتيبة ( ٢٧٦ - ) فقال : « ٠٠٠ لأنه أول من عمل في النحو كتاباً » . وجاء بعد ابن قتيبة أبو العباس المبرد ( ٢٨٥ - ) فقال : « ٠٠٠ أول من وضع العربية ونقط المصاحف ابو الأسود الدؤلي » . وجاء بعد المبرد ابن النديم صاحب الفهرست وقد رأيت قوله فيما سبق ، ثم تتابع المؤرخون بعدهم ينقلون أقوالهم .

وأما نصر بن عاصم ( ٨٩ - ) فقد كان فقيهاً وعالمًا بالعربية وفصيحاً بارعاً ، تعلم من أبي الأسود الدؤلي وروى عنه القرآن الكريم قال ابن النديم في الفهرست : « وقال آخرون : رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي وبقال الليثي »<sup>(٤)</sup> . وقال ياقوت : « أول كتاب وضع في النحو على التحقيق هو كتاب نصر بن عاصم »<sup>(٥)</sup> .

(١) أورد هذه العبارة ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ( ٣٥٠ - ) في كتابه طبقات النحاة . وهو مخطوط في خزانتنا

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٩

(٣) الشعر والشعراء طبعة الباني الحلبي ٧٠٧ / ٢

(٤) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الأستاذ الجليل طه الراوي ص ٧٦ وما بعدها .

(٥) ارشاد الأريب في ترجمة نصر بن عاصم

وكان نصر هذا من نبيه أصحاب أبي الأسود وتلاميذه وهو الذي روى عنه صحيفته في العربية وهي المعروفة (بالتعليقة) حتى قال بعضهم: إن أول اسناد علمي عرف في الأدب هو اسناد نصر الى أبي الأسود في تعليقه هذه . وقد ألف نصر في العربية كتاباً لم يصل إلينا<sup>(١)</sup> .

وأما عبد الرحمن بن هرمز (١١٧ - ) فقد كان أحد القراء العلماء بالعربية والأنساب ، وقد قيل في ترجمته إنه أول من ألف في النحو . وكان من تلاميذ أبي الأسود وأصحابه أيضاً . قال الزبيدي : كان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش .

والذي نراه في هذه القضية ان أبا الأسود هو الذي وضع أسس هذا العلم وامله أطلع الإمام علياً على ما أراد أن يضعه أو أنه فعل ذلك الوضع برأي الإمام وتوجيهه . وأما عمل نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فهو قيامهما باتمام ما بدأ به أستاذهما أبو الأسود ، ويقال ان نصرأ هو الذي قام بتمييز الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، والصاد والضاد والطاء والظاء وما يشبه ذلك . كما يقال ان عبد الرحمن هو الذي رتب ما تلقاه من شيخه أبي الأسود وألّفه في كتاب ، وخصوصاً إذا عرفنا أن نصرأ وعبد الرحمن قد عاشا طويلاً بعد أستاذهما فكان طبيعياً ان يكمل ما بدأ به .

وصفة القول ان أبا الأسود هو الذي وضع أساس بناء النحو في البصرة وذلك بأن ضبط قراءة القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> ثم وضع بعض القواعد العامة المتعلقة بالمرفوع والمنصوب والمجرور أو ما أشبه ذلك .

هذا ما نرتأيه في المقدار الذي ساهم به أبو الأسود وأصحابه في وضع العربية أما ما يقال من أنهم وضعوا أبواب النحو ، كما تذكر ذلك بعض المصادر العربية

(١) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الأستاذ الراوي ص ٧٦ وما بعدها

(٢) راجع نزهة الألباء لابن الانباري ص ١١

القديمة ، وأنهم قسموا الحكمة الى اسم وفعل وحرف وذكروا النواصب والجوازم ، وبوتوا النحو وغير ذلك فأمر يستبعد وقوعه في ذلك الزمن المبكر ، ولكن الذين بحثوا في هذه الموضوعات وبوتوا النحو ، هم رجال الطبقة الثانية التي جاءت بعد أبي الأسود وتلاميذه في القرن الثاني للهجرة أمثال عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي ، ويونس بن حبيب ، والحليل بن احمد ، وعيسى بن عمر الثقفي . فقد كانت البصرة بيئة عربية لقربها من المربد الذي كان يقصده عرب البادية العربية يتارون ويتناشدون الأشعار حتى غدا أجل سوق للعرب في الجاهلية والاسلام . وكان هؤلاء العلماء البصريون أصحاب قياس وتقنين يجادلون ضبط أصاليب اللغة بالقواعد المنطقية التي أفادوها من الاطلاع على المنطق اليوناني ، الذي ترجم في عصرهم . وكانوا حريصين على القياس وطرده القواعد واهمال كل ما يخالف أقيستهم ونظرياتهم اللغوية التي وضعوها مستنيرين بالعقل السليم والمنطق الصحيح ، والفلسفة اليونانية حتى قال صاحب الانصاف : « إنهم بنوا كلامهم من اعتبار حكم المشاكلة والحفاظة على أن تجري الأبواب على سنن واحد ، وقالوا ألا ترى انهم حملوا المضارع على الماضي اذا اتصل به ضمير جماعة النسوة نحو تضربن وحذفوا المحزرة من اخوات أكرمَ نحو تكرم وبكرم ، والأصل فيها تؤكرم وتؤكرم : يؤكرم كما قال : فانه أهل لأن يؤكرما

وكذلك حذفوا الواو من اخوات بَعِدُ نحو أعد ، وتمد ، وبعد ، والأصل أوعد ، وبوعد ، وتوعد ، حملاً على بَعِدُ ، كل ذلك لتحصيل النشاكل والفرار من نفرة الاختلاف (١) » .

### مدرستا البصرة والكوفة :

يوجب البصريون صير اللغة في سبيل واحدة متشابهة متشاكلة لا شذوذ فيها ولا اختلاف وهم يشبهون القياس النحوي بالقياس الفقهي ويقولون لا بد لكل

(١) الانصاف ص : ٣ - ٤

قياس من أركان أربعة : أصل وفرع وعلّة وحكم ، ويقولون قد يخرج على القياس شيء من كلام العرب ولكنه يظل مسموعاً ولا يقاس عليه غيره ، ويقولون : يحمل الأقل والأندر على الأعم الأكثر ، وهذا أولى من حمل الأعم الأكثر على الأقل الأندر<sup>(١)</sup> ، ويقولون : لا بد لكل أمر من دليل وعلّة ، ويقولون : لكل قاعدة أصل ولا يصح المدول عن هذا الأصل ، ومن عدل عن الأصل بقي صحتها باقامة الدليل<sup>(٢)</sup> . . . وما الى ذلك من القواعد والأصول والأقبيسة التي تعتمد على علمي المنطق والأصول ، ونظريات الفلسفة . وأما مدرسة الكوفة فقد كانت مدرسة تميل الى التوسع وعدم التقييد وكان رجالها يعتمدون على سعة روايتهم وكثرة محفوظهم كما كانوا لا يتقيدون بالقواعد النحوية ، ويقولون ان كثيراً مما نظن انه شاذ عن الأسلوب العربي لمخالفته الأقبيسة انما هو صحيح . . . فذهبهم أقرب الى السليقة منه الى الصنعة ولعل سبب ذلك هو انهم كانوا يعتمدون على المعين الأدبي الذي تدفق عليهم ، أكثر من اعتمادهم على المنطق اليوناني وتمقيداته ، وعلى الفلسفة وقواعدها كما كان يفعل رجال المدرسة البصرية الذين أغرفوا في الاعتماد على نحو السريان ، وعلوم اليونان ، وثقافات الفرس ، على عكس الكوفيين الذين كانوا أميل الى الانطلاق عن كل هذه القيود .

وأوائل من عرف من الكوفيين بالاهتمام بالعربية جماعة منهم :

أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي ( - ١٦٤ ) الامام النحوي المقرئ المؤدب الذي كان من كبار رجال علم القرآن والحديث والعربية ، ولد في البصرة ولكنه أقام في الكوفة وتعلم على رجالها وروى القرآن عن عاصم بن بهدلة ابن أبي النجود الأسدي الكوفي إمام القراء وأحد القراء السبعة ، وقرأ العربية

(١) الانصاف ص : ٢٧٧

(٢) الانصاف ص : ١٣٤

علي أبي عمرو بن العلاء وطبقته . . . وروى عنه الحسين بن علي الجعفي الكوفي  
الامام الزاهد وأحد أعلام القراءات . وله كتاب في الحديث ، وقصد في  
آخر عمره بغداد وفيها مات (١) .

وأبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء ( - ١٨٢ ) مؤدب عبد الملك بن مروان ،  
وشيخ أبي الحسن الكسائي إمام نحاة الكوفة ، وأبي جعفر الرؤاسي أول من  
صنف من أهل الكوفة وكان الهراء من أئمة النحاة الرواة ، أخذ عن الامام  
جعفر الصادق ، وكان صديقاً للكثير من الشعراء ، وله شعر لا بأس به ، وقد عمر  
طويلاً ، قال ابن خلكان : قرأ على الكسائي وروى عنه وصنف في النحو  
كثيراً وكان بتشجيع ، وله شعر كسعر النحاة وكان في عصره مشهوراً بالعرش  
الطويل ، وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باقٍ (٢) ويقول  
ابن الأنباري في النزعة : وقيل إنه كان يكنى أبا علي وهو من موالي محمد بن  
كعب القرظي ، وهو عم أبي جعفر الرؤاسي . . . ولا مصنف له يعرف .  
وأول من عرف من الكوفيين بالتصنيف والبحث عالمان جليلان هما :

أبو جعفر الرؤاسي محمد بن الحسن بن أبي سارة النيلي النحوي ( - ١٩٠ )  
وقد تلقى العلم عن عمه معاذ بن مسلم الهراء وعن أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى  
ابن عمر الثقفي ، وكان بارعاً بالنحو والصرف والقراءات ، وكانت له اختيارات  
في القراءة والوقوف . وقد روى عنه يحيى بن زياد الفراء ، وخلاد بن خالد  
الصيرفي ، وعلي بن حمزة الكسائي (٣) . وكان سبب بوبه يجله ويثق بعلمه وكما  
قال في كتابه ( قال الكوفي ) عنه . قال ابن درستويه : زعم أبو العباس

(١) راجع تهذيب التهذيب ٤ / ٣٧٣ ، وغاية النهاية لابن الجزري ١ / ٣٢٩ وتاريخ

علوم اللغة للراوي ص ١٢٢

(٢) راجع بقية الوعاة للسيوطي ص ٣٩٣ ، ونزعة الالباء لابن الأنباري ص ٦٤

والكنى والألقاب لقمي ٣ / ٢٣٩

(٣) انظر النهاية لابن الجزري ٢ / ١١٦ والبقية ص ٣٣ والنزعة ص ٦٥

أحمد بن يحيى ثعلب : إن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو الرّوآمي والفراء . وقال الفراء : لما خرج الكسائي إلى بغداد قال الرّوآمي قد خرج الكسائي إلى بغداد وأنت أميز منه فجيئت إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرّوآمي فأجابني بخلاف ما عندي فحزرت قوماً من علماء الكوفيين فكانوا معي فقال : مالك قد أنكرت لملك من أهل الكوفة ، فقلت : نعم فقال : الرّوآمي يقول كذا وكذا وإيس صواباً ، وسمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسألي فلزمته . وقال الرّوآمي : أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه<sup>(١)</sup> ويقال لكتابه ( الفیصل ) . وقال المبرد : عرف الرّوآمي بالبصرة وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتاباً في النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت إليه ولم يجسر على إظهاره لما سمع كلامهم . وقد ألف الرّوآمي كتباً عديدة منها ( الفیصل ) و ( معاني القرآن ) و ( التصغير ) . و ( الوقف والابتداء الكبير ) و ( الوقف والابتداء الصغير ) وقد ضاعت هذه الآثار كلها فيما أعلم .

والكسائي الإمام علي بن حمزة بن عبد الله بن بهرام ( ١٨٩ - ) وكان شيخ الكوفة الأعظم وهو طد قواعد مذهبها في النحو والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة المشهورين ، قرأ على حمزة ثم اختار لنفسه قراءة ، وسمع العلم من سليمان بن أرقم ، وأبي بكر بن عياش ، وسفيان بن عيينه ، وتعلم النحو من الرّوآمي ومعاذ الهراء ولزمه حتى انقذ ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلته فقال له رجل من الأعراب تركت أسداً بالكوفة وتيمماً وعندهما الفصاحة وجئت إلى البصرة !! ثم انه قال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنقذ خمس عشرة

(١) انظر ارشاد الأريب ٢ / ١٣٨ والبقية ص ٣٥ والنزهة ص ٦٦ والمزهر ٢ / ٢٠١ وطبقات الزبيدي ص ٦١ وبركلمان C. A. L. ١ / ١١٥ والذيل ١ / ١٧٧

قنينة خبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ، وقدم البصرة فوجد الخليل قدم مات ، وفي موضعه يونس بن حبيب فحرت بينها مسائل أقر له فيها يونس وصدّره في موضعه . قال ابن الاعرابي : كان الكسائي أعلم الناس ضابطاً عالمًا بالعربية قارئاً صدوقاً إلا أنه كان يديم شرب النبيذ . وقال ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجمله أصلاً وبقيس عليه ما أفسد النحو بذلك <sup>(١)</sup> » . ولا شك في ان ابن درستويه إنما قال ذلك بعقوبة نخاة البصرة المنطقيين المتشددين . وقد نبغ من تلاميذه ، أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء ، وأبو عبيد القاسم بن سلام . وله كتب كثيرة ذكرها الخطيب البغدادي في ترجمته والزيدي في طبقاته وياقوت في معجمه ، وابن خلكان في وفياته ، واحمد امين في ضحى الاسلام . ولم يبق من هذه الكتب إلا رسالة في ( لحن العامة ) وكتاب ( المتشابه في القرآن ) <sup>(٢)</sup> .

وبلي الكسائي عند الكوفيين تلميذه يحيى بن زياد بن عبد الله بن الفراء ( ٢٠٨ - ) الذي تصدر في الكوفة بعد أستاذه الكسائي . قال ثعلب : لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع وبدعيها كل من أراد ويتكلم الناس مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأمره المأمون أن يجمع أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ووكّل بها جوارى وخدمًا للقيام بما يحتاج إليه . . . حتى حققت ( الحدود ) وأمر المأمون بكتبه في الخزائن . وكان أعلم الكوفيين بعد الكسائي ، وكان يميل الى الاعتزال ، زائد المصيبة على سببويه وقد ألف عدة

(١) راجع البغية ص ٣٣٦ والنزهة ص ٨١

(٢) راجع بروكلمان G. A. E. ١١٥ / ١ والذيل ١٧٨ / ١

كتب ذكرها الخطيب البغدادي ، وياقوت ، والسيوطي ولم يبق منها إلا كتاب  
(معاني القرآن) و (الفاخر) في الأمثال و (المقصود والممدود) و (المذكر  
والمؤنث) و (الأيام والليالي) (١) .

هؤلاء هم أئمة المدرسة الكوفية التي كانت في أول أمرها بعيدة عن طريق  
المنطقة والفلسفة ولكنها لم تلبث في عهد الفراء أن تأثرت بالمنطق والقياس على  
طريقة أهل البصرة ولكنها لم تغال غلو أهل البصرة (٢) .

الدكتور محمد أسعد طلسي

( للبحث صلة )

—•••••—

(١) راجع بروكلمان G. A. L. ١١٦ / ١ والذيل ١٧٨ / ١  
(٢) راجع الانصاف طبعة بريل ص ٤٥ ، وتاريخ علوم الله لراوي ص ١٢٢



# التعريف والنقد

خريدة القصر وجريدة العصر

قسم شعراء الشام ، الجزء الأول

ألفه المهاد الاصفهاني وحققه الدكتور شكري فيصل ونشره المجمع العلمي العربي في ١٨ + ٦٩٠ صفحة (١) و ٨ روايز - المطبعة الهاشمية بدمشق ، سنة ١٩٥٥

عني العرب ، في مطلع عصر التأليف ، بالشعراء القدامى ؛ فجمعوا ما أثر عنهم وشرحوه ونقدوه . ثم جعلوا أولئك الشعراء طبقات في الزمان وفي الإيقان ، وترجموا لهم وقومهم . ولكن هؤلاء المؤلفين لم يلتفتوا إلى عصرهم ، ولم يُقرؤا لهم بأيسر الفضل ؛ ولذلك دواعٍ ، من أعظمها ، فيما نظن ، عناية هؤلاء المؤلفين الأوائل بسلامة اللغة وصحة التعبير قبل كل شيء ، وهما إنما يلتصمان في عصري الجاهلية و صدر الإسلام .

ثم دخل الشعر العربي في طور جديد ، ونبغ فيه من المتأخرين من لا يقل عن المتقدمين ، في إشراق الديباجة وصحة الحوك وجمال المعاني والصور وتنوع الأغراض ؛ ففطن القوم إلى هذا الشعر الجديد ، وأخذوا يؤلفون في طبقات الشعراء المحدثين والمولدين ، وبمكفون على تذوق منظومهم ، وينزلونهم المنزلة التي هم أحق بها . وفي المكتبة العربية تصانيف كثيرة ، كتبها أصحابها في هذا الشعر الحديث وشرحه ونقده ، وفي شعراء أواخر القرن الثالث وما بعده

(١) أخطأ الطابع في ترقيم بعض الصفحات ، فانتقل من ص ١٦٠ الى ص ١٧٧ ، وتجاوز الأرقام ١٦١ إلى ١٧٦ ، وعلى ذلك يقع نص الكتاب في ٦٧٤ صفحة فقط .

إلى يوم الناس هذا . ومن أجل هذه التصانيف كتاب ( خريدة القصر  
وجريدة المعصر ) .

مؤلف هذا الكتاب هو عماد الدين القرشي الاصفهاني الكاتب ( ٥١٩ - ٥٩٧هـ ) .  
نشأ في فارس ، وطوف في بلاد العراق والشام ومصر ، ولقي فضلاءها وأدباءها ،  
وأخذ عن كبار علمائها وشيوخها ، وصحب نور الدين وصلاح الدين ، وشهد  
حروبها مع الفرنجة . وكان عالماً فاضلاً ، كاتباً شاعراً ، متمكناً من الفارسية ،  
مالكاً ناصية العربية ، طويل الباع فيها ، مولماً بالثر المصنوع المعقد ، يصوغ  
به رسائله ، ويفرغ فيه ما يؤلفه في تاريخ عصره الأدبي والحربي والسياسي ،  
ويكثر من التجميع والترصيع والتجنيس والمطابقة ، حتى أيسر على الحافظ  
استظهار أسماء بعض كتبه ، ككتابه ( نصره الفترة وعصرة القطرة ) في تاريخ  
السلاجقة ، و ( الفتح القسي في الفتح القدي ) في فتوحات صلاح الدين ،  
و ( نحلة الرحلة وحلية العظلة ) في اضطراب البلاد بعد موت صلاح الدين ،  
و ( خريدة القصر وجريدة المعصر ) الذي نعرف به هنا .

ويطول بنا الكلام إذا شئنا التحدث عن المصنفات التي ألف العماد كتاب  
( الخريدة ) على نسقها ، وعن الكتب التي ألفت بعده على غرارها ، وعن المؤلفين  
الذين اعتمدوا ( الخريدة ) ، ونهلوا من معينها ، كياقوت وابن خلكان وابن شاعر  
والصفدي وابن السبكي وابن الفوطي وسبط ابن الجوزي وأبي شامة وابن كثير . . . .<sup>(١)</sup>  
فنتقصر هنا على التعريف ( بالخريدة ) فحسب .

كسر العماد كتابه هذا على اثني عشر جزءاً ، جعلها أقساماً أربعة ؛ فقصر  
القسم الأول على شعراء العراق ، ووقف الثاني على شعراء المعجم وفارس وخراسان ،  
وخص الثالث بشعراء الشام والموصل وجزيرة بني ربيعة وديار بكر وأضاف إلى  
هذا القسم شعراء الحجاز وتهامة واليمن ، وجمع في الرابع شعراء مصر وصقلية

(١) اقرأ كلمة في ذلك كله في : ( الخريدة ) ، القسم العراقي ، الجزء الأول ،

والمغرب وبلاد الأندلس . ولئن انفسحت رقعة مواطن هؤلاء الشعراء في المكان ( فامتدت من أقصى المشرق العربي آنئذ إلى أقصى المغرب ) فقد ضاقت في الزمان ، إذ يقول العماد : « وقد ذكرتُ أهل عصري ، وأهل عصر آبائي وأعمامي ، فالكتاب مشتمل على العصرين : السالف الماضي ، والحاضر النامي . وأكثرُ ما أوردتهُ شعرُ من أروي عن واحد ، عنه ، إن لم أكن أدركتهُ وسمعتهُ منه . ولم أقتصر على المنتقى المنتقد ، والمنتخَل المنتخب ، بل ذكرتُ لكل شاعر ما وقع إلي من شعره ، وأثبتتهُ : إما بمعنى غريب ، أو لفظ مستحسن ، أو أسلوب رائع . . . . » (١) . وقد اعتمد الدكتور شكري فيصل ما قاله ابن خلكان في ترجمته العماد ، إذ جهل الخريدة تحتوي على تراجم ( الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ) (٢) . وما نرى قول ابن خلكان حقاً ، ففي الخريدة مثلاً ترجمة للشريف أبي الحسين علي بن حميدة العقبلي ، وكان يعيش في النصف الأول من القرن الخامس (٣) ، وأخرى للباخرزي صاحب « دُمية القصر » وقد توفي سنة ٤٦٢ هـ ، وثالثة للأخير تاج الملوك أخي صلاح الدين ، وقد توفي سنة ٥٧٩ هـ .

وقد يجيب القارئُ باديء بدء أن ( الخريدة ) موقوفة على الفحول من الشعراء ، ولكنه لا يلبث ، إذا ما مضى في مطالعتها ، أن يرى فيها شعراً للمغمورين منهم ، بل ولبعض المقهّاء والمحدثين وأبناء الأجناد ، ثم يرى ، إلى جانب هذا الشعر أيضاً ، قدراً وافراً من نثر عصر العماد ، وقد غلبتْ على أكثره الصنعةُ ، وأثقله البديعُ ، فضاقت محاسن معانيه ، بالتأنق المتكاف في زخرفة مبانيه ؛ ولا عجب ، فالعصر عصر القاضي الفاضل وليّ نعمة العماد ، وأستاذه في هذا المذهب الفني ، ورافده في تأليف جزء الخريدة المتعلق بالمغرب .

(١) المصدر السابق ١ / ٧ .

(٢) راجع ( الخريدة ) ، قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، المقدمة : ص ٣ .

(٣) راجع ( الخريدة ) ، قسم شعراء مصر ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٢ - ٦٣ .

من عادة العاد في ( الخريدة ) أن يوطئ للكلام على الشاعر أو الكاتب بترجمة مسجّمة له ، ويعقب على ذلك بإيراد نتف من أخباره ، وأبازر من رسائله أو أرقامه ، وقد ينسق هذه الأرقام على القوافي المتلاحقة على حروف المعجم ٠٠٠ ، ولكنه لا يلتزم ذلك كله دائماً ، ولا يتبع في التوطئة نسقاً واحداً ؛ فقد يغفل ذكر تاريخ ولادة المترجم له أو وفاته ، أو يقتصر على ذكر اسمه وينقل إلى ذكر شيء مما اختاره له . ووصفه لهؤلاء الأدياء غامض مبهم في الحين بعد الحين ، فالعاد يُضفي على أكثرهم ثوباً واحداً في معناه ، من الإشادة بمحاسنهم ، والتنويه ببراءتهم ، فكلمهم « قس في الفصاحة ، وقبس في الحصافة ، وحاتم وعمرو في السياحة والحماة » . وقد يكون هذا الثوب من الثناء ضافياً ففضاضاً على بعضهم ، وضيقاً قصيراً على الآخرين . فأكثر أحكامه النقدية لا يميننا اليوم على إحلال الشاعر المنزلة التي يستحق ، بل ولا على تبين المنزلة التي كانت له عند العاد وأهل عصره ، وليست ( الخريدة ) في جماتها إلا فصائد ومقطعات من الشعر وشذوراً من النثر ، اختارها أصحابها أو انتقاها المؤلف ، منها الحسن ومنها ما هو دون ذلك ، نسبقها توطئة في التعريف بصاحبها ، ليست من حرّ النقد الأدبي كما نفهمه اليوم إلا في الندرى . على أن ( الخريدة ) رغم هذا كله قد تعين من يتصدى لكتابة تاريخ الأدب والنقد في القرنين الخامس والسادس .

وقد يودع العاد ( الخريدة ) نتفاً من أرقامه ، ويقول في بعضها : « وما أوردتها لجودتها ، على أنها ما تقصر عن الغاية ، بل لمناسبتها وكونها لائقة بهذا الموضوع . » (١) .

\* \* \*

نهض بعض أفاضل علماء العراق ، بتكليف من المجمع العلمي العراقي منذ أكثر من خمس سنوات ، لتحقيق القسم العراقي من ( الخريدة ) ،

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ١ / ٣٠ .

وصدر في أوائل هذا العام ( ١٩٥٦ م ) الجزء الأول منه ، كما كان قد صدر في القاهرة قسم شعراء مصر ، الجزء الأول سنة ١٩٥١ والجزء الثاني سنة ١٩٥٢ م . أما القسم الشامي فقد عهد المجمع العلمي العربي بنحقيقه إلى الدكتور شكري فيصل ، الأستاذ في كلية الآداب في الجامعة السورية ، وصدر الجزء الأول منه في أواخر العام ١٩٥٥ م ، واعتمد المحقق خمسة مخطوطات تتفاوت قيمها ، ولكن أجلها مخطوط المكتبة الوطنية في باريس ، ويقدر الدكتور فيصل أن يقع قسم شعراء الشام في ثلاثة أجزاء ، ويرجو - عندما يفرغ من نشرها - أن يعقب عليها بدراسة ( للخريدة ) ومؤلفها ، وللشعر في هذه الفترة .

وفي هذا الجزء الأول من قسم شعراء الشام ترجمة ومختارات لخمسة وأربعين عالماً : من شعراء بلاد الساحل الشامي (٣) وشعراء دمشق (١٠) وعلماء دمشق والقدس (١٠) وفضلاء دمشق (٨) وحمص (٢) وحماة (٢) وبني منقذ (١٠) . وفي تضاعيف هذا الجزء فصول ورسائل ثرية طويلة ، كرسالة ( النسر والبلبل ) ، للمهذب الدمشقي ، ورسالة في الصيد والشراب ، للأثير بغير بن عيسى . أتفق المحقق الفاضل ، مشكوراً محموداً ، الكثير من الجهد والوقت في إخراج هذا الجزء للناس ، وطبعه طبعة علمية نقدية منقحة صحيحة ، فجمع ما تبسر له من أصول الكتاب ، وقارن بين الروايات ، وتخير أفضلها ، وضبط الكلمات التي يتوقف جمهور القراء عندها ، وشرح معنى الغريب منها ، وترجم لمن وردت أسماءهم في المتن ، واستند في ذلك إلى المراجع العربية الموثوقة ، فبسر بذلك قراءة هذا السفر الثمين ، وهون الإفادة منه على أيسر وجه وأهدى سبيل . ووطأ المحقق بمقدمة تعرف بالكتاب ومؤلفه ، وتصف الأصول التي اعتمدها ، تفقوها رواميز هذه الأصول . ثم ألحق بهذا الجزء مستدركاً أودعه ما بدا له فيه رأي مستأنف بعد أن سبق طبعه ، وعقب على ذلك بستة فهارس لأبواب هذا الجزء ، وأسماء شعرائه ، والمختار من منظومه ومنشوره ، وللأماكن ،

والأعلام ، والمراجع والكتب الواردة في متنه وحواشيه . ووضع فهارس متقنة وافية لمثل هذا الكتاب الواسع أمر محتّم في كل طبعة نقدية ، ولا يقدرها حق قدرها إلا الباحثون المنتبهون ، ولا يعرف عناء وضمها على الوجه الأكل إلا من اضطلع بمثل هذا الأمر وكابد مشقاته . وفهارس هذا الجزء متقنة وافية تدل على الدقة والدأب والتبصر ؛ ولكننا كنا نودّ لو تبسط المحقق في التعريف بالكتب التي اعتمدها هو أو أشار إليها العمداء في فهرس (المراجع والكتب) ، فذكر فيه حذاء المطبوع منها الطبعة والطابع ومكان الطبع وزمانه ؛ وإلى جانب المخطوط خزائنه ورقمه ووصفه بايجاز . وليس في فهرس (الأعلام) ما يميز صفحات الكتاب وحواشيه التي ورد فيها تعريف وافٍ بالعلم من الصفحات التي أشير فيها إليه إشارة عابرة ، وفي العادة أن يوماً إلى ذلك بأرقام متباعدة . هذا واننا نرجو أن يقوم المحقق أو أحد تلامذته - بعد أن يتم نشر الكتاب بأصباره - بوضع فهرس آخر لألفاظ (الخريدة) التي تنكرها المعاجم ، أو تغفل المعنى الذي حمله تلك الألفاظ في ذلك العصر ، حتى تنسى معرفة لغة أدبائه ، ويمهد بذلك إلى وضع معجم تاريخي بأطوار لغتنا العربية .

وقد يؤخذ على المحقق بعض الحواشي ، فهو مثلاً إذا ورد اسم الإمام الشافعي في المتن (ص ٣٣) ذكر في الحاشية : «أنه أشعر الناس وأدبهم» . وليس في مثل هذا التعريف بالإمام الشافعي كبير غناء ، ولا يشفع للمحقق أنه أخذ هذا الوصف عن غيره ، أو أن عدوى أسلوب العمداء قد سرت إليه فيه . وفي الكتاب تطبيقات ، أثبت الفهرس الثامن أكثرها وفاته بعض ما لا يفتن جمهرة القراء إليه ، كذكره كتاب «معجم الآداب في معجم الأسماء والألقاب» (ص ٥) ، والصواب «معجم الآداب في ٠٠٠٠» ، وقوله : «والمثل يجمع في الأمثال» (ص ٣٨٥) وصوابه : «والمثل في معجم الأمثال ٠» وقوله : «بكا على ما كان ٠» ص ٢٨٨ وهي «بكي ٠٠٠» .

... هذه المنوات وأمثالها لا تقدر في محاسن هذه الطبعة النقدية ، ولا توفي المنصف من إزجاء أطيب الثناء والحمد للمحقق الدكتور شكري فيصل ، وبجهداته وجهود ثلة من المحققين في هذا العصر أتيح لهذا الجيل أن يطلع على الكثير من ذخائر تاريخنا وأدبنا ، مجلوة في أجمل عرض وعلى أصح نهج وأيسر سبيل ، وغدا فضل بعثها من خزائنها ، ونشرها نشرًا علميًا لا تجاريًا ، مشاعًا بين علماء العرب والمستشرقين .

\* \* \*

وكلمة أخيرة ، هي أن ( الخريدة ) هذه الموسوعة الثمينة ، مقسمة الى أقسام ، اضطلع بتحقيق جزءين منها باحثون من مصر ، وجزء ثالث باحثان عراقيان ، وجزء رابع باحث دمشقي ، وولى كل من هؤلاء وجهة مستقلة ، فكانوا طرائق قديداً في نهج التحقيق والشرح ووضع الفهارس ، وفي الاعتماد على الأصول ، واطلع بعضهم على مخطوطات لم يطلع عليها الآخرون فيفيدوا منها ، وطبعت هذه الأجزاء بأحجام مختلفة ... فبذا لو تضام الجمع العلمي العربي والجمع العلمي العراقي ، وأقرا طريقة واحدة في نشر الأجزاء الباقية من قسم شعراء الشام والعراق ، ثم حفزا همة ( الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ) كما تشترك معها في نشر أقسام الكتاب الأخرى التي لم يتصد أحد لتحقيقها ، كقسم شعراء المعجم وفارس وخراسان و صقلية والمغرب والأندلس ، وفي إعادة نشر القسم المصري على النسق الذي بقر الرأي عليه ، وسيفي وضع فهارس موحدة شاملة وافية للخريدة في أجزائها كلها ، ليعم نفعها ويسهل على الباحثين الرجوع إليها ، ولهم وإن يعينهم على تحقيق هذه الأمنية وافر الشكر واصبا .

عبد الهادي هاشم

www.alukah.net

## طبقات الأطباء والحكماء

تأليف أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل  
 ألفه سنة ٣٧٧ هـ . حققه فؤاد سيد ، أمين المخطوطات  
 بدار الكتب المصرية . مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي  
 للآثار الشرقية بالقاهرة ( ١٩٥٥ )

هو أول مؤلف في تاريخ الأطباء والحكماء ظهر في الأندلس . وهو من  
 أقدم ما كتب في هذا الموضوع . ويمد مع الفهرست الذي ألفه ابن النديم في  
 نفس السنة التي ألف فيها ابن جلجل كتابه هذا وذلك في حدود سنة ٣٧٧ هـ  
 من أقدم الوثائق الهامة في تاريخ العلوم بمد كتاب تاريخ الأطباء والحكماء لاسحق  
 ابن حنين المتوفى في سنة ٢٩٨ .

نقل عنه نقولاً كثيرة صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم وابن أبي أصيبعة  
 في عيون الأنباء وطبقات الأطباء ، وابن القفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء ،  
 وابن العبري في مختصر تاريخ الدول وغيرهم . ويتميز هذا الكتاب كما أشار إليه  
 المحقق بأن مؤلفه يعتمد فيما رجع إليه من مصادر على تراجم عربية لأصول لاتينية  
 تاريخية . بينما أكثر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين كانت عن  
 أصول يونانية . والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية . مما جعل  
 لهذا الكتاب قيمة علمية خاصة . وقد استقى ابن جلجل ما جاء في كتابه هذا  
 من مصادر منها ما هو عن طريق النقل من الكتب التي اطلع عليها ككتاب  
 الألوفا لأبي معشر وغيره . ومنها الأخبار المروية بالسماع عن عاصره من  
 العلماء وقد انفرد بها ونقلها عنه من جاء بعده . ومن هذه النصوص ترجمة  
 ماسرجويه لكتاب إهرن القس أبام مروان بن الحكم . وان الخليفة الأموي  
 عمر بن عبد العزيز وجده في خزائن الكتب وأنه استجار الله في إخراجه الى



المسلمين وبثه في أيديهم . ولا يخفى ما لهذا النص من الأهمية في تاريخ حركة النقل والترجمة وحفظ المؤلفات في خزائن خاصة في صدر الدولة الأموية .  
 وما تحسن الإشارة إليه ما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه من أنه ألف هذا الكتاب إجابة لسؤال شريف أدب من أشرف عصره ، ووصفه بالشريف الأصل الطيب النجد . الأموي القرشي . نجل الخلفاء وصلالة الأئمة الداعين إلى الهدى . فقد سأله أن يكتب إليه عن أول من وضع صناعة الطب وتكلم فيها . وذلك لأنه لم ير لأحد من المتقدمين في ذلك كتاباً مرضياً ولا كلاماً مقنعاً مشبعاً . مما يدلنا على ما كان عليه عناية القوم من ملوك وأشرف وأمرء في الأندلس في ذلك العهد الذهبي الغابر من ولع شديد بالتنقيب عن الحقيقة والمعرفة ومن أثر خالد في الخوض على التأليف ونقل العلوم ونشرها بين الناس وازدهار الحضارة .

اعتمد المحقق في تحقيق هذا الكتاب على نسخة وحيدة لم يعثر على نظيرها في مكاتب العالم على ما بلغ إليه بجنه . وقد اعتبر النصوص المنقولة من ابن جلجل في كتب من ألف في هذا الموضوع كابن أبي أصيبعة والقفطي والعمرى وصاعد وغيرهم نسخاً غير مباشرة صحح بها النص وحقق منها الخلاف الوارد في العبارة أو اللفظ مع المحافظة على نص المؤلف كما ورد في النسخة المخطوطة . وإنما بين ذلك في الحواشي معزواً إلى مصادره .

وقد عني المحقق عناية كبرى يشكر عليها بالبحث عن تراجم الشخصيات التي وردت في المتن . على ما في ذلك من صعوبة ومشقة . فأتى بتراجمهم مع ذكر مصادرها ، كما عني بالتعريف بالكتب والمصنفات الواردة في تراجم الأطباء وتمييز أماكن وجودها في العالم . وقد ألتقى بكل ترجمة تعريفاً موجزاً بصاحبها لتعيين عصره وتاريخ مولده ووفاته وذكر اسمه كاملاً . متمماً بذلك النقص الكبير الوارد في الأصل إذ المؤلف أوجز في ذلك إيجازاً شديداً حتى أنه لم يذكر تواريخ الوفاة لمن ترجمهم .

م (٩)

ويربو ما أضافه المحقق على كتاب ابن جلجل في مقدمته وفي حواشيه وذبوله من الشروح والتراجم والوثائق التاريخية والملاحظات القيمة على عدة أضعافه مما يوضح لنا الجهود الجبارة التي بذلها لإخراج هذا الكتاب القيم على الصورة الكاملة التي ظهر بها والتي لا يحتاج الناظر فيها إلى الرجوع لأي مصدر آخر لإيضاح غامض . أو معرفة ما ليس بمعلوم لديه .

ويقع الكتاب بـ ١٨٠ صفحة منها ٤٠ صفحة حوت المقدمة و ١١٦ صفحة حوت كتاب ابن جلجل مع حواشي المحقق . وقد صنف المؤلف الأطباء والحكماء الذين أتى على تراجمهم في تسع طبقات ذكر في الأولى الطبقة العالية الأواية من تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية . ثم الطبقة الثانية الحكيمة الرومية اليونانية ثم الطبقة الثالثة من حكماء اليونانية الذين كانوا في دولتهم بعد الفرس من شهر في الطب والفلسفة . ثم الطبقة الرابعة من حكماء اليونانية من تكلم في الدولة القيصرية بعد بنيان روما . ثم الطبقة الخامسة من الحكماء الاسكندرانيين . ثم الطبقة السادسة من لم يكن في أصله رومياً ولا سريانياً ولا فارسياً . ثم الطبقة السابعة من حكماء الإسلام من برع في الطب والفلسفة ، ثم الطبقة الثامنة من حكماء الإسلام من سكن المغرب ، ثم الطبقة التاسعة الأندلسية الحكيمة منهم والطبية .

وقد اختتم الناشر هذا المؤلف بتعريف الكتب التي تكرر ذكرها في المراجع مختصرة . ثم بفهرست الأعلام . ثم بفهرست الأماكن . ثم بفهرست أسماء الكتب الواردة في متن الكتاب ثم بثبت المراجع وبيان طبعتها ثم بفهرست الكتاب . هذا ولا يسعني بعد هذا الوصف الموجز لهذا الكتاب القيم إلا أن أنثني على ما بذله المحقق من العناية الكبرى في إخراج هذا الكتاب الذي يُعد بما أضيف إليه من الحواشي من أنفس التحف التاريخية التي يفخر بها أدينا وتاريخنا العلمي .

الدكتور أسعد الحكيم

www.alukah.net

## أعيان الشيعة

تأليف السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي  
الأجزاء : السابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون

ان مؤلف « أعيان الشيعة » لمن أبرك المجتهدين الاماميين على مقلديهم في الديار الشامية لما قام به من الاصلاح المذهبي والاجتماعي ، فقد حارب البدع السيئة ، وعمل بروح تسامح وقوة عقله على تقريب القلوب بين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين من السنة والشيعة ، وأشار على قومه بأن يصلّى عليه بعد وفاته في الجامع الأموي الكبير ، وقضى رحمه الله حياته كلها في العلم والتعلم وإصلاح العقول والأرواح ، وأكبر مؤلفاته أعيان الشيعة ، وهو دائرة معارف رجالية كبيرة لا يستغني عنها عالم ولا أديب في أمجانه ، فقد كتب عن دعبل الخزاعي مئة صفحة في الجزء الثلاثين ، ومن أهم ما في هذه الصفحات إيراد القصيدة الثائية التي زادت عن مئة وعشرين بيتاً ، وقد نوّه بذلك الأستاذ فرّاج مؤلف « دعبل الخزاعي » ودعا للمؤلف بأن يجزيه الله أعظم الجزاء ، كما نوّه بفضل الفقيه الدكتور عبد العزيز عنز أستاذ الأخلاق وعلم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة في كتابه « ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها » ، وذكر أن ما كتبه الفقيه في الجزء المباشر قد بلغ خمساً وستين صفحة تشتمل على خير ما ذكره العلماء عن مسكويه ، وخير ما لهذا الحكيم من منظوم ومنثور في الحكمة والأدب .

وفي هذه المعلقة من العلماء والأدباء من يراهم السنة من أعيانهم ، وإذا كان من يجب آل البيت ، ويتخذ حبه ذريعة تقربه زلفى الى الله ، بعد شيعياً ، فإحدى هذه المعلقة الرجالية : أن تبلغ من الأجزاء ألقاً ، فهي على ذلك من مظاهر جمع الشمل وتوحيد الكلمة الإسلامية مما كانت فقيداً يسمى اليه ويجمع القلوب المتنافرة عليه رحمه الله .

وتحتاج الأجزاء الباقية الى عناية تامة بتصحيح نصوصها ، فان فيما نشر بعد وفاة المؤلف من الأغلاط أو الهفوات المطبعية ما ليس مهماً فلا نتعرض له ، ومنها ما لا يجمل وقوعه في مثل هذه المعلقة ولا يرضى صاحبها بما يفسد المعنى بعضه ، أو ينكسر به وزن الشعر ، ولم يبق له في التصحيحات كما في البيت التالي (٤٥/٣٧) ، وهو من الخفيف :

ما حنيني الى زرود ولا را مة لولاكم ما فيها لي صرام  
فان صدر البيت سليم وعجزه غير قويم ، وما هو كذلك في ديوان الشاعر ، ويستقيم الوزن لو قيل :

ما حنيني الى زرود ولا را مة مالي بها سواكم صرام  
وجاء في (٥٠/٣٧) :

لي الله كم لي وقفة بعد وقفة مع الدهر ردت علا الدهر أجذما  
والصواب : « مع الدهر قد ردت ... » .

وفي (٥٣/٣٧) قوله :

لو طلبتم لي مزبداً في الهوى ما وجدتم فوق ما بي مزبدا  
ويستقيم وزن العجز لو قال : (فوق ما في ... ) .  
وقوله والضمير يرجع لمهجته (٥٦/٣٧) :

تركتها بين آدمان غطارفة غسروا غلثة بيض مصاليت  
والصواب : « غسروا بها غلثة ... » .

ومن هفوات العروض أو المطبعية قوله (٥٩/٣٧) :

وانهضن بهمة حازم أنت الذي رصعت تيجان الرياسة جوهرها  
ويجبر كسر الشعر بعدم تو كيد الفعل : « وانهضن بهمة ... » .

وجاء في البيت الذي يليه : ( جادعاً نين ) والصواب ( عرينين ) وهو من المطبعة ، وجاء في البيت الذي يليه من ظلم المطبعة : ( والحجرة مبرا ) والصواب

(منبراً) ، وبذلك لم يخل بيت من هذه الآيات الثلاثة المتواليّة من هفوة ، وقد ذكرتها على سبيل المثال .

وانظر الى هذا البيت ( ٢٧ / ٦١ ) وهو من مجزوه الكامل :

وأنا اذا استنجدت لم يكن بك منجدي

فانك تجد ان الشطر الثاني ( يكن بك منجدي ) مكسور .

ومن محاسن الجزء الثامن والثلاثين بحث عن ديك الجن عبد السلام بن رغبان في ثمان صفحات ، وفي ترجمته من الشعر والأخبار ما قلنا يعثر عليه ، وفي الجزء التاسع والثلاثين ترجمة الأمير الأديب عبد الله بن سنان الخفاجي الحلي صاحب سر الصناعة<sup>(١)</sup> والذي كان يشبهه بالشريف الرضي في شعره ، فقد جاءت ترجمته في ٣٧ صفحة ، وفيها من خبره ومختارات شعره الشيء الطريف .

وكنا نود لو أشبع المؤلف البحث عن الإمام أبي الفتح عثمان بن جني ، فقد ترجمه في سطر واحد ، وذكر أنه من مشايخ السيد الرضي ، وما أدري لعل بقية الترجمة لم يعثر عليها .

ومن هفوات الجزء الثامن والثلاثين ( ٣٨ / ١٧ ) البيت التالي :

وما انا ان شط المزار بذهال عن الود حتى تخنوبني مصاوعي

والصواب البيّن ( مصارعى ) ، وجاء في ( ٣٨ / ١٩ ) :

خليلي عرتجا بالديار وسائلا أهيل الحمى عن عهدنا المتقادم

والصواب ( عوجا ) ، وجاء في ( ٣٨ / ٣١ ) :

وضع الدهر عليهم بركة فأبيدوا لم يغادر غير نسل

والصواب ( بركة ) أي صدره ، وهذا البيت من قطعة شعرية مطلعها :

سألتني جارتني عن أمي واذا ما عبي ذو اللب سأل

والصواب ( وإذا ما عبي ) ، وإلا اختل الوزن .

(١) وقد نشره أخيراً الأستاذ عبد المنعم الخفاجي نشرة تلمية صحيحة .

وجاء في الجزء (٣٩ / ٣٥) : « الامام جمال الدين بن مظهر » وأظن الصواب « المطهر » . ومن هفوات النحو في هذا الجزء مما سلم منه الاصل ما جاء (٣٩ / ٤٣) : « وكان يجب الانصاف بين الرعية ، ولكنه جاهلاً بأمور الرعية » والصواب ( جاهل ) ، ونحسب ان ( كان ) قد سقطت حين الطبع ، وان الاصل ( ولكنه كان جاهلاً ٠٠٠ ) .

وجاء في (٣٩ / ٣٩) :

فالله أعلم حيث جعل علمه في جوف طاهر

ويستقيم الوزن بقوله ( حيث يجعل ) .

وجاء في (٣٩ / ٩٦) :

قضى الله فيها ما قضى ثم انقضى وما ما مضى إلا كأضفان حالم

ويستقيم الوزن بقوله ( ثم انقضى ) وأحسبه كان في الاصل قبل النشر .

ومن جنابات المطبعة (٣٩ / ١٠٣) :

فكم أمر أغلب فيه نفسي ركبت فكان أدنى للنجاح

والصواب للنجاح كما لا يخفى .

هذا ما ذكرته من الهفوات على سبيل المثال ، وقد يكون فائتي ولا شك كثير من السهو الواقع في هذه الأجزاء الثلاثة مما لا يتسع له صدر هذه المجلة فتركته وأنا أعتقد أن ذلك كله لا ينقص من قدر هذه المعلمة الممتعة شيئاً ، وأرجو أن يهتم السيد الحسن نجل الفقيه بنشر الأجزاء التالية نشرًا أحسنًا يليق بهذا الكثر الدفين .



## الثائرون في التاريخ

الملك سيف

تأليف دار الحكمة باشراف علي ناصر الدين

تقوم دار الحكمة البيروتية للتأليف والترجمة والنشر بأعمال علمية وأدبية جليظة للأمة العربية وقضيتها ، فقد نشرت أبحاثاً ممتعة عن الثائرين من العرب في التاريخ وهي سلسلة أدبية ذهبية والملك سيف بن ذي يزن الحلقة الثانية منها ، وتريد دار الحكمة أن تجلوها صفحة مجيدة من تاريخنا العربي القديم تدل بها على نبل النفس العربية ومبلغ هيام العربي بالحربة وتقديسه لها واستعداده الطبيعي للشورة في سبيلها ، وقد دلت قبلاً على ذلك بالحلقة الأولى التي خصتها بدراسة (الملك أذينة والملكة الزباء) . وشيبتنا العربية الناهضة أو الثائرة اليوم في حاجة حاقّة الى مثل هذه الدراسات القومية التي تكشف الحجب عن كثير من الحقائق كانت مطحوسة فتضرم في قلوبهم جذوة الحماسة العربية وتحمل كل فتى منهم على اقتباس قبس منها .

وتمنى هذه الحلقة الثانية بدراسة لسيف بن ذي يزن وثورته على الأحباش الذين غنروا اليمن العربية وعاثوا فيها فساداً ، والملك سيف هذا هو البطل العربي الشهي الذي تتداول قصته ملايين الأيدي العربية في مختلف الأقطار ، وليس فيها من شخصية الملك سيف ولا من حقيقته العقلية والوطنية شيء ذو بال يستحق أن يعتبر به شبابنا العربي المتعلم المستنير لما في تلك القصة من السطحية والمبالغات التي تطمس نور الحقيقة وتحمل على الاستخفاف وقلة المبالاة .

وملكنا العربي هذا قد لعب وهو فتى في تاريخ الوجود العربي دوراً بطولياً رائعاً ، وجعل من قضية بلاده وتحريرها قضيةً دولية ، فنجح بمساعيه السيامية والتفاف قبائل اليمن حوله وهي نائرة للاستقلال وتحطيم الأغلال ، فحرّر بلاده

العربية بقوة الإيمان ، وحطم بجوافر جواده وجياد بني قومه سيوف الأحباش  
فآبوا الى بلادهم مذمومين مدحورين .

وفي هذه الدراسة السيفية كثير من المواقف القومية التي تهز أعطاف الفتوة  
العربية . وهي خليقة بالتحدث عنها لولا ضيق النطاق . ومن الخطأ النادر الذي  
وقع فيها ما جاء في شعر تبع يصف صنمًا :

لبس يؤذيتهم فيها وهج الحر ولا القرّ في زمان اقرار  
والصواب بها بدل (فيها) ، ولا يسعنا إلا الشكر لدار الحكمة لما تنشره من  
هذه الدراسات الأدبية والقومية بأشراف الأديب العربي المبين الأستاذ علي ناصر الدين  
جزاه الله عن الأدب وقومه العرب خيرًا .

التوضي

محمّد

رد على ميخائيل نعيمة في « مرداد »

بقلم الأب يوحنا الخوري ب . م .

٢١٣ صفحة بالإضافة إلى الفرس ومقدمة سعيد عقل

الحجم : ١٤ × ٢٠ سم - المطبعة الخلصية بصيدا ، ١٩٥٦

حين وقعت عيني على الرمز الذي وُشِّع به هذا الكتاب « أنفى رهبة متلوية  
على نسري طائر تنهش صدره » خطرت ببالي الصورة الرائعة الشهيرة في إيلازة  
هوميروس . ونساءت : أيصحُّ أن أتخذ من هذا الرمز مثل المعنى الذي اتخذ  
منه العرفان پوایداماس ، فأرى فيه - هذه النوبة - شوّماً ( لا على هكتور  
بطل طروادة ) بل على ميخائيل نعيمة الكاتب ؟ . . . ولكنني ما لبثت أن  
ذكرت أن الإيلازة تضيف أن القائد استشاط برمئذ غضباً من الإرهاص وقال  
للعرفان : « ما أنا من ببالي كلام الطير حين أتلقى كلام زفس رب الجيايرة ! »  
وإذ ذاك عنفتُ عن الطيرة وفتحت الكتاب .



## علام مدار الجدل ؟

كان الكاتب المهجري ميخائيل نعيمة وضع كتاباً بالإنكليزية ونقله بنفسه إلى العربية بعنوان « كتاب مرداد منارة وميناء »<sup>(١)</sup> . ويظهر أن قد تمتع هذا الأثر بمحظوة رفيعة لدى المتأدبين في أرجاء واسعة من العالم ، حتى لقال في حقه الشاعر سميد عقل : « في لبنان نقرأ صراد على أنه رائحة بشرية ، وفي مصر يقولون إنه كتاب المصير في اللسان العربي ، وفي الهند يتلمسونه في ترجمته (كذا) الإنكليزية المطبوعة هناك ، كأنه وحى آخر وفد إليهم من جوار وطن يسوع » . واعتقادي أن سحر هذا الكتاب راجع ، بالدرجة الأولى ، إلى ألقاه المفريّة المثيرة المحرّضة بموضوعها وبوضوحها على السواء ؛ وبالدرجة الثانية لأن فيه من حيث الصياغة حرارة أسلوب نيتشه وطعمه ورائحته في « هكذا تكلم زرادسترا » . يضاف إلى هذا وذاك أنه تعرّض ، في ثوب فني مبتكر ، أفكاراً عسرة الهضم ، من حيث الأصل ، مردّها إلى الميتافيزياء الجرمانية المتصلة بوحدة الوجود (Pantheisme) ولا سيما إلى مثالية فيخته الذاتية (Idéalisme Subjectif) التي تجعل « الأنا » مبدأً أعلى لأنها « المفكر والمفكر به في آنٍ معاً » ولأنها « الخالق والمخلوق في آنٍ معاً »<sup>(٢)</sup> . ومع أن ميخائيل نعيمة لم يكتب مطوّلاً في الفلسفة « الجدلية » ، وإنما كتب أثراً أدبياً - شعرباً بمعنى من الممانى - يدلّ على قيمة النظرة الشخصية في التفكير وفي الإبداع (ولذلك اضطر إلى بعض المفارقات التي تُرعب رجال الدين) فقد حسب الأب بوخنا الخوري أن عليه أن يقاضيه أمام محكمة لاهوتية ، فنصب موازين الحساب وجاء بدبته على الكبائر والصفائر . فكذلك إذا كتب

(١) نشرته مكتبة صادر ببيروت سنة ١٩٥٢ .

(٢) راجع في كتاب نعيمة النصل الثاني بعنوان : في الكلمة المبدعة « أنا » هي

النبوع والمحور .

نعيمه : « هذا كتاب مرداد كما دونه نرودا أصفر رفاقه سنًا وأقلمهم قدرًا منارةً وميناءً للتواقين الى التغلب أما غير التواقين فليحذروه » كلف الأب يوحنا الخوري نفسه عناء الرد فكتب : « هذا كتاب مرداد كما دونه نرودا أصفر رفاقه سنًا وأقلمهم قدرًا نظليلاً وتضليلًا في لجج الشك لمن خانتهم المعرفة فسقطوا وارتطحوا أما ذوو اليقين فليبقوه » حتى إن نعيمة حين يجتري فيجري على لسان شمامد (الراهب المسجور) مجرد قوله : « لقد اشتعلت نار الحرب بين مرداد وبيتي ، ووقع الضغائن في القلوب لأشد فتكاً من وقع السيوف القواضب [٠٠٠] ولو أن رفاقي نصروني عليه لسحقته في النهاية سحقاً ، ولا تنزعت قلبه من صدره وأكلته أكلاً » ، لا يلبث الناقد الأب المحترم أن يجيب : « كفى ، يا ميخا [ = ميخائيل ؟ ] ٠٠٠ ومن الراهب الذي شب على روح الحق هذه ؟ لست أظن راهباً في العالم ثور فيه سورة الغضب ويضطرم فيه حب الانتقام إلى هذا الحد ، إلا إذا كان شيطاناً رجيماً صعد من الهوة السوداء وتسلل بين الرهبان بزي واحد منهم » . وهكذا لا تجد فصلاً من فصول نعيمة إلا والأب يوحنا تعقيب عليه ومناقشة دينية حادة تدعمها أقوال الأحرار والنصوص المقدسة : فهناك كلام طويل حول « ثالث مرداد » و « كلمة الله وكلمة الإنسان » و « طريق الخلاص » و « الدينونة ويوم الدين » و « الإرادة الكلية » الخ ٠٠٠ وكلمة محمول على الظاهر ، مع أن للكلام الرضوي - كما هو معروف - ظاهراً وباطناً . هذا وقد لاحظنا في الكتاب بعض الخطيئات (المطبعية في أيسر الأيسر) فن ذلك ص ١٦ أنه روي مطلع قصيدة « المساء » لخليل مطران رواية كسر بها البيت فقال :

داه ألم بي نخلت فيه شفائي من صبوتي فتضاعفت بُرحائي

وواضح أن « بي » جاءت هنا على سبيل تطفيف الموازين ! ومن ذلك قوله

ص ١٠٠ : « فاستبدلت خالقك بمخلوقك » مع أن العكس هو المراد على ما ورد في الآية الكريمة : أنسبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ » .  
 على أنه لا بد من القول أن الناقد الأب الخوري قد أنفق في عمله - والثواب على قدر المشقة - جهداً جديلاً متمبهاً حتى إنه شعر في موضع من المواضع بالحاجة الى سرد الأدلة المدرسية ( الكلاسيكية ) على وجود الله على نحو ما تلقاه عند فلاسفة كالفديس أوغسطين وابن سينا وخاصةً توماس الأكويني . ولكن ترى أكل هذا الجهد الماضي يستلزمه أثر أدبي اتخذ لغة الرمز والإشارة ؟  
 في رأينا أن الأدب يجب ألا يطرح على هذا الصعيد .

الدكتور حكيمه هاشم

## المدخل الى تاريخ الحضارة

( الجزء الثاني ) تأليف الدكتور جورج حداد

يقع في ( ٥٧٠ ) صفحة من قطع الوسط طبع في دمشق سنة ١٩٥٤

سبق لي في هذه المجلة نشر كلمة عن الجزء الأول من هذا التأليف القيم أطريت فيها جهد المؤلف وسمة اطلاعه وصدق مصادره وأكبرت فيه هذه المحاولة الجريئة بنقله هذا العلم الحديث وادخاله قصة الحضارة الى مسرح الحياة العلمية العربية .

بحث المؤلف في هذا الجزء شروط الحضارة ومصادرها ومظاهرها وعن ما أثر الحضارة وتفاعلاتها وانتشارها في الشرق الأقصى والهند وإيران وبيزنطية والبلاد العربية منذ فجرها حتى نهاية العصور الوسطى . وقد جال فيها جولة دلت على علم غزير واختيار صحيح جهلاً هذا الكتاب مرجعاً ومنهلاً للباحثين . وقد جاءت أبوابه وفصوله وحدة متماسكة بعد أن بسطها المؤلف بأسلوب شيق مقرب لأفهام القاري مما كانت ميوله واختصاصه .

اعتبرت هذا الكتاب - كغيره من المؤلفات التي عالجت مواضيع دخيلة على الثقافة العربية - عقبة المصطلحات الفنية الحديثة ، وهي مهمة شاقة بقدر صعوبتها من عاناها . وقد توفى المؤلف في أكثرها ، غير ان في بعضها غموضاً في تحديد مدلولها كاستعماله لفظة ( الهلينية ) و ( الهلنيسية ) في مواضع لا تتفق مع مدلولها .

وقد بدا لي بعض الملاحظات على تعابير وردت في الكتاب يضاف اليها أخطاء مطبعية رأيت من الفائدة الإشارة اليها :

| الصفحة | الخطأ                                                                                    | الصواب                                 |
|--------|------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------|
| ٢٠     | ابتدائية                                                                                 | بدائية أو فطرية                        |
| ٣١     | بدون طبخ                                                                                 | النيء                                  |
| ٤٠     | حدد                                                                                      | هدد                                    |
| ٤١     | الجنيون                                                                                  | لعلها ( الخثيون )                      |
| ٦٥     | البايروس                                                                                 | البردي                                 |
| ٧٥     | الآجر المخبوز                                                                            | حذف المخبوز لأن الآجر هو الطين المخبوز |
| ٩٠     | أخطأ في تقدير المسافة بين حدود الامبراطورية الرومانية والهند فهي تساوي أضعاف ما قدره لما |                                        |
| ٩٣     | الخيزان                                                                                  | الخيزران                               |
| ١٠٢    | البيروتي                                                                                 | البيروني                               |
| ١٠٥    | قشر الشجر                                                                                | اللحاء                                 |
| ١٢٥    | بانغ شاه                                                                                 | بانغ شاو                               |
| ١٢٩    | دراجون                                                                                   | تنين                                   |
| ١٩٨    | شهر طاق                                                                                  | جهاز طاق                               |
| ٢٠٧    | هركول                                                                                    | الجبار                                 |

| الصفحة | الخطأ                                                                                                                                             | الصواب          |
|--------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------|
| ٢١٢    | جانبا                                                                                                                                             | ضاماً           |
| ٢٢٧    | الصرب                                                                                                                                             | العرب           |
| ٢٣٣    | ماتوا بدون وصية                                                                                                                                   | ماتوا بدون وريث |
| ٢٣٦    | الفورم                                                                                                                                            | الفوروم         |
| ٢٧٣    | قلب اللوزة                                                                                                                                        | قلب لوزة        |
| ٢٧٤    | ان زخارف قصر المشتى هي هيلنسية سورية أكثر منها فارسية .                                                                                           |                 |
| ٢٨٩    | الهليل الخصب                                                                                                                                      | الهلال الخصب    |
| ٣٠١    | معبد بعل                                                                                                                                          | معبد بل         |
|        | لوحات بارزة                                                                                                                                       | ركائز           |
|        | الكتابة على الكتف                                                                                                                                 | فوق الكتف       |
|        | القول ان أصل سكان قدس قبائل عربية مبالغ فيه وينطبق هذا الزعم على فئة منهم                                                                         |                 |
| ٣١٥    | الجابية في الجولان                                                                                                                                | في الجيدور      |
| ٣٢٣    | قوله ( كانت الاعتقادات تركز على القمر الذي يرعى البدوي أغنامه على ضوءه ) هذا التعليل لا يتفق مع طبيعة الفم لأنها لا ترعى ليلاً ولا في ضوء القمر . |                 |
| ٣٥٣    | قوله ان بعض ما آذن الجامع الأموي بنيت على أنقاض أبراج الكنيسة التي كانت قبلاً هو زعم باطل والأصح أن يقال على أنقاض أبراج الهيكل الوثني .          |                 |
| ٣٥٦    | إن رواية نبش قبور خلفاء بني أمية من قبل العباسيين هي رواية متأخرة وضعيفة لا يؤخذ بها .                                                            |                 |
| ٣٧٦    | قوله ان زمسكس البيزنطي دخل دمشق فاتحاً . لم أعثر على ذكر هذا الخبر عند مؤرخي العرب .                                                              |                 |

- ٣٨٥ قوله أكل المعظم بناء المدرسة المادلية الكبرى التي بدأها العادل والصحيح ان أول من أنشأها هو نور الدين محمود بن زنكي ثم بنى بعضها الملك العادل ثم أمها ولده الملك المعظم .
- ٤٤٣ تريمات قاشاني ، الأصح أن يقال ألواح قاشاني لأنها مختلفة الأشكال منها المربع والمستطيل والمضلع وغير ذلك .
- ٤٨٥ قائمة السببية ، الصواب : الصببية
- وقد استعمل المؤلف في بحثه عن العصر الاسلامي اسم سورية بدلاً من الشام الذي اشتهرت به عند العرب . كما اعتمد في أكثر وقائع ذلك العصر التاريخ الميلادي دون التاريخ الهجري الذي لا يصح أن يعقل في مثل هذا البحث .
- نسجل للمؤلف الشكر لجهده الموفق وإقدامه على هذه البادرة الطيبة فأضاف الى تراثنا العلمي عنصراً جديداً كنا نشعر بنقصه مع شدة الحاجة اليه .

جعفر الحسني

١٩٥٥

## محاضرات في القانون المدني اللبناني

ألقاها الدكتور صبحي المحمصاني

على طلبة الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥

يتابع معهد الدراسات العربية العالية ، الذي أنشأته في القاهرة جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٣ ، الطريق التي بدأها بدعوة رجال العلم من مختلف البلاد العربية لإلقاء محاضرات عامة على طلابه ، وتشمل هذه المحاضرات جميع الفروع التي يقوم المعهد بمنح شهادات فيها تحقيقاً لأغراضه العلمية الثقافية .

ولقد كان من بين العلماء الذين دعاهم المعهد سنة ١٩٥٥ الدكتور صبحي المحمصاني عضو المجمع العلمي العربي ، الذي حاضر طلاب قسم الدراسات القانونية

عن القانون المدني اللبناني ، وتبعاً للخطة التي يسير المههد عليها ، في حصر المحاضرات في ناحية محدودة من نواحي البحث المقرر والتوسع فيها والتعمق في دراستها ، فقد انتقى الدكتور المحمصاني ، من أبحاث القانون المدني الواسعة ، موضوع ( انتقال الالتزام ، حوالة الحق وحوالة الدين ) ، وحاضر فيه عدة محاضرات طبعها المههد سنة ١٩٥٦ في كتاب جاء في ٦٠ صفحة من القطع الكبير .

بدأ الدكتور المحمصاني محاضراته القيمة يبحث فكرة انتقال الحق الشخصي في الشرائع القديمة التي كانت لا تقرّ انتقال الحق الشخصي بسهولة كما كانت تقرّ انتقال الحق العيني ، ثم بين المحاضر كيف تطورت النظريات الفقهية والقانونية وأخذت تنظر في الحقوق والالتزامات الى قيمتها المادية لا الى قيمتها الشخصية ، وكيف قبلت الشرائع الحديثة ، بعد هذا التطور ، فكرة انتقال الحق أو الدين بالإرث أو بالعقد .

وقد بحث الدكتور المحمصاني في الباب الثاني من محاضراته حوالة الحق أو انتقال دين الدائن ، بعد أن قدم للبحث بلمحة تاريخية مقارنة لخص فيها آراء الفقهاء المسلمين تلخيصاً جامعاً موفقاً ، ثم تكلم على شروط انعقاد حوالة الحق وعن آثار هذه الحوالة بين المتعاقدين وقبل المدين والغير ، وفي الباب الثالث تكلم المحاضر عن حوالة الدين أو انتقال دين المدين وشروط انعقاد الحوالة وآثارها .

وكان الدكتور المحمصاني خلال أبحاثه يبين حكم القانون اللبناني مشيراً الى حكم القانون المصري وأحكام قوانين بقية البلاد العربية مع مقارنتها بأحكام القوانين الأجنبية ، غير مغفل حكم الشريعة الاسلامية في مختلف مذاهبها وذلك بأسلوبه القانوني المركز الذي عودنا إياه في كتبه العديدة ، مما جعل كتابه الجديد تحفة في علم الدراسات القانونية المقارنة يجدر بجميع رجال القانون الاطلاع عليها .

الدكتور غدنان الخطيب

## أمراء دمشق في الإسلام

تأليف صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ( ٥٧٦٤ هـ )

وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبوعات مجمع العلمي العربي بدمشق سنة ( ١٩٥٥ ) وهو في ( ٢٢٢ ) ص بحجم هذه المجلة

للأستاذ البجائية المحقق الدكتور صلاح الدين المنجد ولع زائد في مدينة دمشق ، فقد نشر وألف عدداً كبيراً من الموضوعات المتعلقة بها تثير الإعجاب بجهده وإخلاصه لبلده ، كما تدعو الى شكره على عمله المبرور .

نذكر على سبيل المثال نشره الجزء الأول والثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وفضائل الشام ودمشق للربيعي ، ودور القرآن بدمشق للنعيمي ، ومختصر تفتيحه الطالب للعماري ، وأرجوزة في محاسن دمشق لابن خداويردي ، وعدة الملمات في تعداد الحمامات - حمامات دمشق - لابن عبد الهادي ، وتاريخ مسجد دمشق للبرزالي ( ؟ ) وحربوق جامع دمشق ، وخطط مدينة دمشق ومخطط دمشق القديمة كلاهما للدكتور صلاح الدين المنجد ، وغير ذلك مما يطول تعدادها .

وما هو يتخف أخيراً المكتبة العربية بكتاب نفيس عن أمراء دمشق في الإسلام للصلاح الصفدي بعد أن كان نشر كتابين في هذا الموضوع ، أحدهما : ولاية دمشق في العهد السلجوقي ، الثاني ولايتها في العهد العثماني .

يتألف كتاب الصفدي الذي نحن بصدده من أربعة أقسام :

الأول - المقدمة ، وقد مهد بها للكتاب الدكتور المنجد بذكر الكتب والمصادر التي ألفت في هذا الموضوع ، ووصف النسخ التي نشر هذا الكتاب عنها ، وأبان عن نهج التحقيق فيه ، ونشر نماذج مصورة عن الأصول المذكورة ، كما ترجم المؤلف ترجمة موجزة وأحال الى المصادر التي توصلت في ترجمته .  
الثاني - المعجم الصغير للصفدي الذي ذكر فيه « من ولي إمارة دمشق المحروسة



في الإسلام ودخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم» وقد جعل لهذه التراجم أرقاماً ليسهل الرجوع إلى المطلوب .

وهذا المعجم عبارة عن تراجم الولاة المذكورين ترجمة تتراوح بين سطر واحد وبين خمسة أسطر وتبلغ صفحات هذا القسم (١٠٣) ص .

الثالث . - أرجوزة للصلاح الصفدي المذكور سماها «تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب» فان المؤلف المذكور بعد أن وضع معجماً في أسماء ولاية دمشق ومن دخلها من الملوك والخلفاء نظم معجمه هذا في هذه الأرجوزة بعد أن أضاف إليها إضافات أخرى اطلع عليها بعد ذلك وبلغت صفحات هذا القسم (٦٤) ص .

الرابع . - الفهارس والملاحق وهي تحتوي على فهارس متعددة تسهل الرجوع إلى المطلوب من أقرب الطرق ، وأهم الملاحق ما ورد في ص (١٩٤ - ١٩٨) للأستاذين الفضالين : سبولر ، وبريتسك فقد نظرا في الأعلام الأعجمية الواردة في هذا الكتاب من تركية ومغولية وفارسية فضبطا الكلمات الواردة من ذلك بالحركات ووضعا إلى جانبها كيفية النطق بها بالأحرف اللاتينية ورمزا إلى الكلمة التركية بـ «ت» وإلى المغولية بـ «م» وإلى الفارسية بـ «ف» وهو ملحق قيم يفيد الباحث منه كثيراً . وتبلغ صفحات الفهارس والملاحق (٥٢) ص . وبالختام فلا يسعنا إلا شكر المجمع العلمي العربي على نشره هذا الكتاب القيم كشكرنا الدكتور المنجد على جهوده وتحقيقاته وتعليقاته القيمة المفيدة .

محمد أحمد دهمان

— 2004 —

م (١٠)

# آراء وأبناء



نائب رئيس المجمع العلمي العربي  
الأستاذ المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي  
(١٨٦٧ - ١٩٥٦ م)

- ٤٩٨ -

## وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

في الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٧٥هـ (٧/٦/١٩٥٦م) فجع  
المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ، ثاني اثنين رفعا  
للناس قواعد المجمع ، وأقاما دعائه الراسخة ، وجملاه حرماً آمناً لأفاضل العلماء  
والأدباء ، أولها الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وقد لقي وجهه ربه منذ لواد  
ثلاث سنوات ، وما هو ذا رفيقه وصديقه بلحق به إلى الملائكة الأعلى .

ولد الأستاذ المغربي عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٢م) في طرابلس الشام ، وتلقى  
العلم على أبيه وأفاضل أسرته وبعض كبار العلماء في الشام والقسطنطينية ؛ ثم صحب  
المصلح العالم العامل السيد جمال الدين الأفغاني ، فأفاد من هذه الصحبة في  
تفتح ذهنه إلى وجوب الإصلاح ، وكتب مذكراته عن الأفغاني ، وقد نشرت  
في الجزء (٦٨) من سلسلة دار المعارف : اقرأ . ثم أولع بعدئذ بدراسة  
آثار الشيخ محمد عبده ، واستجاب إلى دعوته الخيرة ، وشرع يصدع بالإصلاح  
الديني والاجتماعي والسياسي . فاستدعاه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى مصر  
حيث المجال للدعوة الإصلاحية آنذاك أرحب وأوسع ؛ ولكن ما لبث الأستاذ  
الإمام أن لقي وجهه ربه ، فانصرف المرحوم المغربي إلى الصحافة ، وكتب في  
كبريات جرائد مصر مقالات أثارت العزائم الوانية وشحذت الحمم الغافية .  
فلما أعلن الدستور العثماني ، رجع إلى طرابلس مسقط رأسه ، وأصدر فيها  
جريدة (البرهان) ؛ وغرضه من ذلك الدعوة إلى صيقل النهضة - على وجوهها -  
بالحكمة والموعظة الحسنة . واشترك من بعد في تأسيس كلية دار الفنون في  
المدينة المنورة والكلية الصلاحية في بيت المقدس ، وكانت الغاية منها تخرج  
طبقة من العلماء يجمعون بين معرفة العلوم الدينية والمصرية . ثم نزل دمشق  
واتخذها موطناً له . فلما تنادى علماء الشام لإقامة المجمع العلمي العربي حفاظاً

على اللغة العربية وآدابها ، كان المرحوم المغربي من أوائل من لبوا هذا النداء الكريم ؛ وانتُخب ، منذ تأسيس المجمع عام ١٩١٩ في عهد الملك فيصل بن الحسين ، عضواً عاملاً فيه . ثم أخذ يحاضر طلاب الجامعة السورية في العربية وآدابها . وفي العام ١٩٣٤ سمي عضواً عاملاً في المجمع اللغوي في القاهرة ، ثم سُمِّي في السنة ١٩٤١ نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وفي العام ١٩٤٩ اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي . وقد ظل يعمل لهذه المجمع الثلاثة ويمدها ، حتى يوم وفاته ، بنضيج رأيه وسديد حكمه ووسيع اطلاعه ودائب جهده ، لا بكل ولا بئيل ، ولا تنال السنون من همته العالية وتفكيره الخصب وعلمه الغزير .

أتى الأستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي العربي المثين من المحاضرات العامة في برهة عشرين عاماً ، وكان أدباء العاصمة وفضلائها وعيون زائريها من المستشرقين والعرب يقبلون ، زرافات ووحداً ، كل أسبوع ، على المجمع للاستماع إليها والانتفاع بها ، وكان لها أعظم الأثر في تحبيب العربية إلى الناس ، وإطلاع الناشئة على ذخائر الأجداد . ومرد إقبال القوم العظيم عليها هو أسلوب المحاضر الفذ الطريف في تأليفها وإلقائها ، وفيما يضمنها من النكت البارة والطرف المستملحة ، إلى جانب الحكم الصائب والتحقيق الواسع .

وقد ألف المرحوم المغربي الكثير من التصانيف النافعة ، منها ما طبع ومنها ما لا يزال مخطوطاً . ومن تأليفه المطبوعة كتاب (الاشتقاق والتعريب) وقد طبع أول مرة عام ١٩٠٨ ثم أعيد طبعه فيما بعد ، وفيه أبحاث مسهبة في جواز التعريب واقتباس الكلام الأعجمي حيث تدعو الحاجة ؛ ومنها كتاب (البيئات) في جزءين أودعها مقالات ورسائل في الإصلاح الديني والاجتماعي والنقد والأدب ؛ ومنها كتاب (الأخلاق والواجبات) وقد ألفه باقتراح المرابي العربي الكبير ساطع الحصري عندما كان وزيراً للمعارف في عهد فيصل بن الحسين

ملك الشام بعيد الحرب العالمية الأولى ، ولا تزال بعض المؤسسات العلمية تقرره لطلابها الى اليوم ، وقد جاء إلى دمشق قبيل وفاة الأستاذ المغربي ممثل إحدى دور النشر الكبرى في المغرب الأقصى يستأذنه في إعادة طبع هذا الكتاب في صراكش ، لشدة الإقبال عليه فيها وتنادي نسخه من أسواقها ، فأذن له بذلك رحمه الله .

وقد ظل الفقيه يمد مجلة المجمع العلمي العربي بمقالاته وأبحاثه اللغوية والأدبية منذ صدورها حتى يوم الفجعة به .

والمجمع العلمي العربي الذي نشط الأستاذ المغربي في رحابه من أجل نشر رسالته أكثر من خمسة وثلاثين عاماً يرجو أن تقر عين الراحل الكريم بركاء النبتة التي ساهم في غرسها ، وانتقاد القبس الذي غذاه بفيض عقله وقلبه وعلمه .  
وإنا لله وإنا إليه راجعون .

—————



الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الحميد الكيالي

( ١٨٧٩ - ١٩٥٦ م )

## وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي

قضت مشيئة الله أن يصطفي إلى جواره في خاتمة شهر أيار سنة ١٩٥٦ م الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي مفتي حلب وعضو المجمع العلمي العربي .  
 ولد الفقيه رحمه الله في حلب حوالي العام ١٨٧٩ م ، وتلقى مبادئ العلم في صغره في المدرسة الأشرفية فيها ، ثم انتقل إلى المدرسة العسكرية ؛ ولكنه لم يلبث فيها إلا قليلاً ، لعزوف نفسه عن العلوم العسكرية ، وحرصه على تحصيل العلوم الدينية واللغة العربية . ثم سافر إلى مصر ودخل الجامع الأزهر ، ودرس فيه الفقه والأصول والتفسير والأدب العربي وعلوم الآلة على جلة الأساتذة فيه ، كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ سيد علي المرصفي . وبعد أن تزود من الدراسة فيه قدراً كافياً ونال إجازات أساتذته له عاد إلى مسقط رأسه حلب ، واشتغل بالتدريس في جوامعها . ثم قام بالإفتاء بعييد الحرب العالمية الأولى في ( قضاء جبل سمعان ) ، وبإدارة المدارس الدينية الإسلامية في حلب ، ووضع لها نظاماً لا تزال سائرة عليه إلى يومنا هذا .  
 ثم اختير سنة ١٩٢٢ م مفتياً للشهباء ، وظل في هذا المنصب منذئذ حتى لقي وجه ربه ، خلا فترات قصيرة أقصي فيها عن الإفتاء . وقد أصبح عضواً في المجمع العلمي العربي منذ ٢٣ آذار ١٩٢٣ م .

كان رحمه الله متمكناً من الفقه الحنفي ، طوبل الباع فيه ، مدققاً محققاً لأصوله ، واسع الدراية بالأدب ، وأساليب العرب . وكان رضي الخلق ، لطيف المعشر ، قوي الحجة ، جميل الحديث ، عفت اللسان واليد ، بغضي على القذى ، وبدفع بالتي هي أحسن .  
 تغمده الله برحمته وجعل الجنة مشواه .

❦❦❦❦❦



المستشرق المغفور له الأستاذ كارل بروكخان  
(١٨٦٨ - ١٩٥٦ م)



## وفاة المرحوم الأستاذ كارل بروكمان

في السادس من شهر أيار ١٩٥٦ قضى عضو المجمع العلمي العربي العالم الكبير المستشرق الألماني كارل بروكمان في مسقط رأسه بألمانيا عن حياة حافلة في خدمة العربية بقضينا الوفاء التنويه بها والإشارة إلى جلائل آثارها بايجاز واقتضاب .

وُلد الرجل في روستوك « Rostock » من أعمال مكنبورغ بألمانيا في ١٧ أيلول سنة ١٨٦٨ ، ودرج على حب المشرقيات وتاريخ الإسلام والبحوث التركية ، فأخذ يتعلم اللغات السامية وفيها اللغة العربية على شيوخ المدرسين في بلاده آنذاك ، وهم الأساتذة فيلي وبريطوربوس ونولدكه ؛ فدرس متنقلاً بين الحواضر الألمانية : روستوك وبروسلاو واستراسبورغ . وظل دائماً في دراساته حتى لمع في فقه اللغات السامية والتاريخ الإسلامي ؛ فعين مدرساً في جامعة برسلاو « Breslau » (١٨٩٣-١٩٠٣) ثم في كونيغسبرغ «Königsberg» (١٩٠٣-١٩٠٩) ثم في هاله « Halle » (١٩٠٩-١٩٢٠) ثم في برلين (١٩٢٠-١٩٢١) وعاد ثانية أستاذاً إلى برسلاو (١٩٢١-١٩٣٥) .

وقد أُحيل إلى التقاعد بعدها ، ولزم مدينة هاله - على نهر الزال - أستاذ شرف منذ سنة ١٩٣٧ . وعُيّن مديراً لخزانة الجمعية الألمانية للمستشرقين ، يعيش من الراتب بعد أن فقد موارد رزقه ، وظلّ فيها حتى أواخر أيامه حيث أفضده مرض عضال توفي على أثره عن ثمانية وثمانين عاماً .

وقد قضى هذا الأستاذ حياته في الجدّ والسعي والبحث والتنقيب فنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة وأخرى في اللاهوت . وأخرج إلى جانب مقالاته كتباً كثيرة نلّمع إلى بعضها على سبيل الذكر لا الإحصاء .

١ - نشر ذنبلاً لديوان الشاعر الجاهلي لييد سنة ١٨٩٢ وهو لما يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، فأكل ما بدأ به المستشرق هوبر .

٢ - ألف « تاريخاً للأدب العربي » قبيل الثلاثين من عمره ، ونشره في  
 ويمار بين سنتي ١٨٩٨ - ١٩٠٢ وعنوانه « Geschichte der arabichen  
 Litteratur » ثم أعاد نشره بعد أربعين عاماً في جزءين كذلك بلفت صفحاتها  
 قرابة ألف وثلاثمائة صفحة . واشتهر بين العلماء لأنه اختط فيه خطة جديدة  
 في البحث والعرض ، فقد اشتهر قبله تاريخ الأدب « لهامر بورغشتال » في أجزاء  
 ضخمة ولكنه إعادة وترجمة للكاتب العربية القديمة . ولكن المستشرق بروكمن  
 ألم بالمصور الإسلامية كتبها وبالعلماء المسلمين كلهم على اختلاف أقطارهم من  
 أطباء وفلاسفة ومنجمين ونحاة ومؤرخين وأدباء ، جعلهم في تاريخه كلما وجد  
 عندهم تراثاً يضاف الى عبقرية اللغة العربية . وقد اقتصر في تراجمه على كلمات  
 قليلة وإشارات مريضة خلت من الأحكام الأدبية أو النقد المذهبي ، وإنما ذكر  
 المآثر التي يحتاج اليها الباحث في معرفة المترجمين وآثارهم ومواضع طبعا أو  
 أرقام مخطوطاتها من خزائن الغرب والشرق ، إلى ذكر الصحف والمجلات والكاتب  
 التي تعرضت لها أو تحدثت عنها .

وقد ظل هذا الكتاب موضع عنايته يعود إليه ليستكمل أسبابه ويتم مباحثه ،  
 فسمى وراءه فهارس الخزائن وأخبار الوراقين ونشاط الناشرين ليضيف إلى جزائره  
 كل ما يجيد من طباعة كتاب أو اكتشاف مخطوطة حتى تجمعت لديه معلومات  
 كثيرة نادرة ضافية في الأقدمين والمحدثين المعاصرين . فنشرها في ثلاثة أجزاء  
 كبيرة منذ سنة (١٩٣٧-١٩٤٢) وسماها ذيلاً لتاريخه « Supplementband »  
 وبلغت صفحاتها قرابة ثلاثة آلاف صفحة عدا الأصل .

وفي هذا الكتاب فهارس وافية للأعلام والكاتب تفص بالأرقام والاشارات ،  
 وتضل فيها العين ، لذلك وقعت في هذا التاريخ الشامل الحافل أرقام مطبعية  
 مضطربة كان لا بد من وقوعها ، فقد نقلها الرجل بيده ورتبها بنفسه ، ولبث  
 يعمل لها حياته عمل عصبه من أولي العزم والعالم . فقد فرش بيته بالجزارات

وعمر رفوفه بالفهارس والمراجع ، وانفرد بهذه الخدمة الجليلة التي نرجو أن تلقى مثيلاً لها عند أبناء الناطقين بالضاد في نقل الكتاب أو تأليف شبيهه (١) .  
ونحن لا نكتب هنا في دراسة هذا التاريخ أو نقده وإنما وقفنا عنده لأنه من أهم كتب الراحل خدمة لأدبنا وتراثنا .

٣ - نشر المستشرق قسماً كبيراً من « عيون الأخبار » لابن قتيبة عن مخطوطي القسطنطينية وبطرسبورغ في أربعة أجزاء ، وطبعه في غوتنغن سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٨ ، فلفت الأنظار إلى ابن قتيبة قبل أن يختصر القرن التاسع عشر .  
٤ - أرسل دراسة في الكامل لابن الأثير بين فيها ما أخذه من الطبري .  
٥ - طبع رسالة « تلقيح فهم أهل الأثر » لابن الجوزي .  
٦ - طبع جزءاً من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد .  
٧ - نشر فهرسين لخزاني برسلاو وهامبورغ ، عرّف فيها بالمخطوطات العربية النفيسة في البلدين .

٨ - ألف كتاباً في نحو اللغة العربية بالألمانية نشره سنة ١٩٤٨ بليبستيك في ٣٤٣ صفحة .

٩ - ألف كتاباً في « تاريخ الشعوب الإسلامية » ترجم إلى اللغات الغربية ونقل إلى العربية في خمسة أجزاء صغيرة .  
وإلى جانب هذه الدراسات عن العربية ، اهتم المستشرق باللغات السامية الأخرى فأصدر الكتب التالية :

- ١٠ - معجماً للغة السريانية ببرلين سنة ١٨٩٥ .
- ١١ - كتاباً في صرف السريانية ونحوها ببرلين ١٩٢٥ ، في ٣٥٣ صفحة .
- ١٢ - كتاباً في الأدبيات السريانية .

(١) كتب المستشرق بروكمان في سنة ١٩٥٠ أن الأستاذ المرحوم أحمد أمين عرض عليه ترجمة هذا الكتاب باسم الجامعة العربية ، ولكن المشروع نام بعد ذلك .

- ١٣- موجزاً في تاريخ اللغات السامية ، ترجم الى الفرنسية .
- ١٤- ترجمة قصة يوسف .
- ١٥- ترجمة ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري ، نشره في ليمتسيك ١٩٢٨ .
- ١٦- صنع كتاباً في نحو اللغة التركية الشرقية بأصيا الوسطى ، نشره سنة ١٩٥٤ بليدن ، في ٤٢٩ صفحة .
- ١٧- دراسات عن الحبشية ، في برلين ١٩٥٠ ( ٦٠ صفحة ) .
- وهكذا انصرف الرجل خلال خمسين عاماً إلى تدريس اللغات السامية عامة واللغة العربية خاصة والتأليف في صرفها ونحوها وأدبها ولقمتها . فكان نادرة عصره في النشاط والكتابة والبحث ، وموضع تقدير الهيئات العلمية والعلماء في الشرق والغرب .
- وقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً ، سنة ١٩٢١ ، كما انتخبته الأكاديميات العلمية في ليمتسيك وبرلين وأوبسالا وبودابست عضواً فيها . وكذلك جمعية المشرقين الألمان ، والجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، والجمعية الآسيوية بباريس ، والجمعية الأمريكية بنيوهافن ، والجمعية اللغوية في بالتييمور .
- ولا شك في أن موت الفقيد خسارة كبيرة للعلم والاصنشراف واللغة العربية وآدابها .

— ٥٥٥ —

ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية<sup>(١)</sup>

يسرني أن أحمل من دمشق الى القاهرة تحية عربية خالصة ، وأن أتمنى لمصر العزيزة ، رئيساً وشعباً وحكومةً ، خير ما يتمناه الشقيق الصغير لشقيقه الكبير ، أعز الله العروبة والعربية بجهود العاملين المخلصين من رجالات هذا القطر العربي الصميم .

وبعد :

كنتُ أجمتُ في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » القواعد السديدة التي أقرها مجمع اللغة العربية في وضع المصطلحات أو تحقيقها . ولستُ الآن في صبيل بحث تلك القواعد . فبحثها طويل ، والزملاء الأفاضل أعرف الناس بها . ولا أظن أن أحداً من اللغويين أو من واضعي المصطلحات يخالفهم فيها . ولكنني أقف عند قضية ما يرح علماء العربية وعلماء العلوم الحديثة يجادلون فيها أياً جدال . وهي قضية حدود التعريب ومداه في وضع المصطلحات العلمية للعلوم الحديثة .

لقد اتخذ هذا المجمع الموقر القرار الآتي في التعريب :

« يميز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة - على

طريقة العرب في تعريبهم » .

فكلمنا « عند الضرورة » هما بيت القصيد . وهما مشار الجدل والنقاش . فالضرورة عند بعض علمائنا كلمة صغيرة رخوة جد قابلة للمط والتأويل . ولهذا رأبناهم يرجحون فتح باب التعريب على مصراع أو على مصراعين . والضرورة عند آخرين كلمة قوية في معناها وفي معناها . فهي في نظرهم

(١) خطاب الفاه الأمير مصطفى الشهابي في حفلة افتتاح الدورة الثانية والعشرين

« ١٩٥٤ - ١٩٥٦ » لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

جديرة بأن تراعى بدقة في تعريب الألفاظ العلمية . وهي تحتم البحث العميق عن ألفاظ عربية النجار حتى لأدنى ملابسة بين معانيها ومعاني الألفاظ العلمية الأعجمية .

وبين هذا الفريق وذاك ، أي فريق المتساهلين وفريق المتشددين في أمر التعريب ، يقف واضعوا المصطلحات العلمية حائرين يتساءلون عن أصلح خطة تتبع في نقل كل لفظة علمية إلى لغتنا الضادية .

وكلنا نعرف أن كلا الفريقين إنما يتشبث برأيه اعتقاداً منه أن رأيه هو الذي ينهض باللغة العربية فيجعلها صالحة للتعليم العالي والتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة .

فأنصار التعريب الواسع يقولون : إن الألفاظ الأعجمية ، كثرت أو قلت ، ليست من مقومات اللغة . واللغات تتميز بعضها من بعض بتراكيب جملها ، وبحروف معانيها ، أي بما اختلفت به من قواعد في الصرف والنحو وأساليب الاشتقاق والقياس وغير ذلك . ففي الإنكليزية والفرنسية والألمانية مثلاً آلاف مؤلفة من الألفاظ العلمية المشتركة ومع هذا نجد كلاً من اللغات الثلاث مستقلة عن الأخرى . وينتمون إلى القول بأن فرط التعريب لا يضر بلغتنا بل يندبها من لغات العالم الأوربية ، ويجعلها قادرة على استيعاب العلوم الواسعة الحديثة . أما المتشددون فيرون أن المعربات العلمية لا توحى إلى القارئ العربي بشيء من معانيها ، وأن هذا القارئ لا يفهمها ما لم تشرح له شرحاً وافياً . خذ مثلاً حشرة من الحشرات . وقل للطالب الفرنسي أنها تنسب إلى رتبة الـ Orthoptères فهو يدرك على الفور ، أي قبل قراءة الشرح ، أن لهذه الحشرة أجنحة مستقيمة . وسبب ذلك اطلاع هذا الطالب على مبادئ اليونانية واللاتينية . أما إذا اقتصرنا على ذكر الكلمة الفرنسية وحدها للطالب العربي فهو يلبث فاقد الفهم حتى تشرحها له ، أو تترجمها بلغته العربية فتسحبها مستقيمة الأجنحة ، مثلاً تسمى

رتب الحشرات الأخرى عصبية الأجنحة ومفصلة الأجنحة وعلوية الأجنحة وذوات الجناحين وهكذا .

ويقولون : لقد آمنا بأن هنالك أسماء لا بد من تعريبها كإني تكون منسوبة إلى أعلام ؛ وآمنا بأن مجال التعريب واسع في نقل كثير من أسماء الأعيان كأسماء بعض الأدوية والمقايير والمركبات الكيميائية ، وأسماء بعض أجناس النباتات والحيوانات مما له معان لا يستطيع ترجمتها بكلمة عربية واحدة سائفة الخ . ولكن لماذا يراد منا تعريب الكثير من ألفاظ المعاني العجمية التي لا يشق على علمائنا إيجاد ألفاظ عربية سائفة تعبر عنها ؟ أَلَا لأنّ العربية عاجزة عن ذلك ؟ أم لأنّ التعريب لا يقتضينا أدنى مشقة في تحري الألفاظ العربية الصالحة ؟ وهل من الصحيح ان الأكثر من التعريب هو وحده العامل الذي ينهض بلساننا الى مستوى السنّ العلم المعروفة ؟

والذي أراه أن الفريقتين إذا راعيا الروح الذي يجب أن يسود في نقل المصطلحات العلمية الى لغتنا العربية انتهيا لا محالة الى وفاق . فكلاهما يريد أن تنسع لغتنا للعلوم والمخترعات الحديثة . وكلاهما يريد أيضا أن لا تصبغ هذه اللغة شبيهة بلغات الزنوج بسبب الإفراط في التعريب بلا ضرورة .

وبما لا صرية فيه أن أعضاء مجامعنا العلمية ، وأساتيد جامعاتنا العربية ، وجمهرة أدبائنا وكتابنا ، على تفاوت آرائهم ، ينظرون الى هذا الموضوع نظرو المخلصين المؤمنين بضرورة رفع العربية الى مستوى اللغات الحية الكبيرة . فجدير بالعاملين منهم في وضع المصطلحات العربية أن يراعوا عند البحث في كل لفظة أعجمية قواعد النقل العامة التي يتبعها اليوم هذا المجتمع الموقر ، مثلما اتبعها في الزمن الماضي قدماء النقلة والمؤلفين العرب وخلاصتها على التتابع :

أ - تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي . وهذا يستلزم أن يكون

الناقل مطلعاً اطلاقاً واسماً على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعجمات العربية وفي كتبنا العربية القديمة .

ب - إذا كان اللفظ الأعجمي دالاً على معنى علمي جديد لا مقابل له في اللغة العربية ، تُرجم بمناه كما كان قابلاً للترجمة . أو اشتق له لفظ عربي مقارب . ويُرجع في وضع اللفظ العربي الى وسائل الاشتقاق أو الى الجاز أو النحت .

ج - وإذا تعذر على الناقل الكفء وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمد الى التعريب صراعياً قواعده على قدر المستطاع .

ومن الواضح ان دور التعريب في هذه القواعد لا يأتي إلا بعد العجز عن إيجاد كلمات عربية سائفة . والصعوبة كل الصعوبة إنما تكون في معرفة متى نرجح الكلمة العربية ، ومتى نرجح الكلمة المعربة .

ولقد قلت في كتابي الذي أملتُ اليه في بدء هذا الكلام :

« من السهل معرفة هذه القواعد الحسنة ، ولكنه ليس من السهل العمل بها . في كل علم مصطلحات متنوعة . وكل لفظ علمي يحتاج الى دراسة خاصة لمعرفة أصلح لفظ عربي أو معرب يقابله . وفي هذا المجال الوعر تتعارض آراء علمائنا . وفيه تُعرف كفاية العالم الثبت ، ودقة نظره ، وسلامة ذوقه جميعاً . »

وبعد لا بد للقادر على وضع المصطلحات العلمية من أن يضع نصب عينيه أن النهوض باللغة ، مع الاحتفاظ بسلاستها ، هما الأساس الذي يقوم عليه عمله ، وعندئذ يصبح من غير المتعذر عليه إدراك حدود التعريب ومداه في كل لفظة علمية أعجمية يعالج نقلها الى لساننا في صبر العالم الثبت وأناته ، وفي حسن ذوق الأديب المطبوع ودقة نظراته .

\*\*\*\*\*



ملاحظات على رسم بعض المعربات<sup>(١)</sup>

## للأمير مصطفى الشهابي

١ - كثيراً ما اضطر الى تهريب كلمات أعجمية رسمها واحد في اللغات الأوربية المشهورة ، ولكن النطق بها مختلف مثل Tulipe , Micron , Fibrine الخ .  
 فهي عند الفرنسيين تُنطق بقولهم فيسرين وميكرون وتوليبي وهي عند الانكاز فيسبرين وميسكرون وتيوليبي . وقد تكلم الزملاء الأفاضل غير مرة في هذه الألفاظ وأشباهاها . ورأوا أن المنطق الصحيح والدوق السليم يحملانا على ترجيح النطق السهل وهو النطق الفرنسي فيما تمتاز به من ألفاظ .  
 والظاهر أن المجمع لم يتخذ قراراً بذلك . ولهذا ما برحنا نجد في عدد كبير من الألفاظ التي عربتها اللجان رسماً يختلف باختلاف نوع الثقافة عند خبراء هذه اللجان . ويبدو لي أن معظم الخبراء درسوا بالانكليزية ، فاختروا النطق الصعب بدلاً من النطق السهل .  
 لذلك أرى من المفيد اتخاذ قرار بترجيح أسهل نطق في رسم مثل هذه الألفاظ المعربة .

٢ - من القواعد التي اتخذها المجمع في الجزء الرابع من مجلته رسم الحرف ( G ) اللاتيني ( وبقابله في اليونانية الحرف غمماً ) غيناً عربية . ومع هذا ما برحت لجان المجمع ترسمه جيداً وتقتصر على الجيم وحدها . فاذا كان لا بد من صراحة النطق القاهري للحرف جيم العربي بكون من المفيد اتخاذ قرار بأن يرسم الحرف ( G ) الأعجمي ، في الكلمات التي يعربها المجمع ، جيداً وغيناً جميعاً ، وبأن لا يكتبني بالجيم وحدها فيقال مثلاً جليسرين وجليسرين وهكذا .  
 والأسباب معروفة لا تحتاج إلى شرح .

(١) قدمها الى مؤتمر مجمع اللغة العربية في مصر فأقرها المؤتمر في جلسة الخامس من كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٥٦ .

م (١١)

٣ - كثير من الكلمات الأعمجية التي انضطر الى تعريبها تنتهي بالحرف (A) أو بالكاسمة (gie) الدالة على العلم . وقد لاحظتُ عند تعريب هذه الكلمات أن بعض الخبراء ينهون الكلمة المعربة بالتاء ، وأن بعضهم ينهوها بالألف ، مثل جيولوجية و جيولوجيا ، وبيولوجية وبيولوجيا ، ومفتولية ومفتوليا وهكذا . ومن المعروف أن قدماء النقلة لم يسيروا على خطة واحدة في هذا الموضوع . ولكن المعربات بالتاء كانت تفوق عندهم المعربات بالألف . والسليقة العربية تجعلنا نرجح إنهاء الكلمات المذكورة بالتاء . فن رأيي اتخاذ قرار بهذا الترتيب .

٤ - في اللغات الأوربية الكبيرة عدد من الألفاظ اقتبست من العربية وحُرِّفت ، فعند نقل هذه الألفاظ الى العربية أُرى إعادتها الى أصلها العربي فنقول مثلاً الحمرء لا ألهمبرا ، والفصر لا الكازار ، وعدنيثة لا أدنيا ، وعربية لا أراييت ، وحرشَف لا أرتبشو وهكذا .

هذه أربع ملاحظات لاحظتها أثناء مشاركتي لبعض لجان المجمع في أعمالها . فأقترح إما مناقشتها في المؤتمر واتخاذ ما ترونه فيها ، وإما إحالتها الى اللجنة المختصة بهذا الموضوع ، أو الى مجلس المجمع الموقر ليرى رأيه الموفق فيها .

### رسائل ابن الأثير

بين مخطوطات مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت مخطوطة قديمة ، هي الجزء الثاني من رسائل ضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر . ويرجع عهدا الى السنة ٦٥٦ للهجرة ، أي الى ما بعد وفاة منشئها بنحو ٢٢ سنة فقط . ولما كنت - ولا أزال - من المعجبين بما لهذا الكاتب من مقدرة بيانية وإنشائية سررت بوجود هذا الجزء من رسائله ، ورأيت أن أدرسه ثم أنشره خدمة للأدب والتاريخ ، فعمدتُ الى مالدي من فهراس المخطوطات والمطبوعات المعروفة وإذ لم

أجد فيها إلا إشارات لا تروي القليل اتصلت بصديقي الباحثة الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات في أمانة الجامعة العربية ، فتكرم باعلامي أنه يوجد في مكتبة أحمد الثالث باستنبول نسخة من الجزء الثاني من رسائل ابن الأثير المذكور كُتبت سنة ٦٥٥ هـ بخط نسخي حسن وإن في معهد الجامعة العربية « ميكروفيلم » عنها . وأما الجزء الأول من الرسائل فلا علم له بوجوده . وقد وعدني متطافاً أن يرسل لي نسخة مكبرة عن الميكروفيلم الموجود لديه لكي أقاله بنسخة الجامعة الأميركية . ومتى وصلني فسأبشر دراسة هذا الأثر النفيس وتحقيقه . وها أنا مثبتٌ على صفحات مجلة مجمننا العلمي وصفاً وجيزاً للجزء الذي بين يديّ لعلّ مطّاعاً من علمائنا الأفاضل يعرف عنه أو عن سواء من الأجزاء ما لم أطلع عليه بعد فيفيدني بعلمه ويخدم العلم والأدب بفضله وكرمه .

تقع المخطوطة المذكورة في مئتين وثلاثين صفحة متوسطة الحجم من الورق السميك الضارب الى الصفرة وهي مكتوبة بالحبر الأسود بخط نسخي جيد ويفصل فقراتها بعضها عن بعض مثلثات من نقط حمراء وتنتهي بهذه العبارة « تمّ الجزء الثاني من ترسل المولى صاحب ضياء الدين رحمه الله بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستماية » . وتتضمن المخطوطة خمساً وخمسين رسالة كلها من إنشاء ابن الأثير ما عدا الأخيرة وهي كتاب كتبه السلطان الملك الأفضل نور الدين ابن صلاح الدين جواباً عن رسالة كان ابن الأثير قد أرسلها اليه من الموصل الى حصن صرخد .

ولكل رسالة في المخطوطة مقدمة وجيزة تكتب عادة بسطور أقصر من سطور الرسالة ، والأرجح أنها بقلم الناسخ قدّمها ليعرف القارئ بمضمون الرسالة وسبب كتابتها كقوله مثلاً في صدر رسالة - « كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الإخوان وقد وصله عتبه لانتقطاع كتبه عنه فأصدر هذا الكتاب معتذراً عن الانتقطاع والبطء » .

أو قوله - « كتاب كتبه عن نفسه إلى الصاحب الوزير صفي الدين أبي عبد الله محمد بن شكر وزير الملك العادل أبي بكر بن أيوب شفاعتاً في حق الشيخ الأمين زكي الدين أبي عبد الله بن سلام الرقي وهو من مشاهير التجار الدهشقيين » . وهكذا سائر الرسائل .

والرسائل عموماً نوعان : نوع كتبه عن سواه ويبلغ ١٤ رسالة ، ونوع كتبه عن نفسه ويبلغ الأربعين . وليس بينها جميعاً إلا عشر ذات تاريخ . وأسلوبه الإنشائي العام هو الأسلوب المسجع المحلى بالبديع على عادة المترسلين في ذلك العهد ، وقد يأتي متكفلاً كقوله من رسالة إلى بعض الإخوان يصف فيها بستاناً أقام فيه مع بعض إخوانه في يوم من أيام الربيع وقد شافه ماراًه فيه من زهور ورياحين :

« ثم أنا ذهبنا في أطراف ذلك البستان ، وأقبل كل منا على ما يروقه من الریحان . فمن جانٍ نرجساً وهو يقول هذا صاحب القد المايس ، والذي عينه عين متيقظ ، وجيده جيد ناعس . ومن جانٍ بنفسج وهو يرى أنه أجل لباساً ، وأضوع أنفاساً . ويقول هذا هو المشبه بهذار الحبيب ، وبأطراف الكبريت إذا أخذت باللهيب . ومن جانٍ شقيق وهو يقول هذا اسم وقع على سمائه بلا خلاف ، ولما كان شقيقاً للحسن ترك المضاف إليه ودل عليه بالمضاف . ولا عيب فيه سوى انه يأتي والربيع في سن المشيب وما عهد قبله ان ولد الشيخ يخلف في هذا الرواء العجيب » .

على ان أسلوبه لا يجري دائماً مجرى التصنع ، بل كثيراً ما يسلس تركيبه وتروق معانيه ، كقوله من رسالة : « فالسعيد من اغتم زمانه ، وبادر إمكانه وابتنى المعروف وأحكم بنيانه . فان الأوقات ظروف تشتمل على مساوي الأشياء ومحاسنها ، ولا تعطيك إلا ما ادخرته من بواطنها . وهي كالرياح العاصفة ، والبروق الخاطفة . فن يرد الله به خيراً يفقهه في عمارتها بالأعمال الصالحة ، ذوات الموازين الراجحة » .

أما الذين كتب عنهم أو اليهم فكثيرون ، ومنهم أمراء وعظماء كالمملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأخويه الملك الظاهر والمملك العادل ، والأمير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل ، والأمير مظفر الدين سنقر أمير الحج العراقي ، والأمير علاء الدين بن الأمير مجاهد العمادي ، وابن شداد قاضي قضاة حلب ، وابن رافع قاضي القضاة بالشام ، والصاحب صفي الدين محمد بن شكر وزير المملك العادل ، وديوان الخلافة ببغداد وسواهم .

وتتناول رسائله شتى الأغراض الترسائية من تهنئات وشفاعات وتمزيات وتقاليد أميرية ومباشرات إخوانية وما إلى ذلك مما كان شائماً في ترسل ذلك العصر .

والذي يراجع هذه الرسائل يرى فيها ما قد يزكي أقوال المؤرخين في منشئها . ويظهر أن حياته لم تكن دائمة الهناء ولعل ذلك لاضطراب الأحوال السياسية من جهة ثم لعدم كياسته في معاملة الناس من جهة أخرى . وإذا أخذنا بقول ابن خلكان معاصره نجد انه لما كان وزيراً للملك الأفضل بدمشق وصارت أمور الناس تُردُّ إليه لم يحسن عشرة أهلها ، فلما أخذت دمشق من المملك المذكور وانتقل إلى صرخدممّ الدمشقيون بقتل ابن الأثير فهرب مستخفياً إلى مصر . وكذلك خرج من مصر بعد أن أقام فيها مدة من الزمن . ولما انتقل بخدمته المملك الأفضل إلى حصن سميساط على الفرات قصدّه إلى هناك ثم فارقه لخدمة أخيه المملك الظاهر في حلب فلم يطل مقامه ولا انتظم أمره ، وخرج مفاضباً إلى الموصل . وفي الموصل أيضاً لم يستقم حاله فتركها إلى إربل ثم إلى سنجار ولم يوفق فيها فعاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته وكان قد بلغ الستين من عمره . ومهما يكن من أمره فقد كان مشهوداً له بالترسل وبكفي أن يكون له « المثل السائر » الذي يدلّ على غزارة مادته البيانية وتمكّنه من النقد والبلاغة . ويرغم ماله من الميل إلى الإشادة بنفسه والاعتداد ببلاغته كان له مقام عال بين أدباء عصره .

قال ابن خلكان : « ولقد ترددت الى الموصل أكثر من عشر مرات وهو مقيم فيها وكنت أودّ الاجتماع به لآخذ عنه شيئاً لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المودة الأكدية فلم يتفق ذلك . ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام وأقيمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة . ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة » .

ومع علي أن الكثيرين من قراء هذه المجلة قد درسوا ابن الأثير واطَّلَعُوا على أدبه فاني أعنتهم هذه الفرصة لأثبت فيما يلي نموذجاً من ترسله كما ورد في إحدى رسائل المخطوطة التي نودّ تحقيقها ونشرها . وهي كما يقول كاتب المخطوطة : « كتاب كتبه عن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف الى السلطان الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل رحمه الله يسأله عن هزيمة هزمها . . . . وذلك انه خرج الى نصيبين وحصر قلعتها وأشرف على أخذها وهي يومئذ لابن عمه الملك المنصور قطب الدين ابن أتابك صاحب سنجار . ثم انه عاد عنها بغير سبب ولا مزعج إلا لأمر يريده الله . فاصدق صاحبها الملوك المجاورين له كصاحب جزيرة بني عمر وصاحب دارا وصاحب ماردين وصاحب آمد وديار بكر . فنزلوا نصيبين بالحملة الكبيرة . وطلب صاحب نصيبين من صاحب الموصل المصاف<sup>(١)</sup> فأجابته اليه وافترق أن يكون بين نصيبين والموصل على قرية تعرف ببوشنزي » . ويؤخذ من نتمة هذه المقدمة ان صاحب نصيبين وحلفاءه سبقوا الملك العادل الى المصاف . واحتلوا المكان المناسب فيه . وأسرى اليهم الملك العادل آخذاً ثلاث مراحل في مرحلة واحدة . فلما وصل كان جيشه متمباً فلم يعطه خصومه فرصة للراحة بل بادره بالقتال فكان ذلك سبب الهزيمة . قال ابن الأثير - بعد أن افتتح رسالته بكلمة حكيمية على لسان الملك الأفضل مخاطباً « المجلس السامي العادلي » أي الملك العادل - :

(١) المصاف جمع مصف . والمصف مكان التقاء الصفوف للقتال .

وقد تفاعل الخادم بأن « المجلس » نور والله كفيل باتمامه ، وصادق عن اظلامه ، ولم تكن هذه الحادثة إلا شحذاً لغربه ، وصقلاً لعزمه وقلبه . وكما أن وقد النار زائد في رونق النضار ، فكذلك وقد الأهوال ( زائد في رونق ) (١) الرجال والتجارب معيار . وفي الرجال درهم ودينار . وواحد من ساجلته الأيام وساجلها ، وقائلته وقائلها . فليلق هذا الأمر بالاعتزام والاهتمام . وليتأس برسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام . فقد نال العدو منه منالين اثنين ، كيوم أحد ويوم حنين . ولم يكن ذلك نقضاً لأمره ، بل امتحاناً لصبره . وينبغي للمجلس ان يصدف عمماً فات ، وينظر بما هو آت . وأن يركب في جيش من عنيفة الصبر ، وسعة الصدر ، فانها أقوى مدداً ، وأقوى عدداً ، وأغنى في تشتت شمل الأعداء ولو كانوا ابداً . ولا تظهر فضيلة الرجل إلا عند مكافحة الشدائد ، وتورث ما يتورده الرجال من الموارد . والخادم يقول ما يقوله من علمه - وقد يشهد الطرف الوغى وهو محبوب - وهؤلاء الأعداء رؤوس متعددة ، وهمم متبددة متغايرة ، وآراء متنافرة . وعلى ما بلغ الخادم فانهم لم يكونوا كنفوا لرجاله ، ولا كانت رماحهم كرماحه ولا نصالهم كنصاله . لكن المجلس أسرى اليهم على بعد المسرى ، وأطل عليهم وخيله حسرى . وما ذلك من طريق الكيد الذي بدب صاحبه الخمر ، ولا من طريق الأيد 'يجهر به ولا يضره ان جهر' . . . الى أن يقول :

«والآن فلا ينبغي للمجلس ان يعرج على طريق الندم ، ولا يجعل نبوة السيف سبباً لنبوة المحم . ويكفيه فضلاً انه لم ينل منه لأمر يرجع الى تقصيره ، بل لأمر يرجع الى تدبيره . فليقتل الأعداء نفوسهم ، وليهتوا رؤوسهم . فللمجلس في قلوبهم داء لا يهدأ ألمه ، ولا ين سقمه . وقد أوقدوا ناراً وسيكونون لها حطباً ، وزرعوا شوكةً وسيجنون منه شوكةً وسيجنيه المجلس

(١) ما بين قوسين غير واضح في الأصل .

عنيا . وملاك هذا الأمر أن 'يجرد' له سيفان صبراً ومخذهماً ، وينفق فيه مالان رأياً ودرهماً<sup>(١)</sup> . وأما الخادم فإنه للمجاس من الوقاية بمنزلة الجفن من الناظر ، وفي المساعدة بمنزلة الجناح من الطائر . ولما بلغ المملوك خبر هذه الوقعة ودّ لو اصطلح حراً شفارها ، ولم يسطل حراً أخبارها . وقد أقسم انه لا يزال أشعث أغبر إلى أن يدرك ثاره ووتره ، ويستعيد نصره . فلا يقلم ظفراً ، ولا يقص شعره ، ولا يزيل درتاً ، ولا يفضل ثوباً ولا بدناً . وهذه من سنة المحرم إذا دخل في إحرامه ، وقد سلكها الخادم عند دخوله في ثوب اعتزاه . وما يتفلس كربه وقد أخذ بكظمه ، وكظ على همه . إلا ما يلمحه من عنزم المجلس الذي يرد الخطوب تدمي ، ويبصر خفايا عواقبها والبصائر عنها تغمي . وإذا جدت شكك السيوف فراق مضاجعها وبكت الرماح تحطم اضالعها . فأهون بالخطوب إذا جاذبته ، فكيف بالأعداء إذا حاربته . فلا يرع ما احتمال السيل من زبدهم فإنه يذهب جفاءً ، ويمضي عفاءً والمجلس هو الذي يمكث في الأرض ، ويعود على ما أبرموه بهوادي النقض .

ويستمر على هذا المنوال حتى يختم الكتاب بقوله - « والله تعالى يؤيد المجلس بالجندين جند السماء وجند القتال ، وينصره على الجيشين جيش الأعداء وجيش الليال ، والآراء العالية مزبد العلو ان شاء الله تعالى » .

هذا ما رأيت ان أعرضه من هذه المخطوطة القديمة وعسى أن أحظى على صفحات مجلتنا الغراء بما يسهل علي مهمة التحقيق ، وسلفاً أقدم الشكر لكل ذي يد وبالله التوفيق .

أنيس المقرصي

—————

(١) كذا في الأصل والأشبه ان يكون الصواب « ان يجرد له سيفين وكذلك ان ينفق فيه مالين » .



## منتخبات من معجم الكواكبي

- ٢ -

• Abscisse فصیل (٥)

(من اللاتينية abscissus : المفصول ، المقطوع) • لفة : الفصل : الحاجز  
بين الشئین = فطمُ المولود كالاتصال ، والاسم الفصال = الحجز = الفطم ) •

الفصیل : حائط قصير دون سور البلد •  
فتا : في المصطلحات الهندسية : أحد الخطين البيانيين اللذين بهما يتعين موضع  
منحنٍ سطحي ، وهو الخط الأتقي • أما الآخر الممود على الفصیل فهو  
(الرّتيب ordonnée) •

• Absolu صرف = مُطلق (٦)

(من اللاتينية ab, solutus : غير مقيد = كامل ، تام) • لفة :  
الصرف : الخالص من الخمر ونحوها • صرفَ الشراب : لم يمزجه وهو مصروف •  
الصرف : اللبن ساعة حباب ... المطلق : من (طلقَ بده بخير يطلقها  
كأطلقها : فتَحها ... أطلق الأسير : خلاه) •

(- alcool : غول صرف : غول لا يشوبه ماء مطلقاً وهو بعبارة ١٠٠ درجة) •  
(- température : الحرارة المطلقة : التي يعبر عنها بدرجات مئوية على  
سلم صفرها (-٢٧٣) مئوية أي الصفر المطلق الذي هو أدنى درجة من  
الحرارة يمكن نظرياً بلوغها وينعدم عندها كل تفضان ذري<sup>(١)</sup> • عملياً أمكن  
الوصول الى (- ٨٧ و ٢٧٢) درجة تحت الصفر في عام ١٩٣٤) •

• Abstrait مُخالصة (٧)

(من اللاتينية : abs, traherer : سحب ، جذب || استخراج ، استخلاص) •

(١) agitation moléculaire

لغةً : خَاصَّ خَاوِصًا وخَالِصَةً : صار خالصًا . . . الخالص : كلُّ شيءٍ أبيض .  
 خُلاصة السمن ( بضم الخاء وكسرهما ) ما خُلِصَ منه . . . أخلص السمن :  
 أخذ خلاصته . . . خُلِصَ تخليصًا : أخذ الخلاصة || فلانًا نجَّاه فخلص . . .  
 خَالَصَهُ : صافاه . . .

• استخلصه لنفسه : استخضعه .

فناً : في فن الصيدلة : خلاصةٌ سيجوق تعادل ضعفي وزن العقار المهيأة منه .  
 وليست هي ( الخلاصة extract ) ذلك الشكل الصيدلاني المعروف الذي هو محصول  
 تجزير ، لدرجة معلومة ، للمحلولات المستحصلة من معالجة مادة نباتية بسواغ  
 بنجور \* كالماء والغول والأثير .

• ( ٨ ) Acclimatation أقلمة .

• ( من اليونانية Klima : الميل ، الميلان )

• لغةً : الإقليم كقنديل : واحد الأقاليم السبعة .

فناً : تعويد الكائن الحي من حيوان أو نبات على العيش في بيئة غير التي  
 كان فيها بأتباع جملة قواعد موضوعة لهذا الغرض ، فكأنما يجعل بهذا ميثالاً  
 ( ذا ميل ) للعيش في البيئة الجديدة التي تُنقل إليها .

• ( ٩ ) Acclimater أقلم .

من ( الألقمة ) الآنفة الذكر : عوّد الكائن الحي على العيش في بيئة غير  
 التي كان فيها .

• ( ١٠ ) Acclimater ( s' ) تأقلم .

من ( الألقمة ) الآنفة الذكر : تموّد على العيش في بيئة غير التي كان فيها .

• ( ١١ ) Accumulateur مُدْخِرَة .

• ( من اللاتينية accumulare : التكديس = الجمع = الخزن )

لغةً : ذَخَرَهُ ذُخْرًا وأذخَرَهُ : اختاره واتخذهُ . . . الذخيرة : ما ذُخِرَ كالدُّخْر .

فناً : آلة كهربائية تُخزن (تذخر) فيها القدرة الكهربائية حينما تستعمل  
بمده تياراً كهربائياً . وتتألف من صفيحتين من الرصاص مغموستين في ماء  
محمض متوازيتين ومتقاربتين جداً . احدهما كقطب ايجابي والاخرى كقطب  
سالب . تملأ بربط القطبين ببطارية أو بتيار حتى تنشحن بالكهرباء ، فيقطع  
اتصالها بالتيار فتكون مهيأة للاستعمال بوصل قطبها بما يراد (التيار الجديد  
بعاكس الأول) .

( ١٢ ) acescence خُلُلٌ .

لغة : عرض بعرض في كل حلو فيغير طعمه الى الحموضة .  
فناً : مرض يصيب الأشربة الفولية كالبيد وغيره فيعملها حامضة ، لتحوّل  
الفول فيها الى حمض الخل بفعل الخميرة المسماة ( الفطور الأدمية الخلية  
Mycoderma aceti ) . هذه الفطور تسطو ترجيحاً على الخمور الحديثة والقليلة  
الفول . يحال دون حدوثه بالنظافة التامة وبسلفنة \* الدنان sulfitation .

( ١٣ ) Acétificateur مُخَلِّتَةٌ .

( من اللاتينية acetum : الخل ) .

لغة : خَلَّتْ الخمرُ وغيرها حُمُضَتْ وَفَسَدَتْ والمصير صار خَلًّا .  
فناً : دولاب مؤلف من صفيحة 'محلزنة' \* (١) من الصاج وعليها قطع من  
خشب الزان حتى اذا دار الهواء والخمر فيها تكوّن حمض الخل بسرعة  
وبكافة زهيدة .

( ١٤ ) Acétification تخليل .

لغة : خَلَّلَ الخمرَ جعلها خَلًّا ، لازم متعد .

فناً : تخصيصاً ، العمل الذي يتم منه تحويل مادة ما الى حمض الخل .

( ١٥ ) Acétifier ( s' ) تخَلَّلَ .

وكذا أَخْتَلَّ . من الكلمة الآتفة الذكر .

(١) spirale, enroulé en spirale

- (١٦) Acétolat خُلَّة •  
 لفة : وزان فُعالة ، من الخل •  
 فنا : دواء يهياً بتقطير نقاعة النباتات في الخل •
- (١٧) Acétolature مُسْتَخَلَّة •  
 لفة : من ( استخل ) • فنا : دواء يهياً بنقع النبات الطازج في الخل •
- (١٨) Acétolé خَلِيَّة •  
 لفة : ( من الخل ) • فنا : دواء يهياً بجل المواد المختلفة في الخل • واخلية ،  
 غير المستخلية ، من الوجهة الصيدلانية •
- (١٩) Acétolyse خَلْمَهَة •  
 لفة : نختاً من ( خل ، إمارة ) • فنا : عمل يتم فيه تحليل مادة ما في حمض  
 الخل ، مثال : خلصة السالولوز ، مزيج من حمض الكبريت وبلا ماء حمض الخل •
- (٢٠) Acétomel خَلْسَل •  
 لفة : نختاً من ( خل ، عسل ) • فنا : دواء مؤلف من شراب العسل ممزوجاً  
 بالخل وهو المعروف بالفارسية ( سِرْ كَنْتِكَبِين ) ادغاماً من كلمتين ( سِرْ كَة :  
 خل ) و ( أَنْكَبِين : عسل ) •
- (٢١) Acétonémie تَخَلُونُ الدَّم •  
 ( من Acétone : الخلون ، ومن اليونانية haima : الدم ) •  
 لفة : اشتقاقاً من معرب الكلمة الافرنجية : ( الخلون acétone ) •  
 ذلك الجسم العضوي المعروف •  
 فنا : حالة مرضية يوجد فيها الخلون في الدم •

الكواكبي

(يتبع)



## مخطوطات قيمة تُهدى إلى دار الكتب الظاهرية

لا تزال بعض بيوتات العلم في المشرق العربي تحتفظ في خزائنها الخاصة بمخطوطات كثيرة ثمينة ورثها الخلف عن السلف ، فزانوا بها دورهم ، وعمروا بها صدورهم . على أن هذه المخطوطات تظل في أغلب الأحيان محجوبة عن أنظار جبهة الباحثين ، ومعرضة للسرقه والتلف والإهمال وعودادي الزمن إذا آت إلى أيدي الجاهلين ، فن الخير كل الخير أن تودع المخطوطات الخاصة بدور الكتب العامة ، حفظاً لها وتيسيراً للانتفاع بها .

ومن أعظم بيوتات العلم في دمشق أسرة آل حمزة ، انتهت إلى الكثيرين من أبنائها : المتقدمين والمتأخرين ، نقابة الأشراف والفنبا في الشام ، وضمت خزائهم نوادر المخطوطات العربية التي عكفوا على جمعها السنين الطوال ، وأنفقوا في تخيرها النفيس من الزمن والجهد والمال ، وقد أعانهم على ذلك انصرافهم إلى التبحر في العلم كبراً عن كابر ، وحرصهم على التكثير منه والتعمق فيه . وعميد هذه الأسرة اليوم هو السيد سعيد حمزة نقيب السادة الأشراف في الشام ، وأحد أكابر رجال الفضل والعلم فيها .

اختار السيد سعيد حمزة من خزائنه العامرة ثلاثمائة مخطوط في علوم مختلفة ، فأهداها إلى دار الكتب الظاهرية منذ أيام ، وانكب العاملون فيها على دراسة هذه المخطوطات ووضع فهرس لها يشتمل على وصف كل منها والتعريف به ، حتى يستفيد رواد الظاهرية من هذه المخطوطات . وإننا لندرجون بتاح لنا مرد أسماء هذه المخطوطات وبيان ما فيها في العدد المقبل من مجلتنا هذه .

نوهت بهذه المأثرة الحميدة كبريات الصحف السورية ، وبث المجمع العلمي العربي للمهدي الكريم ، رسالة يشكر له فيها جميل صنعه ، ويرجو أن بأتسي المخلصون الغيور به ، ويسيروا على هديه .

—••••—

## فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة

|                                           |                                                       |               |
|-------------------------------------------|-------------------------------------------------------|---------------|
| • • الأستاذ خليل مردم بك                  | • • • • • مع حافظ ابراهيم                             | • • • • • ٣٥٣ |
| • • الأستاذ عبد الله كتون                 | • • • • • الشعر الأندلسي                              | • • • • • ٣٧١ |
| • • • • • للدكتور جيل صليبا               | • • • • • الاضطلاحات الفلسفية (٣)                     | • • • • • ٣٩٧ |
| • • • • • للدكتور محمد حميد الله          | • • • • • أفكار أبي حنيفة الدينوري في العلوم الطبيعية | • • • • • ٤٠٩ |
| • • • • • للدكتور حسني سبح                | • • • • • ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (١)        | • • • • • ٤١٦ |
| • • • • • للرحوم الشيخ عبد القادر المقرني | • • • • • إيوانية البحري (٣)                          | • • • • • ٤٢٧ |
| • • • • • للأمير جعفر الحسيني             | • • • • • التكية السلطانية في دمشق (٢)                | • • • • • ٤٣٧ |
| • • • • • للدكتور محمد أسعد طلس           | • • • • • أبو الفتح بن جني (٧)                        | • • • • • ٤٥١ |

### التعريف والنقد

|                                    |                                                              |               |
|------------------------------------|--------------------------------------------------------------|---------------|
| • • الأستاذ عبد الهادي هاشم        | } خريدة الفصر وجريدة العصر ( قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ) | • • • • • ٤٧٣ |
| • • • • • للدكتور أسعد الحكيم      |                                                              |               |
| • • • • • للأستاذ عز الدين التنوخي | } أعيان الشيعة                                               | • • • • • ٤٨٣ |
| • • • • • للدكتور حكمة هاشم        |                                                              |               |
| • • • • • للأمير جعفر الحسيني      | • • • • • ردّ على ميخائيل نعيمة في « مرداد »                 | • • • • • ٤٨٨ |
| • • • • • للدكتور عدنان الخطيب     | • • • • • المدخل الى تاريخ الحضارة ( الجزء الثاني )          | • • • • • ٤٩١ |
| • • • • • للأستاذ محمد أحمد دهمان  | • • • • • محاضرات في القانون المدني اللبناني                 | • • • • • ٤٩٤ |
| • • • • •                          | • • • • • أمراء دمشق في الإسلام                              | • • • • • ٤٩٦ |

### آراء وأنباء

|           |                                                     |               |
|-----------|-----------------------------------------------------|---------------|
| • • • • • | • • • • • وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المقرني     | • • • • • ٤٩٨ |
| • • • • • | • • • • • وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي     | • • • • • ٥٠٢ |
| • • • • • | • • • • • وفاة الأستاذ كارل بروكمان                 | • • • • • ٥٠٤ |
| • • • • • | } ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية                 | • • • • • ٥٠٩ |
| • • • • • |                                                     |               |
| • • • • • | • • • • • ملاحظات على رسم بعض الممرّبات             | • • • • • ٥١٣ |
| • • • • • | • • • • • رسائل ابن الأثير                          | • • • • • ٥١٤ |
| • • • • • | • • • • • منتخبات من معجم الكواكبي (٢)              | • • • • • ٥٢١ |
| • • • • • | • • • • • مخطوطات قيمة تُهدى إلى دار الكتب الظاهرية | • • • • • ٥٢٥ |

## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ - المهرجان الأثني لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - المستجاد من فملات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - الببيرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي  
قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - ديوان ابن حيوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ - ديوان ابن حيوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني
- ٢٠ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني

- ٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ): وضعه  
الدكتور يوسف العث
- ٢٤ - ديوان الواواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( المجلد الأول ) : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( القسم الأول من المجلد الثانية ) :  
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٧ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ - أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور  
صلاح الدين المنجد
- ٢٩ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .
- ٣٠ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٣١ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٢ - الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٣ - خريدة القصر وجريدة العصر للامام الأصفهاني الكاتب ( قسم شعراء  
الشام ، الجزء الأول ) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
- ٣٤ - فهرس مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، وضعه الأستاذ عمر رضا خالة
- ٣٥ - ديوان ابن أبي حصينة السلمي المغربي ، الجزء الأول : بتحقيق الدكتور محمد سعد طلس
- ٣٦ - التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٧ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي  
بتحقيق الأستاذ
- ٣٨ - تكملة إصلاح ما تفلط به العامة للجواليقي  
عن الدين التنوخي
- ٣٩ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي